

الجمهورية العربية السورية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ



جامعة دمشق

جبل لبنان بين عامي ١٨٤٠ – ١٩١٨

دراسة اقتصادية – اجتماعية

مشروع أعد لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب الحديث والمعاصر

إشراف الدكتور

عبد المنعم الأحمد

إعداد

أمجد محمد نعامه

الفهرس

- مقدمة: حول مسوِّغات اختيار البحث، وأهميته، وإشكاليته، وأهدافه، ومنهجيته، وأهم مصادره..... ١٠
- تمهيد : يتناول الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية لجبل لبنان قُبيل فترة الدراسة..... ١٧
- الفصل الأول- دراسة الأوضاع السياسية في جبل لبنان ما بين ١٨٤٠-١٩١٨..... ٢٨
- أولاً- دراسة الأوضاع السياسية في جبل لبنان بين عامي ١٨٤٠-١٨٧٦..... ٢٩
- ثانياً- دراسة الأوضاع السياسية في جبل لبنان بين عامي ١٨٧٦-١٩٠٨..... ٥٤
- ثالثاً- دراسة الأوضاع السياسية في جبل لبنان بين عامي ١٩٠٨-١٩١٨..... ٥٩
- خلاصة الفصل الأول..... ٧١
- الفصل الثاني- دراسة الأوضاع الاقتصادية في جبل لبنان ١٨٤٠-١٩١٤..... ٧٢
- أولاً- دراسة الوضع الزراعي..... ٧٣
- ١- الملكية العقارية..... ٧٣
- ٢- محاولات مسح أراضي الجبل..... ٧٦
- ٣- الضرائب..... ٧٧
- ٤- طرق استثمار الأراضي الزراعية..... ٨٥
- ٥- أدوات الإنتاج..... ٨٨
- ٦- أسلوب الإنتاج في جبل لبنان..... ٨٩
- ٧- الأوزان و المكايل..... ٩٠
- ٨- أهم المحاصيل الزراعية..... ٩١
- ٩- تربية الحيوان..... ٩٥
- ١٠- أثر التنظيمات العثمانية في الوضع الزراعي..... ٩٦
- ثانياً- دراسة الوضع الحرفي في جبل لبنان..... ٩٨
- ١- الأسواق الحرفية..... ٩٩
- ٢- أهم الصناعات والحرف اليدوية..... ٩٩
- ثالثاً- دراسة الوضع التجاري والمواصلات في جبل لبنان..... ١٠٧
- ١- التجارة الداخلية..... ١٠٧

٢- التجارة الخارجية.....	١٠٩
٣- البنوك ودورها الاقتصادي.....	١١٢
٤- العملات النقدية.....	١١٤
٥- المواصلات.....	١١٥
٦- الطرق وأثرها الاجتماعي.....	١١٩
٧- الكهرباء.....	١٢٠
- خلاصة الفصل الثاني.....	١٢١
الفصل الثالث- الأوضاع الاقتصادية في جبل لبنان خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨.....	١٢٢
أولاً- الملكية العقارية في جبل لبنان خلال الحرب العالمية الأولى.....	١٢٣
ثانياً- الوضع الاقتصادي في جبل لبنان أثناء الحرب.....	١٢٤
١- دور جمال باشا في الأحداث، وتأثيره في الاقتصاد اللبناني.....	١٢٨
٢- الدور الدولي في الأزمة الاقتصادية.....	١٣٠
٣- النقد وأثره في الاقتصاد.....	١٣٢
٤- سياسة الاحتكار، وأثرها في الأزمة الاقتصادية.....	١٣٧
ثالثاً- العلاقات الرأسمالية في الجبل.....	١٤١
رابعاً- الامتيازات الأجنبية والتبشير في جبل لبنان.....	١٤٣
خامساً- الهجرة وأثرها في مجتمع جبل لبنان.....	١٥٤
١- أسباب الهجرة.....	١٥٥
أ- الصراعات الطائفية.....	١٥٥
ب- أسباب اقتصادية.....	١٥٥
ج- أموال المهاجرين.....	١٥٦
٢- أماكن الهجرة.....	١٥٧
خلاصة الفصل الثالث.....	١٦٤
الفصل الرابع : الحياة الاجتماعية في جبل لبنان ١٨٤٠-١٩١٨.....	١٦٦
أولاً- طبقات المجتمع في جبل لبنان:.....	١٦٨

١٦٨.....	١- طبقة الحكام.
١٧١.....	٢- طبقة المحكومين.
١٧٢.....	ثانياً- إحصاءات السكان.
١٧٥.....	ثالثاً- العادات والتقاليد الاجتماعية.
١٧٥.....	١- الزواج والأعراس.
١٧٨.....	٢- اللباس.
١٨٢.....	٣- المآتم والأعياد.
١٨٥.....	رابعاً- العمران والبيوت.
١٨٥.....	١- بيوت الفلاحين.
١٨٦.....	٢- قصور الإقطاعيين.
١٨٦.....	خامساً- الأوقاف.
١٨٨.....	سادساً- المرأة، ودورها في الأحداث.
١٨٨.....	١- تحرر المرأة.
١٩٠.....	٢- في المجال الصحفي.
١٩١.....	٣- في مجال العمل والمهن.
١٩٢.....	سابعاً- التعليم والحياة الفكرية في الجبل.
١٩٢.....	١- المدارس.
٢٠٥.....	٢- الطباعة.
٢٠٧.....	٣- الصحافة.
٢١٤.....	٤- الجمعيات.
٢١٦.....	٥- المكتبات.
٢١٧.....	ثامناً- الأوضاع الصحية في جبل لبنان.
٢١٧.....	١- إدارة الصحة في جبل لبنان.
٢١٧.....	٢- المشافي.
٢١٩.....	٣- أسماء الأطباء الذين حازوا الشهادة الرسمية من الآستانة.

- ٤- أسماء الصيادلة الذين حازوا الشهادة الرسمية من الآستانة. ٢٢٠.....
- ٥- أهم الأمراض المنتشرة في تلك الفترة. ٢٢٠.....
- خلاصة الفصل الرابع. ٢٢٥.....
- خاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث. ٢٢٦.....
- الملاحق. ٢٢٩.....
- قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في إنجاز البحث. ٢٥١.....



مقدمة

عانت ولايات بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين التأخر والضعف في شتى المجالات الاقتصادية، والاجتماعية.

ففي المجال الاقتصادي: كان انعدام الأمن، وإهمال الطرق ذا أثر سلبي على الاقتصاد آنذاك، حيث تأخر الإنتاج الزراعي بسبب؛ استخدام الفلاح الأساليب القديمة في الزراعة، ومعاناته من ظلم الملتزمين، ووطأة الجباة، والضرائب المفروضة عليه، فلم يترك له إلا ما يسد رمقه ورمق عائلته، وكان للإقطاع الطائفي الدور الأكبر في ذلك التأخر حيث شكل الفلاحون الذين يعملون في الأرض أدوات الإنتاج، وعلى رأس ذلك النظام الإقطاعي بيوت أرستقراطية درزية وموارنة، ويعرف هؤلاء بالمشايخ حيث كانوا يصادرون معظم أموال الفلاحين، ومحاصيلهم الزراعية.

أما أرباب الصناعات؛ فقد انتظموا ضمن طوائف حرفية تضم المعلمين، والصناع، والمبتدئين وشيوخ الحرف، وبما أن الدولة العثمانية لا تسمح بتغيير شكل البضاعة المصنوعة، فبقيت بدائية وضعفت روح الابتكار والتجديد في نفوس أصحابها الذين اعتمدوا على العمل اليدوي، كما كان للامتيازات الأجنبية أثر سلبي في الصناعات من خلال احتكار الأسواق من قبل التجار الأجانب ومنافستهم للبضاعة المحلية.

أما فيما يتعلق بالتجارة: إن انتظام التجارة ضمن طوائف - وكل طائفة تختص بتجارة معينة في ولايات بلاد الشام - أسفر عن وجود سوق خاصة بكل طائفة تعرض بضائعها من خلالها، وإذا حصل نزاع بينها يقوم الشهنندر (شيخ التجار) بحل الخلافات، وعند الاتصال بالسلطنة يتحدث هذا الشيخ باسمهم عند الوالي، لكن وجدت عوامل عرقلت تلك الحركة التجارية، ومن أهم تلك العوامل التي يمكن إجمالها بما يأتي:

أ- البلبلة وفوضى الحكم والإدارة الناتجة عن حركات التمرد والعصيان.

ب- تخلف وسائل النقل والمواصلات.

ج- فقدان الأمن على طرق القوافل التجارية.

إذا كان هذا ما يخص التجارة الداخلية فما هو وضع التجارة الخارجية؟

تركزت معظم طرق التجارة الخارجية بيد الجاليات الأوروبية وتجارهم، وذلك من خلال توقيع

معاهدات الامتيازات بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، ومع دخول السلطان سليم الأول مصر سنة ١٥١٧ عقد مع ممثلي البندقية معاهدة تجارية منحهم الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها أيام المماليك، وحصل البريطانيون على امتياز سنة ١٥٨٣، والهولنديون على امتياز سنة ١٦٠٩، ونالت بروسيا في سنة ١٧٦١ أول معاهدة تجارية وصدقة مع السلطنة العثمانية

في البداية لم تؤثر تلك الامتيازات في الدولة العثمانية بسبب قوتها؛ ولكن بعد ظهور الضعف والانحلال عليها، ونشوء المسألة الشرقية، وتفاقمها إبان القرن التاسع عشر أصبحت تلك الامتيازات بمثابة دولة داخل دولة فضلاً عن تحويل الدولة العثمانية إلى شبه مستعمرة بفضل تلك الامتيازات؛ لأن التاجر الأجنبي (المستأمن) يدفع نسبة قليلة من الرسوم الجمركية المفروضة عليه مقارنة بما يدفعه التاجر المحلي؛ وهذا ما أدى إلى إضعاف قطاع التجارة.

أما في المجال الاجتماعي: من المعروف أن تأثير العثمانيين في المجتمع العربي في بلاد الشام كان ضعيفاً، حيث تُركَّ يَعيش وفقاً لقوالبه العربية، فحافظ على لغته، وعاداته، وتقاليده، لكن من الجدير ذكره أن للعرب رعاية خاصة إبان العهد العثماني؛ والسبب في ذلك أن لغتهم هي لغة القرآن، وأن الحضارة العربية الإسلامية مرتبطة بهم؛ فضلاً عن ذلك كان حكام بني عثمان يؤمنون بالفكرة العثمانية أي بتنوع الثقافات، وتعدد الشعوب التي تضمها دولتهم.

إذا كان هذا هو سبب التعايش بين العثمانيين، ورعاياهم فما سبب التباعد؟ عندما برزت سياسة التتريك التي تبنتها حركة الاتحاد والترقي في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حصل تباعد بين الترك ورعاياهم بشكل عام، والترك والعرب بشكل خاص أما فيما يخص التعليم إبان عصر التنظيمات: ازدادت المدارس الأهلية والمدارس التي ترعاها الدولة العثمانية؛ فضلاً عن المدارس التي لحقت بالإرساليات، والبعثات التبشيرية التي وسعت شق الخلاف بين الدولة العثمانية ورعاياها، فكان أكثر رواد الفكر القومي الذين تخرجوا من تلك المدارس قد دعوا إلى المساواة مع الأتراك في البداية، وفي نهاية المطاف دعوا إلى انفصال العرب عن الترك.

وبما أن جبل لبنان شكل ركناً أساسياً من أقاليم بلاد الشام، فقد تأثر بالتنظيمات العثمانية التي طرأت على الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية إبان القرن التاسع عشر، فكان لابد من دراسة تلك الأوضاع ما بين سنتي ١٨٤٠-١٩١٨ لما تحمله من متغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية، فتمثلت تلك المتغيرات بالتنظيمات العثمانية وخصوصاً مرسوم كلخانة سنة ١٨٣٩، ومرسوم همايون سنة ١٨٥٦

وقانون الأراضي سنة ١٨٥٨ الذي تمحور حول تطوير الريف بعد إصلاح نظام الملكية الخاص بالأراضي وإلغاء العلاقات الزراعية القديمة القائمة على نظام الالتزام، وتمكين الفلاح من حق التصرف بالأرض التي يعمل بها، لكن الوضع الجديد الناتج عن هذا القانون كان أسوأ من ذي قبل بالنسبة للفلاحين ومن التنظيمات التي تأثرت بها ولايات جبل لبنان خلال فترة الدراسة: قانون الولايات الصادر سنة ١٨٦٤، قانون المطبوعات الصادر سنة ١٨٦٨، قانون المعارف الصادر سنة ١٨٦٩.

لكن الدستور العثماني الذي صدر في بداية عهد السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦ - ١٩٠٩، علّق سنة ١٨٧٨، واستمر حتى سنة ١٩٠٩، وعندما استلمت حركة الاتحاد والترقي الحكم، تم استغلاله لصالحهم؛ عندما قاموا بسياسة التتريك، وكرد فعل على ذلك تأججت القومية العربية، ولم ينته العبء العثماني إلا بعد دخول العثمانيين الحرب العالمية الأولى إلى جانب الألمان سنة ١٩١٤، وقيام الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦، ثم نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨، وخروج آخر جندي عثماني بموجب معاهدة مودرس.

أولاً - أسباب اختيار البحث: من الأسباب التي دفعتني لاختيار البحث هي الأحداث المهمة التي عاشها جبل لبنان؛ وخصوصاً زوال الحكم المصري، وإنشاء قائمقاميتين في جبل لبنان سنة ١٨٤٢ الأولى: شمالية يتولى إدارة شؤونها قائمقام ماروني، والثانية: جنوبية يتولى إدارتها قائمقام درزي وكانت حدود قائمقامية المسيحيين تمتد من مشارف طرابلس حتى طريق الشام - بيروت، أما قائمقامية الموحدين من طريق الشام حتى صيدا، ثم ما لبث أن عادت الفتن، والمؤامرات بعد أن حركت خيوطها الإدارة العثمانية، وغذتها أصابع القناصل، والمبعوثين الغربيين؛ لأن خروج الحكم المصري من جبل لبنان ترك فراغاً سياسياً تم استغلاله من قبل الدول الأوروبية؛ وخصوصاً بريطانيا وفرنسا عن طريق نشر الطائفية، وتوظيفها سياسياً، حتى أصبحت كل طائفة تسعى لحماية وجودها والاحتماء بإحدى تلك الدول؛ مما جعل الساحة في جبل لبنان قابلة للانفجار في أية لحظة، حيث بدأت الصراعات الطائفية بين الموحدين، والموارنة منذ سنة ١٨٤٠، ولم تنته إلا سنة ١٨٦٠ بعدما حصدت الكثير من الأرواح، والتي امتدت إلى دمشق وحلب.

ومن الأسباب الأخرى لاختيار هذا البحث هو التحول عن المفهوم التقليدي للتاريخ الذي كاد أن يهتم فقط بأخبار الطبقة الحاكمة، و يروي الأسماء، و التفاصيل، و أخبار حروبهم، دون التعرض إلى دراسة البنى الاقتصادية والاجتماعية .

ثانياً-أهمية البحث: تنطلق من كون موقع جبل لبنان بوابة بلاد الشام على العالم من الناحية التجارية؛ فضلاً عن ذلك فقد شكل هذا الموقع عاملاً مهماً لمحاولات الدول الاستعمارية السيطرة عليه للدخول إلى المنطقة، ومن المعلوم أن بيروت كانت ميناء بلاد الشام، وارتبط ازدهارها، ونموها بتطور التجارة العالمية بوجه عام، وتوسع العلاقات التجارية بين الدولة العثمانية، وأوروبا بوجه خاص. أما سبب اختياري لفترة الدراسة، فيعود إلى أن سنة ١٨٤٠ كانت نهاية الحكم المصري عن جبل لبنان، وعودته للحكم العثماني، أما سنة ١٩١٨ هي نهاية الحرب العالمية الأولى، وخروج آخر جندي عثماني عن المنطقة بموجب معاهدة مودرس.

ثالثاً- إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث في الإجابة عن التساؤلات المطروحة، وأهمها:

- أ- هل أثرت التنظيمات العثمانية في الأحوال الاجتماعية، والاقتصادية في جبل لبنان.
- ب- هل كان للتدخل الأجنبي دوراً في إذكاء نار الفتنة في جبل لبنان؟ وما مدى انعكاس ذلك على الاقتصاد فيه؟
- ج- هل أثرت الصراعات الطائفية في العلاقات الاجتماعية؛ وخصوصاً فيما يتعلق بقضايا الزواج والبيع، والشراء.

رابعاً- أما أهداف البحث فيمكن إجمالها بالآتي:

- ١- دراسة الأوضاع الاجتماعية في جبل لبنان من عادات وتقاليد، وبيان أثر الطائفية والتدخلات الأجنبية في العلاقات الاجتماعية بين المواطنين.
- ٢- دراسة الهجرة الناتجة عن الحروب الطائفية، وانعكاس ذلك على الاقتصاد.
- ٣- دراسة أثر الامتيازات الأجنبية في الوضع التجاري، وأرباب الصنائع في جبل لبنان.

منهج البحث.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي، والتحليلي في دراسة الأحداث التاريخية، بقصد تقديم دراسة تحليلية بالاعتماد على الوثائق، والمصادر والمراجع ذات الصلة، والهدف منها الوصول إلى النتائج العلمية المرجوة.

لقد توزعت الرسالة على مقدمه وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

فتناولت المقدمة مسوِّغات اختيار البحث، وأهميته، وإشكاليته، وأهدافه، ومنهجيته، وأهم مصادره. أما التمهيد: فتناول الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية لجبل لبنان قبيل فترة الدراسة. وبالانتقال إلى الفصول:

تضمن الفصل الأول: دراسة الأوضاع السياسية في جبل لبنان خلال فترة الدراسة.

أما الفصل الثاني: فقام بدراسة الزراعة والإنتاج في جبل لبنان، وأنواع الاستثمار الزراعي وأنواع المزروعات المنتجة فضلاً عن تربية الحيوان.

كما عالج موضوع الصناعة والتجارة ومدى مساهمتهما في الحياة الاقتصادية فأشرنا إلى أنواع الصناعات الموجودة والأسواق والنقود والأسعار .

أما الفصل الثالث: فتناول دراسة الأوضاع الاقتصادية لجبل لبنان خلال الحرب العالمية الأولى وأشرنا إلى التبشير والامتيازات الأجنبية وأثرهما في مجتمع جبل لبنان.

أما الفصل الرابع: فتحدث عن الطبقات الاجتماعية الموجودة في الجبل، وعالج موضوع العادات والتقاليد الاجتماعية، كما تناول الحياة الأدبية والفكرية في الجبل، وانتهى بدراسة الأوضاع الصحية وما عاناه السكان من أوبئة، وأمراض.

أما الخاتمة: فشملت على أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

و من أهم المصادر التي اعتمد عليها البحث :

١- دفاتر المساحة :

- دفتر مساحة عين قنية، قضاء الشوف عام ١٨٩٧ ، محفوظ في منزل سليمان عباس بريش.

- دفتر مساحة قرية بقسميا، قضاء البترون عام ١٩٠٥ ، محفوظ في مكتبة ميشال أبي فاضل.

٢- دفاتر الحسابات :

- دفتر حسابات مدرسة سيدة النصر كفيفان، قضاء البترون، سنة ١٨٧٢، محفوظ في مكتبة منعم

منعم - كفيفان.

- دفاتر حسابات حاصلات وقف المدرسة الدرزية في عبيه ١٨٧٣-١٨٨٩، محفوظة في مكتبة

الحامي سليمان تقي الدين -بعقلين.

- دفاتر حسابات الشيخ ملحم تقي الدين، بعقلين الشوف ١٨٨٧-١٩٢٥، مكتبة المحامي سليمان تقي الدين - بعقلين .

٣- سالنامه جبل لبنان سنة ١٣٠٦ هـ/١٨٨٩.

٤- سالنامه جبل لبنان سنة ١٣٠٧ هـ/١٨٩٠.

حاولت في هذه الرسالة تقديم دراسة مفصلة عن جبل لبنان اقتصادية - اجتماعية، وإنني لأرجو أن أكون قد أحرزت النجاح في جهدي هذا.

وأخيراً: كل الشكر والتقدير للأستاذ المشرف عبد المنعم الأحمد على الجهود المضاعفة التي بذلها من أجل إنجاز هذا العمل بالشكل الأمثل.

والشكر والامتنان لأساتذة قسم التاريخ على ما استفدته من علمهم، والشكر موصول للجنة التحكيم الموقرة على الجهود التي بذلها كلُّ من المحكِّمين في قراءة البحث و تقويمه.

و الله ولي التوفيق

الطالب

أحمد محمد نعامة



التمهيد التاريخي

كان جبل لبنان^(١) بما فيه كسروان في العهد المملوكي جزءاً من نيابة طرابلس، وكان باشا طرابلس يُعين حكام مقاطعات هذا الجبل، ولقد حكمته أسرة آل عساف، ثم انتشر مذهب الموحدين في مطلع القرن الخامس الميلادي في وادي التيم^(٢)، وبقي جبل لبنان جزءاً من بلاد الشام، وجاء العثمانيون وخضع لهم كبقية مناطق الشام وكان نفوذ الموحدين قد زاد، فتسلم فخر الدين المعني الأول^(٣) إمارة جبل لبنان^(١) = بأمر من السلطان العثماني سليم الأول مقابل أن يعترف الأمير بالسيادة

١- جبل لبنان: عرّفه ياقوت الحموي بأنه جبل مطل على حمص، وعرّفه العديد من الرحالة، ومنهم ابن جبير الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، وقال (جبل لبنان المذكور هو حد بين بلاد المسلمين و الإفرنج)، أما الرحالة الفرنسي أوجين روجيه الذي عاش في عهد الأمير فخر الدين الثاني في النصف الأول من القرن السادس عشر؛ فقد تحدث بإسهاب عن جبل لبنان، ومما قاله: (هذا الجبل الجليل هو واحد من أعلى الجبال تحت السماء مساحته نحو ستين فرسخاً). ولما فتح العثمانيون بلاد الشام ١٥١٦ تعزز حكم العسافيين على كسروان، وامتد حتى جبيل؛ واتخذوا من غزير قاعدة لهم، وانتهى حكمهم بوفاة آخر أمراءهم ١٥٩٠ محمد بن منصور العسافي، وذلك على يد يوسف باشا سيفا حاكم طرابلس، وفي سنة ١٥٩٨ استولى فخر الدين المعني الثاني أمير الشوف على مقاطعة كسروان، وفي سنة ١٦٦٠ أنشئت ولاية صيدا وأصبحت مقاطعة كسروان تابعة لهذه الولاية، وتولى حكم بلاد جبيل والبترون والكورة وجبة بشرى في القرن السابع عشر آل حمادة الشيعة حتى سنة ١٧٧٠، وحافظ جبل لبنان على وضعه الجغرافي السابق خلال الحكم الشهابي الذي خلف الحكم المعني لإمارة الشوف؛ أي منذ أواخر القرن السابع عشر حتى أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر، أما تعريف جبل لبنان حسب ما أورده كمال الصليبي في كتابه تاريخ لبنان الحديث: (أما عبارة جبل لبنان فكانت تطلق أصلاً على المناطق التي يسكنها الموارنة في أقصى الشمال، وهي جبة بشرى وبلاد البترون وجبيل، وكانت منطقة كسروان التي يسكنها الموارنة أيضاً، تُعد جزءاً من جبل لبنان، وكانت عبارة جبل لبنان يقابلها ما سمي بجبل الموحدين أو جبل الشوف، وهي المنطقة الواقعة إلى الجنوب من كسروان، أما جبل الشوف فلم يكنسب اسم جبل لبنان إلا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وفي أواخر عهد الإمارة الشهابية). سويد، ياسين: التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإماراتين، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤٤-٤٥-٤٦. الصليبي، كمال سليمان: تاريخ لبنان الحديث، دار النهار بيروت، ط ٦، ١٩٨٤، ص ١٢-١٣.

٢- وادي التيم: منطقة جبلية بين البقاع والحرمون يحدها شرقاً وادي العجم وإقليم البلان، وشمالاً سهل البقاع، وغرباً مرجعيون، وجنوباً سهل الحولة، ويقسم إلى قسمين: الوادي الأعلى وقاعدته راشيا، والوادي الأسفل وقاعدته حاصبيا وفي أواخر القرن الثاني عشر الميلادي كان خاضعاً للحكم الصليبي، وجعل هؤلاء من حاصبيا مركزاً لهم، ولما نزع الشهابيون في عهد الملك العادل نور الدين زنكي ملك الشام من حوران سنة ٥٦٧هـ الموافق لـ ١١٧٢م أخذوا يقاتلون الصليبيين بقوة، وسيطروا على حاصبيا، واتصلوا بالمعنيين في الشوف، وكان أميرهم آنذاك الأمير يونس، وصار تحالف بين المعنيين والشهابيين، وظل هذا التحالف حتى منتصف القرن التاسع عشر، وكان من أثر هذا التحالف أن تسلم الأمراء الشهابيون حكم البلاد المعنية بعد وفاة آخر أمراءهم الأمير أحمد المعني ١٦٩٧ فانتقل حكم بلاد الشوف ووادي التيم إلى الأسرة الشهابية. سويد: المرجع السابق، ص ٣٢.

٣- فخرالدين المعني الأول: هو ابن عثمان بن أحمد من آل معن من أمراء الشوف، كان ممن حضر معركة مرج دابق بين قانصوه الغوري والسلطان سليم الثاني، وفرّ من جيش قانصوه، فلحق بجيش السلطان سليم، ومنحه لقب =

العثمانية، ويقدم للدولة في الآستانة الجزية السنوية^(٢)، وفي أثناء دخول العثمانيين ساعدهم رغبة منه في زيادة نفوذه، ولكن عندما ظهرت أطماعه عُزل، وعُين ابنه قرقماس، ثم فخر الدين المعني الثاني^(٣) سنة ١٥٩٠ الذي بدأ يتصل بالإمارات الإيطالية، ويقوي نفوذه، وحين بلغ ذلك ثار ضد العثمانيين، فجردوا ضده حملة عسكرية هزمته، فهرب إلى إيطاليا ثم عفت عنه الدولة العثمانية، وما لبث أن عاد إلى سيرته الأولى فهُزم مرة أخرى، وقبض عليه سنة ١٦٣٥^(٤)، وبعد المعنيين برز اسم الشهابيين في جبل لبنان وهم من الموحدين أيضاً، ومن بين الذين اُشتهرَ منهم بشير الشهابي الثاني^(٥)، حيث ساعده والي عكا أحمد باشا الجزائر^(٦) ضد خصومه، ومكّنه من منصبه لكن قدوم

= (مقدّم) وعينه في إمارة الشوف، وهو جد فخر الدين المعني الثاني. الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، ٨ أجزاء دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠، ج ٥، ص ١٣٧.

١- ياغي، إسماعيل: تاريخ العالم العربي المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض، ١، ٢٠٠٠، ص ١٤١.

٢- الشيخ، رأفت: تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٤، ص ٤٧.

٣- فخر الدين المعني الثاني: هو ابن قرقماس بن فخر الدين المعني الأول من آل معن، وهو من دروز الشوف الذي ولد فيها، وثبتت له إمارته بعد أبيه سنة ١٦٠٣، فاستولى على صيدا، صفد، بيروت. فجردت الدولة العثمانية ضده قوة عسكرية، فركب البحر فاراً إلى إيطاليا، وكان له اتصال مع أمراء فلورنسة، فترل عندهم سنة ١٦١٢، وبقي هناك إلى أن عفت عنه السلطنة العثمانية سنة ١٦١٧ وعاد مرة أخرى إلى الجبل، وأُنعِمَ عليه بلقب سلطان البر ولكن طمعه في السيطرة على ولايات دمشق، حلب القدس؛ أدى إلى ألقاء القبض عليه، وحُمل إلى الآستانة مقيداً مع ولدين له سنة ١٦٣٤ فسجن لمدة، ثم ما لبث أن عفا عنه السلطان، ولكثرة الوشايات أمر السلطان بقتله.

الزركلي: المرجع السابق، ج ٥ ص ١٣٧-١٣٨.

٤- ياغي: المرجع السابق، ص ١٤١ .

٥- بشير الشهابي الثاني ١٧٦٠-١٨٥٠: بشير بن قاسم بن عمر الشهابي أكبر الأمراء الشهابيين، ولد في غزير ومات والده سنة ١٧٦٨، فتزوجت أمه، وأهملته فعطفت عليه خادمة كانت لأبيه، ولما بلغ السادسة عشرة من عمره قصد دير القمر، وبقي فترة من الزمن ثم اتصل بأحمد باشا الجزائر والي صيدا، فقرّبه منه وولاه إمارة الشوف سنة ١٧٨٩، فعزل عدة مرات، وأعيد حتى قدم إبراهيم باشا فوقف لجانبه، ولما خرج إبراهيم من سورية قبض عليه البريطانيون، ونفوه إلى مالطا سنة ١٨٤٠، ثم التمس الإقامة في الآستانة، فمكث فيها ثلاث سنوات، وأُرسل إلى الأناضول سنة ونصف وتحول إلى بروسيا؛ وبقي هناك سنتين، ثم عاد إلى الآستانة، وتوفي هناك. الزركلي: المرجع السابق، ج ٢ ص ٥٧.

٦- أحمد باشا الجزار ١٧٢٠-١٨٠٤ والي عثماني، امتاز بنوع من الاستقلالية، أصله من البوسنة، أسس جيشاً خاصاً به، وطبق سياسة الاحتكارات، و وضع كتاباً في وصف مصر باسم نظام نامه مصر. سمياليا نسكاي، إيرينا: سوريا ولبنان وفلسطين في النصف الأول من القرن التاسع عشر من خلال (مذكرات رحالة وتقارير علمية واقتصادية ووثائق قنصلية وسياسية وعسكرية)، ترجمة يوسف عطا الله وقدم له مسعود ضاهر، دار النهار بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ص١٨٨.

نابليون إلى عكا^(١)، ورفض بشير مساعدته بعد أن طلب المساعدة، وعند فشل نابليون دخول عكا أخذ الجزار يضايق الشهابي وأجبره على الفرار، ولكن ما لبث أن عاد إلى إمارته بناءً على تدخل بريطانيا ومحمد علي لدى الجزار^(٢)، وانضم الشهابي إلى والي عكا الجديد عبد الله باشا في نزاعه مع السلطان العثماني، وعندما هزم سنة ١٨٢٣ فرّ الشهابي إلى مصر^(٣)، فتوسط محمد علي^(٤) لدى السلطان، وعاد الشهابي إلى إمارته، فانضم إلى جيوش إبراهيم باشا^(٥) عندما دخلت بلاد الشام^(٦) وانضم إلى المسيحية المارونية ليكسب تأييدهم، وخصوصاً عندما تعاضمت قوة الكنيسة المارونية، فلم يكن باستطاعته دعم الإقطاعيين الموارنة في مواجهة الإقطاعيين الموحدين؛ لأنهم كانوا أقل نفوذاً فلذلك اعتمد على الكنيسة المارونية للاستفادة من الدعم الإقطاعي^(٧)، وبينما كانت أكثرية أعيان الموحدين في جبل لبنان ضد الحكم المصري، فقد أكد البطريرك الماروني يوسف حبيش^(٨) لإبراهيم باشا ولاءه له^(٩).

١- عكا: هي مدينة عاكو الفينيقيّة، احتلها العرب، وجددوا بناءها بأمر من معاوية ٥٠هـ الموافق لـ ٦٧٠م سقطت سنة ٥٨٧هـ الموافق لـ ١١٩١م بيد الصليبيين، فهدموا العديد من معالمها، أقام فيها الجزار سنة ١٧٩٠م جامعاً، صمدت أمام مدافع نابليون سنة ١٧٩٩، و انهارت فيما بعد تحت ضربات إبراهيم باشا وجيشه القوي. هشي، سليم حسن: المراسلات الاجتماعية والاقتصادية لزعماء جبل لبنان خلال ثلاثة قرون ١٦٠٠-١٩٠٠، مطبعة نمم، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤، ص ١٣٨.

٢- الشيخ: تاريخ العرب الحديث، ص ٥٢ - ٥٣.

٣- عمر عبد العزيز، عمر: تاريخ المشرق العربي ١٥١٦-١٩٢٢، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٤٣.

٤- محمد علي: ولد محمد علي سنة ١٨٦٩ في مدينة كافاله (قوله) بإقليم مقدونيا، عاش طفولته يتيماً مترعراً في أحضان أسرة غربية، واشتغل في تجارة التبغ، أصبح قائداً للقوات الألبانية التي دخلت في عداد الجيوش العثمانية المرسلة إلى مصر تحالف مع المماليك معلناً معهم حرباً على الباشوات العثمانيين، وعندما ثار الشعب المصري ضد المماليك انحاز إلى جانب الثوار، وفي سنة ١٨٠٥ نادى به مجموع الشيوخ في الأزهر حاكماً على مصر، فأثار ذلك السلطنة العثمانية، كيف أن ضابطاً ألبانياً يرتفع مقامه بهذه السرعة، فأصدر الباب العالي أمراً بإرجاعه إلى وطنه ولكن ذلك أثار الاحتجاجات والاضطرابات عند مختلف الأوساط المصرية فاضطر السلطان سليم الثالث أن يعترف بمحمد علي والياً على مصر. الجميل، سيار: تكوين العرب الحديث، عمان، دار الشروق، ١٩٩٧، ص ٣١٢-٣١٤.

٥- إبراهيم باشا: ١٧٩٠-١٨٤٨: ابن محمد علي والي مصر، قائد عسكري مصري ورجل دولة، وفي سنوات ١٨٢٧-١٨٢٤ كان قائداً للأسطول المصري الذي شارك في العمليات العسكرية ضد ثورة اليونان، وفي سنوات ١٨٣٣-١٨٤١ كان والياً على سوريا. سميلىانسكايا: مرجع سابق، ص ١٨٩.

٦- ياغي: مرجع سابق، ص ١٤٢.

٧- فارس، هاني: التزايدات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث، الأهلية للنشر، د.ت، ص ٥١.

٨- البطريرك يوسف حبيش: يعقوب ابن الشيخ جوان حبيش من كسروان، وتعلّم بمدرسة عين ورقة، رقاہ المطران أنطوان الخازن إلى درجة الكهنوت سنة ١٨١٤ على كنيسة مارجرجس، ثم رقاہ البطريرك يوحنا الحلو إلى =

كانت للدسائس الأوروبية والعثمانية أكبر الأثر في هياج الناس، واستمرار عصيانهم ضد الحكم المصري حيث خشيت الدول الأوروبية من عواقب تعاضم قوة محمد علي بعد سيطرته على بلاد الشام فكانت بريطانيا تحرص على إيجاد المصاعب أمام قواته؛ لإجباره على التراجع والانسحاب^(٢).

كان التجار الأجانب الذين حصلوا على التسهيلات التجارية وفقاً للامتيازات الأجنبية الممنوحة يحققون أرباحاً طائلة، ومن بين هؤلاء التجار بعض القناصل الأوروبيين، فتخوفوا على تجارهم التي تم ضربها من خلال سياسة محمد علي التجارية القائمة على احتكار السلع الغذائية^(٣).

حيث قام الأمير بشير بمساعيه من أجل تهدئة الثورة فرفض الثوار ذلك، وطالبوا بعدم دفع الضريبة إلا مرة واحدة، وأن يبقى السلاح بحوزتهم، وكان هذا الموقف المتصلب للثوار يعود إلى دعم الدول الأوروبية وتدخلها^(٤)، ثم ما لبث الحلفاء أن سيطروا على كثير من الموانئ، وهزم إبراهيم باشا في موقعة بحر صاف؛ مما اضطره للانسحاب بعد أن وصلت أوامر أبيه بذلك، أما الأمير بشير فسلم نفسه في صيدا، ونفي إلى مالطا ومعه حاشيته، ثم إلى الآستانة حيث توفي هناك سنة ١٨٥٠^(٥).

كان النظام الإقطاعي السائد في مجتمع جبل لبنان نظاماً اجتماعياً اقتصادياً عماده الأول الإنتاج الزراعي، وظل عمل الفلاح، وارتباطه بالأرض مع سائر أفراد أسرته العنصر الأساسي في الإنتاج حيث، كانت ملكية الأرض في مطلع العهد العثماني تنقسم إلى قسمين: الأول - ويسمى الديموز:

=أسقفية طرابلس سنة ١٨٢٠، ومع وفاة البطريك اجتمع الأساقفة، وانتخبوه بطريكاً سنة ١٨٢٣، ثم توفي في سنة ١٨٤٥. الدبس، يوسف: تاريخ سورية الدنيوي والديني، ١٠ ج، دار نظير عبود، بيروت، د.ت، ج ٨، ص ٢٦١.

١ - تقي الدين، سليمان: المسألة الطائفية في لبنان، الجذور والتطور التاريخي، دار ابن خلدون، بيروت، د.ت ص ١٥٢.

٢ - الجمعي، عبد المنعم: ثورات الدروز والموازنة ضد حكم محمد علي في جبل لبنان ١٨٣٥-١٨٤٠، مطبعة الجبلاني، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٣٢.

٣ - غنام، رياض: المقاطعات اللبنانية في ظل الحكم المصري ١٨٣٢-١٨٤٠، المركز الوطني للمعلومات والدراسات، الدار التقديمية، لبنان، المختارة، ١٩٨٨، ص ٩٩.

٤ - حيث قام يوسف الزنايري ترجمان قنصل النمسا بتحريض أهالي زحلة على الثورة، كما أن نعمة طراد ترجمان قنصل بريطانيا قدم الغلال للثوار، ووعدهم بأن سفينة مشحونة بالسلاح ستصل قريباً لهم. رستم، أسد: بشير بين السلطان والعزير، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٧٨.

٥ - ياغي، هاشم: ملامح المجتمع اللبناني الحديث، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٤، ص ٣٢.

وهي الأراضي العامة وتعود ملكيتها للسلطنة وكانت تعطى بصورة إقطاع تيمار وزعامت^(١)، حيث كانت الأرض تعطى للفلاحين مقابل قسم من الإنتاج، فضلاً عن دفع الفلاح الضرائب مرتين أو ثلاث مرات في السنة حتى انتهاء الحصاد، أما القسم الثاني؛ فيسمى (قسم) أو الإقطاع الخاص^(٢): وهي الأراضي العائدة للأشخاص، وتعدّ ملكاً شخصياً، وعليها دفع الأعشار والرسوم^(٣)، وتولى أصحاب هذه الإقطاعيات إدارة إقطاعاتهم لقاء واجبات تعهدوا بأدائها للسلطنة، ومن أهمها: استعدادهم للقتال ضد أعدائها بتجهيز عدد من المقاتلين^(٤)، وتوضحت ملامح النظام الإقطاعي في جبل لبنان بعد موقعة عين دارة^(٥) سنة ١٧١٠ بشكل واضح، حيث كان الحكم يتولاه أحد الملتزمين من الأمراء الشهابيين، وكان الأمير الحاكم يشكل رأس النظام الإقطاعي في جبل لبنان، وكان الملتزم يقوم بدور الوسيط بين الأمير الحاكم والفلاحين العاملين في الأرض، حيث كان يقوم بجباية الضرائب منهم فأطلق هؤلاء الإقطاعيون العنان لأطماعهم، وأنكروا الأهالي بتحصيل الضرائب أضعافاً مضاعفة^(٦)، وهذا الاستنزاف المتواصل للفلاحين أدى إلى إفقارهم؛ بسبب سيطرة الإقطاعيين على إنتاجهم واستغلالهم، مما شكل دافعاً للقيام بانتفاضتهم ضد الحكم الإقطاعي، وهذا التعبير الرفض

١- التيمار: هي إقطاعات صغيرة يتراوح دخلها بين ثلاثة آلاف وعشرين ألف آقجة، والزعامت: إقطاعات متوسطة يتراوح إيرادها بين ٢٠٠٠-١٠٠٠٠ آقجة، وكانت كل آقجة تساوي ١٢٠ قرش. عوض، عبد العزيز محمد: الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٢٣.

٢- الإقطاع الخاص: الإقطاعات الكبيرة التي يزيد إيرادها على ١٠٠٠٠ آقجة. عوض: المرجع نفسه، ص ٢٢٣.

٣- الحسيني، علي: تاريخ سوريا الاقتصادي، مطبعة بدائع الفنون، دمشق، ١٩٢٣، ص ١٤٩ - ١٥٠.

٤- جودت باشا، أحمد: تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر الدنا، مطبعة جريدة بيروت، بيروت ١٣٠٨هـ - ١٨٩٠ ص ٩٩-١٠٠.

٥- موقعة عين دارة: هي المعركة التي جرت بين الحزبين القيسي بزعامة الأمير حيدر الشهابي، والحزب اليميني بزعامة آل علم الدين، ومحمود أبي هرموش، وأسفرت المعركة عن:

- انتهاء الصراع القيسي اليميني في الشوف بالهزيم اليمينية، وقتل معظم أمرائهم من آل علم الدين، وإضعاف آل أرسلان بانتزاع أجزاء من مقاطعاتهم.

- تناقص عدد الموحدين في الشوف بسبب هجرتهم إلى حوران بسبب الحرب و المعارك.

- إعادة توزيع الإقطاعات على الأسر التي ناصرت الأمير حيدر في معركته، واقتطاع الأمير حيدر لنفسه خمس قرى نبحا، عماطور، بعقلين، عين دارة، بتلون. اليازجي، ناصيف: رسالة تاريخية في أحوال جبل لبنان في عهده الإقطاعي، تحقيق محمد خليل باشا و رياض حسين غنام، دار معن، د.ت، ص ٤٨.

٦- عوض: المرجع السابق، ص ٢٢٥.

لواقع الفلاحين الاجتماعي، والاقتصادي كان يتم قمعه في كل مرة من قبل القوى الإقطاعية بدعم من السلطة المركزية، وظلت تلك القوى تعمل على ضرب أية محاولة ترمي لرفع المستوى المعيشي للفلاحين^(١)، وجعلت العلاقات الاجتماعية - الاقتصادية من الأسر الإقطاعية الوسيط الطبيعي للسلطان العثماني؛ لأن عملية جباية الضرائب اللازمة للسلطنة ارتكزت على نفوذها الاجتماعي والاقتصادي، والسياسي، ولم تتمكن السلطنة من الاستغناء عن هذه الأسر؛ لإظهار سيادتها في الوقت الذي كانت فيه هذه الأسر بحاجة إليها؛ لضمان تفوقها من خلال السلطة الجزئية التي اضطرت الدولة العثمانية لإعطائها إياها^(٢).

ظل النظام الإقطاعي على هذا المنوال حتى قيام الحكم المصري في بلاد الشام الذي عمل على إحداث تبدل نوعي في بعض مظاهر هذا النظام، فعملت حكومة محمد علي على حل الجيوش الإقطاعية وتجريد السكان من السلاح، وجباية الضرائب مباشرة بواسطة موظفين رسميين شكلوا بديلاً عن المشايخ، والإقطاعيين، والأمراء^(٣)، وعملت الدولة العثمانية على استغلال محاولة محمد علي إلغاء النظم الإقطاعية، فعملت على تكريس ذلك في خط كلخانة^(٤) سنة ١٨٣٩ عادة: (أن أصول الالتزامات هي من آلات الخراب، ولم يكن منها ثمر نافع في وقت من الأوقات، وبذلك تم الاستعانة في جباية الضرائب بموظفين حكوميين)^(٥)، ولكن ما لبث أن اضطرت الدولة العثمانية للعودة إلى أسلوب الالتزام سنة ١٨٤٢^(٦).

١- غنام، رياض: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر دراسة وثائقية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، بيسان، بيروت، ٢٠٠٠، ص ١٨.

٢- شوفالييه، دومينيك: مجتمع جبل لبنان في عصر الثورة الصناعية في أوروبا، ترجمة منى عبد الله عاقوري، دار النهار، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٨١.

٣- بولياك، أ.ن: الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، ترجمة عاطف كرم، دار المكشوف، بيروت، ط ١، ١٩٤٨، ص ٢٠١-٢٠٢.

٤- خط كلخانة: نسبة لقصر كلخانة (قصر الزهور) الذي قرأ فيه مصطفى رشيد باشا فرمان السلطان عبد المجيد ١٨٣٩-١٨٦١ وذلك بحضور السلطان والوزراء وكبار علماء الدين والإدارة والجيش وجرى التأكيد على:

١- ضرورة إيجاد ضمانات لأمن جميع رعايا الدولة على حياتهم وأموالهم.
٢- إيجاد نظام ثابت للضرائب. صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠، ص ١٠١-١٠٢.

٥- عوض: مرجع سابق، ص ٢٢٩-٢٣٠.

٦- أعيد نظام الالتزام بعد سنة ١٨٤٢ أكثر من مرة، وذلك بدعم من قبل الإقطاعيين من أجل المحافظة على امتيازاتهم، وزعامتهم، وبقي العمل بأسلوب الالتزام حتى سنة ١٨٤٦، حيث عهدت الدولة بتحصيل الأعشار =

وجد في الجبل قبل دخول المصريين ثلاثة أنواع من الضرائب: الميري أو ضريبة الأرض الزراعية الجزية^(١) أو مال (الجوالي) على الأعناق، المكوس أو الضريبة الجمركية^(٢)، ومع دخول المصريين إلى الإمارة الشهابية ألغوا ضريبة الحبوب التي كان عبد الله باشا قد فرضها، وتبلغ قيمتها خمس القيمة الحقيقية، ولكن ما لبث المصريون أن فرضوها مرة أخرى^(٣).

فرضت حكومة محمد علي ضريبة الميري الخضراء التي تجبى مالا عن الأشجار، وتقدر هذه الضريبة بخمسة بالمئة من مردود تلك الأشجار، كما فرضت ضرائب على المغروسات الجديدة حتى قبل بدء عطائها للثمر، مما دفع الكثير من الفلاحين إلى العدول عن غرس الأشجار المثمرة^(٤)، ومما زاد من فداحة الضرائب؛ هو طريقة جبايتها فعندما كان والي عكا يطلب ثلاثة قروش لخزينته، كان الأمير يطلب ثلاثة أضعاف، ويكلف بذلك الإقطاعي الذي يرسل المبلغ المفروض إلى بيت الدين^(٥) بعبداً بعد أن يكون قد اقتطع لنفسه مبلغاً^(٦).

=لموظفي الدولة لمدة خمس سنوات، وفي سنة ١٨٥٦ صدرت التنظيمات الخيرية، وبموجبه أعيدت أصول الالتزام مع منع موظفي الدولة والمجالس المحلية من التعهد بأي التزام، وفي سنة ١٨٨٥ أعيد نظام الالتزام على أساس تلزيم القرى فقط. الصمد، قاسم: تاريخ الضريبة السياسي والاجتماعي في العهد العثماني، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر د.ت، ص ٦١.

١- (إن مال الأعناق فرض على المسيحيين في السلطنة العثمانية مقابل حماية الدولة لحياهم وعرضهم ومالهم، أما نحن سكان جبل لبنان فلم نكلف قط حكومة الباب العالي أن تحمينا هذه الحماية والعكس هو الواقع فقد كانت عادتنا حماية ذواتنا، وكنا نذود عن وطننا وعن الولايات المجاورة ونخضع سكانها كلما حاولوا شق عصا الطاعة على السلطنة العثمانية) هذه عريضة رفعها الإقطاعيون الموحدون والمسيحيون وأهالي جبل لبنان عموماً في سنة ١٨٤٢ إلى الباب العالي طالبين إلغاء تلك الضرائب التي فرضها محمد علي عليهم. يزبك، يوسف إبراهيم أوراق لبنانية، دار الرائد اللبناني، ١٩٨٣، ص ١٠٩.

٢- سعيد، عبد الله إبراهيم: تطور الملكية العقارية في جبل لبنان في عهد المتصرفية، تقديم مسعود ضاهر، دار المدى، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٧٤.

٣- غيز، هنري: بيروت و لبنان منذ قرن و نصف، ج ٢، تعريب مارون عبود، دار المكشوف، بيروت، ط ٢، ١٩٥٠، ج ٢، ص ١٦٤.

٤- سعيد: المرجع السابق، ص ١٧٥.

٥- بيت الدين: تابعة لقضاء الشوف، وترتفع عن البحر ٨٥٠ متر، وتبعد عن بيروت ٤٥ كم، أصل الكلمة بيت ودين، كانت خلوة للدروز يشرف عليها الشيخ بوعلی الدرزي اشتراها الأمير بشير، وبنى فيها سراياه المؤلفة من خمسة قصور: أكبر قصر هو قصره الخاص به لسكنه، ومركز حكمه، والثاني لابنه خليل، والثالث لابنه قاسم =

كما استحدث إبراهيم باشا ضريبة الفردة^(٢)، فاضطر سكان الجبل بين سنتي ١٨٣٨-١٨٣٩ إلى أن يدفعوا ٢٦١٠٠٠ قرش موزعة على ثمانية وخمسين ألف مكلف^(٣) كما فرض إبراهيم باشا ضريبة الشؤنة؛ وهي تقدم أهل كل منطقة للجيش ما يحتاجه من حاصلاتهم كالحبوب، والزيت والسمن وغير ذلك من المواد الغذائية ويقومون بنقلها إلى أقرب مركز عسكري^(٤)، كما فرض على الحيوانات الداخلة لجبل لبنان رسم دخولية وقدره ثلاثة عشر قرشاً إلى واحد وعشرين قرشاً عن كل رأس بقر لغير الذبح، ومن ستين إلى سبعين قرشاً عن كل رأس لأجل الاستهلاك^(٥) وفرضت ضريبة الإعانة على الموظفين أصحاب المرتبات التي تزيد على ٥٠٠ قرش بمعدل راتب شهر واحد، وعلى الذين أعفوا من ضريبة الفردة^(٦).

وكانت الحكومة المصرية تزن المحاصيل الفلاحية بميزانين، فالميزان الكبير تتسلم بموجبه من الفلاحين محاصيلهم، وعند البيع تباع بالميزان الصغير^(٧)، وكان الفرق بين الاثنين الربع، وفرض على الفلاحين التعامل بالميزان الصغير فيما بينهم، ولذلك كان الفلاح مكلف بتسديد العجز، كما فرض الاحتكار على المواد الغذائية، والملح، والحري^(٨).

ومن خلال الإحصائية التالية نلاحظ الزيادة الضريبية في الإمارة الشهابية منذ ١٧٨٠-١٨٣٩^(٩).

=والرابع لابنه أمين وهو القصر المعروف بالمصيف، والخامس قصر الست المعروف اليوم بمقر أبرشية صيدا المارونية وشيدت هذه القصور بين سنوات ١٨٠٨-١٨٢٩. هشي: مراسلات، ص ١٢٨

١ - غيز: مصدر سابق، ص ١٠٥.

٢ - الفردة: ضريبة فرضت على الذكور على أساس ١٢% من دخل المكلف شريطة ألا تزيد على خمسمائة قرش مهما كثر دخل الفرد، ولا تقل عن خمسة عشر قرشاً مهما قل دخله، وقد أعفي منها رجال الدين وعمال السلطنة. العقيلي، أنطوان ضاهر: ثورة وفتنة، تحقيق يوسف إبراهيم يزبك، دار الطليعة، بيروت، ١٩٣٨، ص ٢٦٠.

٣ - غيز: المصدر السابق، ص ١٨٣.

٤ - مزهر، يوسف: تاريخ لبنان العام، ٢ ج، لبنان، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٤٨٤.

٥ - أبو عز الدين، سليمان: إبراهيم باشا في سوريا، المطبعة العلمية، بيروت، ١٩٢٩، ص ١٤٩.

٦ - سالم، لطيفة محمد: الحكم المصري في الشام ١٨٣١-١٨٤١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٠، ص ١١٥.

٧ - كان الميزان الصغير يزيد عن الميزان الكبير بنسبة الربع، فلذلك كانت الحكومة المصرية تشتري بالميزان الكبير من أجل تحقيق الربح. سعيد: تطور الملكية العقارية في جبل لبنان في عهد المتصرفية، ص ١٧٨.

٨ - الحلو، يوسف خطار: العاميات الشعبية في لبنان، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٩، ص ٨٦.

٩ - سعيد: المرجع السابق، ص ١٨٢.

السنة	القيمة الضريبية بوحدة الكيس ^(١)	مفروضة من قبل
١٧٨٠	٦٤٠	أحمد باشا الجزائر والي عكا
١٧٩٠	٦٥٠	===
١٨٠٠	٨٠٠	===
١٨٢٣	٢٢٠٠	عبد الله باشا
١٨٣١	٣٥٠٠	===
١٨٣٩	٦٥٠٠	إبراهيم باشا

كان الهدف من هذه الزيادة الضريبية تأمين مصاريف جيش محمد علي، وبناء القلاع للوقوف بوجه السلطنة العثمانية، وتدخل الدول الأوربية ضده^(٢)، وبسبب حاجته للجنود من أجل الحرب أعلن التجنيد الإجباري؛ مما أعطى الفلاحين سبباً آخر للقيام بالاضطرابات في وجه الحكم المصري^(٣).

شكل القطاع الزراعي العمود الفقري للحياة الاقتصادية في جبل لبنان طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ومع ظهور الثورة الصناعية في أوروبا، بدأت التجارة والصناعة تسهمان ولو بنسبة ضئيلة في الاقتصاد في الجبل، ومعظم الصناعات اعتمدت على أنواع المزروعات المنتشرة في الجبل وكانت بغالبيتها حرفاً يدوية^(٤).

كما حدث تغير على مستوى الزعامات، و ذلك بحكم المتغيرات السياسية، والاقتصادية التي شهدتها الجبل حيث إن المسيحيين وجلهم من الموارنة أخذوا يشقون طريقهم إلى المناطق الدرزية كفلاحين ومزارعين، وصناع مهرة، أما الفلاحون فكانوا تابعين لرجال الإقطاع الموحدين سياسياً واقتصادياً، فلم ينقض عهد الأمير بشير الثاني سنة ١٨٤٠، حتى انقلبت الأوضاع لصالح هؤلاء من المسيحيين، وتغيرت العلاقات التي كانت قائمة بين الموحدين، والمسيحيين، فالتجارة الأوربية التي نشطت خلال تلك الحقبة أوجدت طبقة من التجار المسيحيين الذين أخذوا بدورهم ينافسون زعامة رجال الإقطاع.

١- كيس: كان هناك ثلاثة أنواع من الكيسة في الدولة العثمانية: الكيسة الرومية وتساوي ٥٠٠ قرش، والكيسة الديوانية وتساوي ٤١٦ قرشاً، ثم الكيسة المصرية وتساوي ٦٠٠ قرش، ولقد أطلق على ثلاثين آقجة في عهد السلطان محمد الفاتح، وعلى عشرين ألف آقجة في أواسط عهد السلطان سليمان القانوني، في حين كان القرش الواحد مساوياً لثمانين آقجة. صابان: مرجع سابق، ص ١٩٤.

٢- أبي راشد، حنا: جبل الدروز، مكتبة زيدان العمومية، القاهرة، ط ١، ١٩٢٥، ص ٤٧.

٣- سعيد: تطور الملكية العقارية في جبل لبنان في عهد المتصرفية، ص ١٧٩.

٤- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٧٦.

نستنتج مما سبق :

- كانت للدسائس الأوربية والعثمانية أكبر الأثر في هياج الناس ضد الحكم المصري.
- اعتماد النظام الإقطاعي السائد في مجتمع جبل لبنان على الإنتاج الزراعي، وظل عمل الفلاح وارتباطه بالأرض مع سائر أفراد أسرته العنصر الأساسي في الإنتاج.
- تم الاعتماد على الأسر الإقطاعية وجعلها الوسيط الطبيعي للسلطان العثماني؛ لأن عملية جباية الضرائب اعتمدت على نفوذها الاجتماعي والاقتصادي، والسياسي.



الفصل الأول

أولاً-دراسة الأوضاع السياسية في جبل لبنان بين عامي ١٨٤٠ - ١٨٧٦.

في سنة ١٨٤٠ أعلن خلع الأمير بشير الشهابي الثاني^(١)، فأصدر السلطان العثماني فرماناً بتعيين بشير قاسم، لأن انسحاب القوات المصرية من بلاد الشام شكل فراغاً سياسياً وحاولت بعض القوى؛ كالموحدين، والموارنة أن تثبت تفوقها في الجبل، وأصبح الجبل مسرحاً لدسائس الدول الأوربية^(٢) التي استغلت عامل الدين، والطائفية ملء الفراغ السياسي الذي نجم عن خروج محمد علي من بلاد الشام، حيث أدى قناصل الدول الأوربية دوراً كبيراً في إثارة النزعات الطائفية ومن هؤلاء القناصل؛ القنصل البريطاني الكولونيل روز الذي قدم إلى بيروت^(٣) سنة ١٨٤٠ الذي كان من أهم أهدافه القضاء على النفوذ الفرنسي، واختيار طائفة تكون قاعدة للسياسة البريطانية فاختار الموحدين، أما القنصل الروسي بازيل عمل على حشد الطائفة الأرثوذكسية تحت راية روسيا لكن القنصل النمساوي فبكبكر الذي عين سنة ١٨٤٠ وعقب وصوله إلى بيروت أعلن: ((بأن حماية الكاثوليك في الشرق أصبحت الآن من حق النمسا)). أما القنصل الفرنسي بوريه الذي كان خبيراً بأمور الدولة العثمانية ، وكان تربطه علاقات صداقة بأعيان جبل لبنان والأكليروس الماروني، وصف

١- حيث إن عودة بشير الثاني للحكم لم يكن يرضي زعماء الموحدين وحلفاءهم، فأرسلوا عرائض احتجاج للسلطان معددين فيها ما ارتكبه بشير الثاني من المظالم، فضلاً عما صادره من أموال، وممتلكات لكبار رجال الإقطاع الموحدين. Charles Churchill , The Druzes And The Maronites Under The Turkish Rule From 1840-1860, London, 1862,P36-37.

٢- عمر عبد العزيز، عمر: تاريخ لبنان الحديث ١٥١٦-١٩١٥، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٠٨.

٣- بيروت: خضعت للحكم الفرنسي من أوائل القرن الثاني عشر ٥٠٢هـ الموافق لـ ١١٠٩م حتى انتزعها صلاح الدين الأيوبي ٥٨٢هـ الموافق لـ ١١٨٧م ، وذلك بعد انتصار حطين، وبعد وفاته ٥٩٠هـ الموافق لـ ١١٩٤م حكمها الفرنجة من سنة ٥٩٤هـ الموافق لـ ١١٩٨م حتى سنة ٦٩٠هـ الموافق لـ ١٢٩١م حيث سيطر عليها المماليك مدة قرنين وربع. تمكن بنو عساف حكام كسروان وبلاد جبيل من بسط سلطانهم عليهم، فحكموها إلى أن انتزعها منهم يوسف باشا سيفاً صاحب طرابلس سنة ١٥٩٣، ثم ما لبث أن انتزعها فخر الدين أمير الشوف بعد معركة نهر الكلب ١٥٩٨، وفي العهد الشهابي خضعت بيروت لحكم أمراءه، ولم يستقر حكمها لهم إلا بعد موت الجزائر ١٨٠٤. وفي عهد الأمير بشير الشهابي سنة ١٨٣١ دخلها الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا، ومن ثم عادت للحكم العثماني بعد خروج جيوش إبراهيم باشا، وفي سنة ١٨٦٤ أصبحت سنجقاً تابعاً لولاية سورية، وفي سنة ١٨٨٧ تم إعلان سنجق بيروت ولاية عثمانية. سويد: التاريخ العسكري، ص ٥٢ - ٥٤.

الحالة التي وصل إليها جبل لبنان سنة ١٨٤٠ من خلال تقرير أرسله إلى وزارة الخارجية الفرنسية حيث قال: ((إن القناصل في بيروت قد تبنا ذهنية الطوائف في لبنان وسورية))^(١).

أشعر من خلال هذه المقولة بالحزن الشديد، والألم من هذا الواقع الذي وصل إليه الجبل وأطرح عدة تساؤلات: هل يظن البعض أن الدول الأوربية تحب طائفة أكثر من طائفة؟ هل تحب دولة أكثر من دولة؟ هل دعمت طائفة على حساب طائفة أخرى؛ لأنها مظلومة؟ هل دافعت عن طائفة معينة من أجل استرجاع حق هذه الطائفة؟ أقول للشاكين في هذا الكلام: إن الدول الكبرى والعظمى تنطلق في أي عمل تقوم به من منطلق المصلحة وليس من باب أخلاقي، و انطلاقاً من ذلك رأت بضرب النسيج الاجتماعي، وإثارة النعرات الطائفية ما يحقق لها هذه المصلحة .

و بالتالي فإن تأمر الدول الكبرى الاستعمارية انصب في سبيل تحقيق مصالحهم، لكن انغماس البعض في تحقيق هذه المصالح فهذا عار كبير، أكان هذا الانغماس من باب علم ودراية أم لا: وينطبق على ذلك المثل الشعبي القائل: إن كنت لا تدري فهذه مصيبة، وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم^(٢). بعد مطالبة الموحدين بعزل بشير الثالث (بشير قاسم)^(٣)، تحول الصراع إلى صراع طائفي تمثل في اضطرابات سنة ١٨٤١، وخصوصاً عندما رفع الموحدين في ٣٠ حزيران سنة ١٨٤١ عريضة إلى الباب العالي اهتموا فيها بشير بإجبارهم على اعتناق دينه، وطالبوا بتعيين رئيس من ملتهم، وتعهدوا بالخضوع لأحكام العثمانيين، لكن الحرب الأهلية^(٤) نشبت في ١٣ تشرين الأول سنة ١٨٤١^(٥).

١- عمر: تاريخ لبنان الحديث ١٥١٦-١٩١٥، ص ١٠٩-١١٠.

٢- يقال بأنه تحالف شابان من قرية واحدة وتبادلا الشتائم، وما لبث أن انتقل الخصام من اللسان إلى السواعد وانتشر الخبر بالقرية وتأهب الكل وشارك جميع من في القرية بالشجار، ولم يبق خارج ذلك إلا شيخ كبير في السن عزّ عليه أن يقتل أبناء بلدته ولا يدخل بينهم مصلاً، فأنرى لهذا الجمع الصاحب وقال: (يا عيب الشوم ماذا يقول عنا المدير؟ ماذا يقول عنا القائم مقام؟ ماذا يقول عنا المتصرف؟ ماذا يقول عنا القناصل؟ ماذا تقول عنا الدول؟). ويذكر بشارة الخوري بأنه و في مطلع شبابه قصت عليه هذه الحكاية في حلقة ضمت كبار موظفي متصرفية جبل لبنان، فضحكوا حتى استلقوا على الأرض، فسأل أحدهم للمحدث لماذا أدخل المصلح الدول في خناقة القرية؟ فأجابه بظرف: لعله أشار إلى حماية الدول لنظام جبل لبنان!. الخوري، بشارة خليل: حقائق لبنانية من ١٠ آب سنة ١٨٩٠ إلى ٢٠ أيلول ١٩٤٣، بيروت، ١٩٦٠، ص ٤٠.

٣- وذلك بدعم من الدولة العثمانية الذي لم يمثل لأوامرها بشأن السماح للدروز المنفيين بالعودة، فلقد كان بشير يحظى بتأثير بريطانيا. عمر: المرجع السابق، ص ١٠٩-١١٠.

٤- الحرب الأهلية: حالة صراع مسلح يقع بين فريقين أو أكثر في أراضي دولة واحدة نتيجة لتراعات حادة، تعذر إيجاد أرضية مشتركة لحلها بالتدريج أو الوسائل السلمية، ويكون الهدف لدى الأطراف السيطرة على مقاليد=

كما طالب الإقطاعيون الموحدين بإعادة الأرض التي انتزعت منهم أيام بشير الثاني، وقال القنصل الفرنسي في بيروت قلما وجدت قطعة أرض لا نزاع عليها بين مسيحي ودرزي، وقاموا بمواجهة بشير الثالث واستهدفوا دير القمر^(٢) وزحلة لأن هاتين المدينتين وقفنا إلى جانبه، وتمثلان السلطة المارونية^(٣)، ونتيجة لهذه الاضطرابات أرسلت الدولة العثمانية قائد جيشها مصطفى باشا ليحقق في الحوادث، وأسبابها، ونتائجها^(٤)، وبعد التحقيق فإن أول عمل قام به هو عزل الأمير بشير الثالث^(٥) وتعيين عمر باشا^(٦)، وكان ذلك في ١٦ كانون الأول سنة ١٨٤٢ لكن الأمر زاد سوءاً عندما عامل عمر باشا الزعماء الموحدين والمسيحيين معاملة قاسية، وأثقل كاهل الأهالي بالضرائب المفروضة عليهم، حيث بلغت مقدار الضرائب التي جمعتها الدولة العثمانية سنة ١٨٤٢ نحو ٨٦ مليوناً و ٤٠٠ ألف قرش، في حين كانت قيمة الضرائب التي جمعتها الإدارة المصرية لم تتجاوز ٨,٧٥ مليوناً.

نتيجة لما سبق قام الموحدين بثورتهم ضد حكم عمر باشا، فوجه أعيان الموحدين بياناً خاصاً إلى بطريك الموارنة من أجل عقد تحالف ماروني درزي ضد عمر باشا، ووعدوا بالموافقة على حكم شهابي وبالتعويض عن خسائر المسيحيين^(٧)، وعلى الرغم من ذلك فإن التحالف باء بالفشل^(٨).

=الحكم أما أسباب الحرب: تكون سياسية، أو طبقية، أو دينية، أو عرقية، أو إقليمية، وتتصف الحروب الأهلية بالضراوة والعنف، وبالنتائج الاقتصادية المدمرة على المدى القريب، والمؤثرة بعمق على المدى البعيد؛ لأنها تشمل مناطق أهلة بالسكان، وتكون خاضعة لهجمات متقطعة وغير منتظمة، وتفرق بين الأهل، والجيران فتشل الحياة الاقتصادية وتمزق النسيج الاجتماعي، ويحتاج المجتمع إلى عدة عقود من الزمن لإعادة البناء والتوازن والوئام، وكثيراً ما تشكل الحروب الأهلية فرصة لتدخل الدول الكبرى الاستعمارية للتدخل في مجريات الأحداث الداخلية في الدولة التي حدثت فيها تلك الحرب، حيث إن وقوع مثل تلك الحروب يضعف كثيراً من سيادة الدولة.

الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة سياسية، ج ٧، دار الهدى، بيروت، ج ٢، ص ١٨١.

١- عمر: تاريخ لبنان الحديث ١٥١٦-١٩١٥، ص ١١١.

٢- دير القمر: تابعة لقضاء الشوف ترتفع عن البحر ٨٥٠ م، وتبعد عن بيروت ٤٠ كم، والفضل الأساسي لازدهارها يعود إلى الأمير فخر الدين المعني الأول الذي ترك مركزه في بعقلين، واتخذها مركزاً جديداً له.

هشي: مراسلات، ص ١٣٤ .

٣- المعلوف، عيسى إسكندر: تاريخ مدينة زحلة، مطبعة زحلة الفتاة، لبنان، ١٩١١، ص ١٥٦ - ١٥٩.

٤- عمر: المرجع السابق، ص ١١٥.

٥- مشاقة، ميخائيل: مشهد العيان بحوادث سوريا و لبنان، مصر، ١٩٠٨، ص ٢٥٢.

٦- عمر باشا: ولد في سنة ١٨٠٦، اعتنق الإسلام، اسمه الأصلي ميخائيل الاتاسي .

الصلبي: مرجع سابق، ص ٨٦ .

٧- الشدياق، طنوس: أخبار الأعيان في تاريخ جبل لبنان، دار نظير عبود، بيروت، ١٩٩٥، ص ٢٧٣.

وعندما حل أسعد باشا مكان مصطفى باشا في بيروت، بدأ يفاوض الموحدين من أجل إنهاء الثورة والانسحاب من الشوف^(٢)، لكنهم طالبوا مقابل ذلك إطلاق سراح الزعماء الموحدين، وإعفاء أبناء الجبل من التجنيد، والضرائب لمدة ثلاث سنوات، وطرد عمر باشا فوراً.

في البداية رفض أسعد باشا ذلك العرض^(٣)، لكنه ما لبث أن سارع لقبول العرض، فأقال عمر باشا من منصبه، وعين مكانه محمد باشا، وأطلق سراح المعتقلين الموحدين بعد أن توسط القنصل البريطاني بالأمر^(٤) أمام فشل الحكم العثماني المباشر للجبل، توصلت الدول الأوروبية بالاتفاق مع السلطنة العثمانية لوضع نظام جديد للحكم^(٥)، ونتيجة لذلك تم تقسيم جبل لبنان إلى منطقتين بناء على اقتراح ميترنيخ^(٦) مستشار النمسا سنة ١٨٤٢، الأولى: شمالية يتولى إدارة شؤونها قائمقام ماروني،

١- يعزو الكولونيل تشرشل فشل المفاوضات بين الطرفين إلى التعتن الذي أبداه كل منهما، ففي حين طلب الموحدين من الموارنة إعلان تمردهم ضد عمر باشا مقابل موافقتهم على عودة الحكم الشهابي، فإن الموارنة أصروا على أن يبدأ الموحدين وحدهم بالثورة، وأن يحرقوا وثيقة مهورية بأختام كبار زعمائهم تطالب بأمير شهابي كشرط مسبق للقبول بذلك التحالف مع الموحدين، وبذلك أعطى مرة أخرى سوء التفاهم بين الموحدين والموارنة الفرصة لعمر باشا للحيلولة دون قيام هذا التحالف، وكان كافياً على حد قول تشرشل أن يتبع عمر باشا سياسة التهديد والوعيد لإزاء الموارنة حتى يحبط أية محاولة جديدة تؤدي إلى أي تحالف من شأنه أن يهدد سلطة العثمانيين في الجبل.

أبو صالح، عباس: تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإفتاء، بيروت، ١٩٨١ ص ٢٥١. Churchill , The Druzes ,p75-76.

٢- الشوف: وينقسم إلى قسمين: الشوف السويجاني: ينسب إلى بني شوزان الذين قدموا إلى سوريا سنة ٢٠٤هـ الموافق لـ ٨٢٠م، ولقد حرفه العامة فقالوا السويجاني، قاعدته بعقلين، ومن قراه عينبال، غريفه، الجديدة، المزرعة الكحلونية السمقانية. الشوف الحيثي: الأصل هو الشوف الحيطي، وأطلق عليه هذا الاسم لأنه يشبه حائطاً يمتد من نبحا إلى معاصر الشوف، فحرف الاسم و أصبح الحيثي، ومن قراه: نبحا، مرسيتي، كفرنيس، عين قنيه، وداي الست. اليازجي: مرجع سابق، ص ١١.

٣- عمر: تاريخ لبنان الحديث ١٥١٦-١٩١٥، ص ١١٥.

٤- أبو شقرا، يوسف خطار: الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية شهادة درزية صريحة، تعليق عارف أبو شقرا ١٩٥٢، ص ٤٥.

٥- أبو صالح: المرجع السابق، ص ٢٥٣.

٦- ميترنيخ: البرنس دي ميترنيخ ١٧٧٣-١٨٥٩: سياسي نمساوي من دهاة المكر الدبلوماسي، لمع لأول مرة في سفارة إمبراطوره فرانتر الثاني لدى نابليون الأول بأن أعد بحكمة ولياقة زفاف الأرشيدقة ماري لويز (ابنة سيده) إلى نابليون بونابرت سنة ١٨١٠، وكان ذلك الزواج في حينه يعد شبه مستحيل بسبب العداء المستحكم بين عرشي =

والثانية: جنوبية يتولى إدارتها قائمقام درزي، وكانت حدود قائمقامية المسيحيين تمتد من مشارف طرابلس حتى طريق الشام- بيروت، أما قائمقامية الموحدين من طريق الشام حتى صيدا^(١).

ويمكن إجمال الموقف الدولي من التقسيم بالآتي:

١- فرنسا: رضيت على مضض بنظام القائمقاميتين بعد أن جوهكت برفض عثماني بريطاني لإعادة وحدة جبل لبنان السياسية تحت حكم أحد الأمراء الشهابيين؛ لأنه يعطي نصف البلاد لحلفائها الموارنة.

٢- بريطانيا: قبلت بهذا النظام لأنه أقصى نهائياً الأسرة الشهابية الموالية لسياسة فرنسا، وأعطى حلفاءها الموحدين نفوذ وسلطة يساعدها على توطيد نفوذها^(٢).

٣- النمسا: فهي التي تبنت هذا النظام من خلال اقتراح مستشارها ميترنيخ بتقاسم السلطة في جبل لبنان بين الموحدين، والموارنة.

٤- روسيا: وافقت على هذا النظام، لأنه جعل جبل لبنان مرتبطاً بوالي صيدا^(٣).

٥- السلطنة العثمانية: أمام تدخلات سفراء الدول الأوروبية وقناصلها، وإصرار فرنسا على إعادة الأمير بشير الثالث أو أحد أفراد أسرته، تراجعت عن تمسكها بالإدارة المباشرة لجبل لبنان ووافقت على نظام القائمقامتين^(٤)، بعد ذلك تم اختيار الأمير حيدر أبي اللمع^(٥) للقائمقامية المسيحية وأحمد

=فرنسا والنمسا. يزيك، يوسف إبراهيم: الجذور التاريخية للحرب اللبنانية من الفتح العثماني إلى بروز القضية اللبنانية، لبنان، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٥١.

١- بوعمداد، عاطف خليل: الأسرة النكدية إبان القرن التاسع عشر وحتى نهاية عهد المتصرفية، الدار التقديمية بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٤٤.

٢- شاهين، فؤاد: الطائفية في لبنان حاضرها وجذورها التاريخية والاجتماعية، دار الحداثة، لبنان، بيروت، ط ٢ ١٩٨٦، ص ١١٨.

٣- غنام، رياض: المقاطعات اللبنانية في ظل حكم الأمير بشير الشهابي الثاني ونظام القائمقاميتين ١٧٨٨-١٨٦١ دراسة وثائقية في تاريخ جبل لبنان السياسي، دار بيسان، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢١٠.

٤- بازيل، قسطنطين: سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية، ترجمة يسر جابر، دار الحداثة، بيروت، ط ١، ١٩٨٨، ص ٣٨٧.

٥- حيدر أبي اللمع: ولد سنة ١٧٨٧ في بلدة صليما (المتن) كانت أمه مسيحية، فاعتنق المسيحية، وهو في سن الثانية عشر من عمره، قضى عدة سنوات حاكماً لمقاطعتي المتن، والقاطع، توفي سنة ١٨٥٤ بداء الفالج، وكان في السابعة والستين من العمر. هشي، سليم حسن: يوميات لبناني في أيام المتصرفية، دار لحد خاطر، بيروت ط ٢، ١٩٨٣، ص ٩٣.

أرسلان للقائمقامية الدرزية^(١)، حيث أدت فرنسا دور كبير في اختيار الأمير حيدر قائمقام على المسيحيين فعملت على دعمه وعده حاكماً على المسيحيين جميعهم، حيث اعترف قنصل فرنسا في الآستانة (بأن فصل بلاد الموحدين عن بلاد الموارنة بخط جغرافي يشطر الجبل إلى شطرين هو عمل أقرب إلى الصواب وأكثر سهولة في التنفيذ من أي مشروع آخر)^(٢).

ويمكن القول: إن هذا النظام الجديد كرس الطائفية في جبل لبنان، وأصبح التعامل على أساس الدين والطائفة لا على أساس إنساني، وهذا الأمر من أخطر الأمور التي يتعرض لها أي مجتمع؛ مما يجعله هشاً وقابلاً للانفجار في أية لحظة بناءً على أي موقف بين الطوائف مهما كان صغيراً، وهذا ما استغلته (إن لم نقل غذته) الدول الاستعمارية الكبرى في سبيل تحقيق أهدافها ومصالحها، وبسبب انتقاد أسعد باشا لنظام القائمقامتين تم عزله من قبل الباب العالي، وعُين محمد وجيهي باشا.

أصر العثمانيون والبريطانيون على عدم إعادة الشهابيين إلى الحكم، وتقرر أن يختار كل قائمقام وكيلاً لكل طائفة من الطائفتين المارونية والدرزية في القرى المختلطة من بين مواطنيه، لكن المسيحيين في المناطق المختلطة رفضوا الخضوع لحكم الموحدين^(٣)، ومن ثم اندلعت الحرب الأهلية في سنة ١٨٤٥ بين المسيحيين والموحدين، ومن ثم دعا محمد وجيهي باشا زعماء المسيحيين والموحدين إلى الاجتماع في بيروت، ولم يكن نظام القائمقامتين ليحظى برضى أطراف الصراع وخصوصاً الموارنة الذين وجدوا فيه هزيمة سياسية، وإزاء تأزم الوضع السياسي في القائمقامية المسيحية: رأت الكنيسة المارونية أن المشكلة تكمن في عاملين اثنين أولهما: توحيد القائمقاميتين في كيان موحد، وثانيهما: إعادة الأمير بشير المنفي في الآستانة إلى الحكم^(٤)، وحاول الفرنسيون إقناع المسؤولين البريطانيين بأن حل مشكلة الجبل لا تتم إلا بوحدة تحت حكم الشهابيين، لكن البريطانيين رفضوا ذلك، واستمرت أحداث ١٨٤٥ ستة أسابيع حقق فيها الموحدين السيطرة على جنوب الجبل، رغم إبداء الموارنة قدرة فعلية على العمل الحربي^(٥)، كما رفض الإقطاعيون المسيحيون من آل الخازن^(٦)، وحبيش المشروع الفرنسي بعودة حكم الشهابيين.

١- أبو صالح: مرجع سابق، ص ٢٥٣.

٢- غنام: المقاطعات اللبنانية في ظل حكم الأمير بشير الشهابي الثاني، ص ٢١٠-٢١٥.

٣- عمر: تاريخ لبنان الحديث ١٥١٦-١٩١٥، ص ١٢٠.

٤- غنام: المرجع السابق، ص ٢٢٣-٢٢٤.

٥- أبو شقرا: مرجع سابق، ص ٣٩.

أما في القائمةقامية الدرزية: فقد حصل مهادنة بين المشايخ والإقطاعيين، غير أن المسيحيين في المناطق المختلطة، وبتوجيه من الكنيسة رفضوا حكم الإقطاعيين الموحدين، حيث عدّ الأمراء الشهابيون أحداث ١٨٤٥ فرصتهم الأخيرة في العودة للحكم، فقادوا العمليات الحربية^(٢) وهذا ما دفع بالعثمانيين إلى اتهام الأمير بشير وأسرته بأنهم وراء أحداث الجبل^(٣).

اندلعت الحرب الأهلية الطائفية اعتباراً من شهر نيسان سنة ١٨٤٥ وشملت معظم مناطق الجبل وقراه وهي على النحو الآتي: (الشوف، العرقوب^(٤)، جزين، الجرد^(٥)، المناصف^(٦)، المتن^(٧)، الغرب^(٨)، الشحار^(٩)) حيث انضم الروم الأرثوذكس إلى جانب الموحدين في القتال ضد الموارنة^(١٠)، وشارك

١- آل الخازن: أصلهم من ناحية جبيل، وهم من أقدم الأسر المسيحية في جبل لبنان، كان عدد منهم مكلفين بشؤون فرنسا في بيروت، والبعض الآخر معاونين للأمراء الجبل. سويد، ياسين: فرنسا والموارنة ولبنان تقارير ومراسلات الحملة العسكرية، شركة المطبوعات، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٥٨.

٢- غنام: مرجع سابق، ص ٢٢٦.

٣- سميليانسكايا: سوريا ولبنان، ص ١٢٠.

٤- العرقوب: يمتد من بلدة معاصر الشوف إلى سطح جبل الباروك، ومن وادي الست إلى أول الشوف، والعرقوب قسمان: العرقوب الأعلى أو الشمالي وقاعدته عين زحلنا، ومن قراه أعמיד، بمهرية، الورهانية. والعرقوب الأدنى أو الجنوبي، وقاعدته الباروك، ومن قراه: بتلون، عين، زين، بريح، الفريديس، كفرنرح، عين داره. اليازجي: مرجع سابق، ص ١٢.

٥- الجرد: يمتد من نهر الغابون حتى نهر الصفا فالمديرج، ومن قراه: بجمدون، بتاتر، شرتون، شانيه، كفرعميه شوريت، المشرفة، بدغان، مجدل بعنا، شارون، عين تراز، عين صوفر. الجرد قسمان: جنوبي: قاعدته رشميا والشمال، قاعدته بتاتر. اليازجي: المرجع نفسه، ص ١٢.

٦- المناصف: سميت كذلك لتوسط موقعها في بلاد الموحدين، واعتدال مناخها، وهي تمتد من وادي الدين إلى جسر القاضي، قاعدتها دير القمر، ومن قراها: بشتفين، كفرقطرة، دير بابا، كفرحيم، دميت، كفرفاقود، الجاهلية، عميق وادي بنحليه، الكنيسة. اليازجي: المرجع نفسه، ص ١٢.

٧- المتن: يمتد من نهر أنطلياس إلى نهر بيروت عرضاً، ومن نهر بيروت إلى سطح الجبل طوياً، أمراؤه: قايديه، مراد فارس للمعيون. قاعدته المتن وصليما، ومن قراه: عين القبو، كفر عقاب، الخنشارة، الشوير، عين طورا، زرعون بعبدات، برمانا، بيت مري، أرضون. اليازجي: المرجع نفسه، ص ١٣.

٨- الغرب: قسمان: الغرب الأعلى: يمتد من الشحار إلى عاليه فنهر الغابون، قاعدته عيتات ثم عاليه، ومن قراه بيصور، شمالان، عيناب، دفون، سوق الغرب، الكحالة، أما الغرب الأدنى أو الأسفل: فحدوده تمتد من الشحار حتى الشويفات، قاعدته بلدة الشويفات، ومن قراه: بشامون، عين عنوب، دير قوبل، سرحمول، عين كسور.

اليازجي: المرجع نفسه، ص ١٢.

٩- الشحار: تمتد من جسر القاضي إلى الدامور، قاعدته بلدة عبيه، ومن قراه: البنيه، كفرمتي، الناعمة، دقون بعورتا، عين درافيل، الدامور. اليازجي: المرجع نفسه، ص ١٢.

بعض السنة، وخصوصاً في البقاع، و الشوف إلى جانب الموحدين ولا يخفى الدور العثماني في استنهاضهم للقتال إلى جانب الموحدين^(٢)، أما الشيعة الذين كانوا يشكلون أقلية في كل من القائماتين فقد وقفوا إلى جانب الموارنة^(٣).

وما إن خمدت نار الحرب الأهلية بين الموحدين والمسيحيين حتى نشأ خلاف من نوع آخر داخل الطائفة المارونية بين الفلاحين ورجال الإقطاع، أما على الصعيد الدرزي فقد نشأ خلاف بين حزبي اليزبية والجنبلابية^(٤).

نستنتج مما سبق؛ إذا كان الصراع بين الموحدين، والموارنة يتناول شكل السلطة والحكم والجهة الحاكمة وشخصية الحاكمين، فمن الوجهة الخارجية للصراع يظهر وكأنه صراع سياسي، ولكن من خلال ممارسات هذا الصراع، نلاحظ التسليح والقتل بين الطوائف، حيث أخذ منحىً طائفيًا، فما معنى أن يكون منصب معين خاصاً بطائفة معينة؟! وضع هذا النظام لغرس الطائفية في مجتمع الجبل ليشكل مثلاً وليبقى حاضراً في أذهان الناس، (وعلى مبدأ المعاملة بالمثل) هل الذين كانوا يطرحون هذه الحلول الطائفية كانوا يطبقون قانوناً طائفيًا في مجتمعاتهم الأوربية، أم أنهم اعتمدوا على الإنسان؟ الإنسان وحده بغض النظر عن انتمائه الديني، ومعياره في التعامل؛ هو ما يستطيع أن يقدم في سبيل تطوير بلده والارتقاء به، لكن المصيبة: نتعامل و نتناحر فيما بيننا بتحريض من الدول الاستعمارية الكبرى التي كانت تقوم بتمويل أطراف النزاع وتسليحهم، وفي الوقت نفسه، وفي نهاية الاقتتال تقوم الدول نفسها برعاية أمور التهدئة، ويتفاوضون عليها فيما بينهم، وبغياب الطرف المعني بالمشكلة ويفرضون عليه فيما بعد الحل الذي يناسبهم هم لا أطراف النزاع.

وبعد تفاقم الوضع أرسل السلطان العثماني وزير خارجيته شكيب أفندي إلى جبل لبنان، وأبلغ الدول بذلك، وأوضح أن مهمته هي بيان التعديلات المراد إدخالها على نظام كانون الأول ١٨٤٢ فوصل إلى بيروت في ١٤ كانون الأول سنة ١٨٤٥، وفي اليوم التالي وجه دعوة إلى القناصل الخمسة

١- طرين، أحمد: أزمة الحكم في لبنان منذ سقوط الأسرة الشهابية حتى بداية عهد المتصرفية ١٨٤٢-١٨٦١ دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠، ص ٨٠.

٢- غنام: المقاطعات اللبنانية في ظل حكم الأمير بشير الشهابي الثاني، ص ٢٣١.

٣- أبو شقرا: مرجع سابق، ص ٦٢.

٤- أبو صالح: مرجع سابق، ص ٢٥.

(فرنسا-بريطانيا- النمسا- روسيا- بروسيا)، وطلب منهم ألا يتدخلوا في شؤون الجبل الداخلية^(١) ودعوة رعاياهم في الجبل بما فيهم الإرساليات البروتستانتية والكاثوليكية، وفي مهلة أقصاها عشرة أيام حتى ينتهي من وضع نظام جديد للجبل.

بعد ذلك أمر شكيب أفندي بترع السلاح من الجبل، واستدعى رؤساء الطائفتين إلى دير القمر بحجة إبلاغهم مقترحاته لتوطيد السلام الدائم في الجبل، وبتوقيفهم حتى يحرم الجبل من القيادة الحربية ويقمع كل محاولة للمعارضة أو الثورة، ثم قام بخلع الأمير أحمد أرسلان قائمقام الموحدين، وعين مكانه أخاه الأمير أمين^(٢)، ووزع على المسيحيين مبلغاً من المال مقداره ٢٠٠٠ كيس، لكن بريطانيا عارضت هذه الإجراءات^(٣)، وبما أن شكيب أرسلان^(٤) يدرك عمق أزمة الجبل، ولذلك منع القناصل الأوربيين من حضور الاجتماعات التي حصلت مع أعيان الجبل، وهذا بدوره ولد شعوراً بالاستياء لدى هؤلاء القناصل، ولا سيما القنصل الفرنسي، وعدّوا ذلك التصرف مخالفاً للمعاهدات والامتيازات الأجنبية^(٥) لاحظ خطورة ما قاله أحد النواب الفرنسيين في مجلس النواب الفرنسي:

١- أبو صالح: مرجع سابق، ص ٢٥٥.

٢- أمين أرسلان: أمين بن مجيد بن ملحمة بن حيدر بن أرسلان من رجال السلك السياسي والصحافة، ولد في الشويفات، وتعلم عند اليسوعيين في بيروت، ثم رحل إلى باريس، فأصدر فيها جريدة سماها كشف النقاب بالعربية واشترك مع خليل غانم في إصدار جريدة تركيا الفتاة بالعربية والفرنسية، كما أصدر مجلة السمر بالعربية، ثم تسلّم القنصلية العامة للدولة العثمانية في بروكسل، والأرجنتين، وتوفي في بيونس إيرس سنة ١٩٤٣ ومن آثاره: حقوق الملل ومعاهدات الدول، أسرار القصور، تاريخ نابليون الأول، السياسة والسياسة.

كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، ٤ ج، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٣، ج ١، ص ٤٠٤.

٣- عمر: تاريخ لبنان الحديث ١٥١٦-١٩١٥، ص ١٢٣.

٤- شكيب أرسلان ١٨٦٩-١٩٤٦: هو شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان، ولد في الشويفات، أديب وشاعر، ومؤرخ، وسياسي. تعلم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن على يد شيخ من أهل قريته، ثم دخل مدرسة الأركان في حارة العمروسية، وأخذ فيها مبادئ اللغة الإنكليزية، وبعد ذلك أرسله أهله إلى مدرسة الحكمة المارونية في بيروت، ونال شهادتها سنة ١٨٨٦، كما أتقن اللغة العربية، والفرنسية ثم دخل المدرسة السلطانية، وعُين بعد ذلك قائم مقام الشوف، ثم انتخب عن حوران في مجلس المبعوثان العثماني في عهد الاتحاديين. العودات، حسين: الموسوعة الصحفية العربية (سوريا- لبنان- فلسطين- الأردن)، ١٩٩٠، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس، ١٩٩٠، ص ٩٣.

٥- الخازن، فيليب وفريد: مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان من سنة ١٨٤٠ إلى سنة ١٩١٠، ج ٣، ترجمة فريد الخازن، دار الرائد، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣، ج ١، ص ٢١٠-٢١٣.

(إننا كثيراً يا حضرة النواب ما نرمي هذه الشعوب بعدم التمدن، والخديعة والغش، لكنها إذا تعلمت يوماً أن تكتب التاريخ فستحكم دون شك على أوربا بالخيانة؛ لأنه في ذلك العهد جاءها أناس أثاروها بوعدهم لها)^(١).

عمد وزير الخارجية شكيب أفندي إلى تأليف مجلسين يرأس كلاهما القائم مقام ونائب عنه حيث تألف كل مجلس من وكيل وقائم مقام وقاض ومستشار عن المسلمين السنه، وقاض ومستشار عن الموحدين وقاض ومستشار عن الموارنة، وقاض ومستشار عن الأرثوذكس، وقاض ومستشار عن الروم الكاثوليك ومستشار عن الشيعة، وهؤلاء القضاة والمستشارون ينتخبون ويعينون بمعرفة المطارنة والعقال ورؤساء طوائفهم^(٢)، بعد ذلك عوض المسيحيين بمقدار ثلاثة عشر ألف كيس أي نحو ٦٥٠.٠٠٠ قرش، حيث قدمت منها السلطنة العثمانية مبلغ عشرة آلاف كيس، وأمر أن يدفع الموحدين ثلاثة آلاف كيس، فوزعت هذه المبالغ على القرى المنكوبة، والمستحقين بحيث نال كل منهم النصيب الذي يستحق^(٣).

-المواقف من نظام شكيب أفندي على الصعيد الداخلي والخارجي:

أولاً- على الصعيد الداخلي: كان المسيحيون راضين عن ذلك؛ نظراً للضربة العسكرية التي تلقوها والموحدين ورغم قسوتهم القتالية لم يدانوا كما طالب خصومهم؛ لذلك وافقوا على النظام وكان الجبل في حالة من الدمار والخراب، وكان هناك العديد من القرى الخالية من السكان^(٤).

ثانياً- على الصعيد الخارجي: عدت فرنسا نظام شكيب أفندي حلقة في سلسلة المؤامرة البريطانية- العثمانية على النفوذ الفرنسي في الشرق، بينما عدته بريطانيا نصراً لها إذ إنهم أبعادوا الشهابيين نهائياً عن الحكم، وأعطوا الموحدين حكماً ذاتياً خاصاً بهم، فاستمرار نظام القائم مقاميتين يعد فشلاً للسياسة الفرنسية الرامية لتوحيد الجبل تحت إدارة الأمراء الشهابيين^(٥)، ولكن يجب الأخذ بالحسبان أن كل تلك المواقف الأوربية كانت نابعة من منطلق المصلحة الخاصة، وليس حباً بسكان الجبل، وفي أثناء

١- الخازن: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٤٥.

٢- الخازن: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٩-٢٢٢.

٣- غنام: المقاطعات اللبنانية في ظل حكم الأمير بشير الشهابي الثاني، ص ٢٣٨.

٤- تشرشل، تشارلز: جبل لبنان عشر سنوات إقامة ١٨٤٢ - ١٨٥٢، ترجمة فندي الشعار، دار المروج، بيروت ١٩٨٥، ص ٣٧.

٥- غنام: المرجع السابق، ص ٢٣٩-٢٤٠.

حرب القرم وقف الموحدين إلى جانب السلطنة العثمانية، وكان للشيخ سعيد جنبلاط^(١) والقائم مقام أمين أرسلان دور في انتهاج هذه السياسة، حيث شكلت فرقة عسكرية قوامها خمسة آلاف مقاتل تولى قيادتها الشيخ ناصيف نكد^(٢) الحائز على دعم العثمانيين، والقنصل الفرنسي وقدمت السلطنة للدرور مبلغ ١٥٠ ألف ليرة عثمانية للإنفاق على المتطوعين، فأوقعت حرب القرم مسيحي جبل لبنان في مأزق المشاركة فصدرت فتوى من أحد المطارنة الأرثوذكس تمنع المشاركة في الحرب، في حين أن رجال الدين الموارنة تركوا لأبنائهم أمر المشاركة في الحرب، أو الامتناع، لكنهم اشترطوا على الراغبين في الاشتراك بالحرب أن يسجلوا أسماءهم في قوائم لدى الإقطاعيين التابعين لهم قبل السفر، ويسلموا نسخة عنها إلى المشير العثماني، خشية أن يشارك هؤلاء في الحرب تحت قيادة الموحدين^(٣).

وفي سنة ١٨٥٨ حدثت انتفاضة زحلة: نتيجة الصراع بين الزعماء الإقطاعيين الموارنة وبين القائم مقام المسيحي الأمير بشير أحمد أبي اللمع، ففي شهر أيار سنة ١٨٥٨ هاجمت القوى الإقطاعية المارونية مقر الأمير في برمانا، فهرب إلى بيروت وانتقلت السلطة إلى أيدي الإقطاعيين، ولكن ما لبث أن قامت الدولة العثمانية بإعادة الأمير بشير أحمد إلى السلطة بحراسة عساكرها مما أوجد حالة من العصيان في

١- بنو جنبلاط: ينتسب المشايخ الجنبلاطيون إلى جدهم جان بولاد، وتحرفت كلمة جان بولاد على السنة العامة فأصبحت جنبلاط، وتوالت من بعده ذريته، ومنهم: أحمد، حسين مصطفى، وسعيد الذي هاجر من المعرة إلى جبل لبنان حيث استضافه الأمير فخر الدين، وسلمه منصباً رفيعاً في مقاطعته، ثم خلفه في منصبه ابنه رباح الذي توفي عن ثلاثة أولاد، علي، وفارس، وشرف الدين. فتزوج علي من ابنة الشيخ قبلان القاضي التنوخي الذي كان من كبار مشايخ الشوف، وعند وفاته أجمع رأي الأعيان على استخلاف علي مكان عمه، فوافق الأمير حيدر الشهابي على ذلك وولاه مقاطعات الشوف، فأحسن السياسة فاستمال إليه قلوب سائر الطوائف، ويذكر أنه قرب منه رئيس الرهبان الكاثوليكين، فوهبه أرضاً شاسعة بجوار قرية جون، وأمدّه بالمال، وبسط على الرهبان حمايته، فتمكنوا من بناء دير المخلص، وخلف الشيخ علي مشايخ كثر كان من أشهرهم الشيخ بشير معاصر الأمير بشير الشهابي. غريب، ميشال: الطائفية والإقطاعية في لبنان، لبنان، بيروت، د.ت، ص ١١٦-١١٧.

٢- ناصيف نكد: كان صغيراً عندما أوقع الأمير بشير الشهابي مذبحته بالأسرة النكدية، فلجأ مع أقاربه إلى الشام وعاد منها بعد أن بلغ أشده، فاسترضى الأمير بشير فأعاد إليه بعض أراضيه. حيث ناصر الأمير بشير في حربه ضد درويش باشا والي الشام سنة ١٨٢١، وفي حربه ضد الشيخ بشير جنبلاط سنة ١٨٢٤ ثم حارب المصريين في موقعه حصص إلى جانب العثمانيين، وخسر أملاكه في الشوف، لكنه استعادها سنة ١٨٤٠، عينه شكيب أفندي مديراً للمناصف، توفي سنة ١٨٥٤ في حاصبيا بداء الاستسقاء بينما كان متوجهاً على رأس فرقة عسكرية قوامها خمسة آلاف مقاتل لمساعدة السلطنة العثمانية في حرب القرم. اليازجي: مرجع سابق، ص ٤١-٤٢.

٣- غنام: المقاطعات اللبنانية في ظل حكم الأمير بشير الشهابي الثاني، ص ٢٦٤-٢٦٥.

مناطق الجبل^(١)، ثم ما لبث أن اضطر الأمير إلى التفاوض مع الأهالي لمدة ثلاثة أشهر دون أن يحقق أي نجاح في ذلك^(٢)، ويضيف القنصل الفرنسي في تقرير له في أواخر سنة ١٨٥٨ عن هذه الانتفاضة بأنها: (جاءت في إطار الصراع الإقطاعي العنيف بين القائم مقام المسيحي والزعماء الآخرين، وإن ١٣ زعيماً إقطاعياً شاركوا في الصراع مما أدى إلى هزيمة القائم مقام رغم عودته إلى مقر حكمه برمانا مدعوماً بعساكر العثمانيين إثر طرده منها)^(٣).

كان آل الخازن من أهم الأسر الإقطاعية التي كانت على خلاف مع الأمير بشير أحمد أبي اللمع وخصوصاً بعد تعيينه قائم مقام للمسيحيين، حيث اتهموه بأنه ينال من امتيازاتهم ويمارس مهامه في شؤون كانت من حقهم دون سواهم^(٤)، وبسبب كثرة الاضطرابات الدموية في القائم مقامية المسيحية بعثت الدولة العثمانية عطا بك مأموراً من السلطنة للإشراف على الأمور خلال النصف الأول من سنة ١٨٥٨، حيث نزل القائم مقام بشير أحمد لملاقاته في بيروت، وأفهمه بأن بعض الأمراء والمشايخ من آل الخازن كانوا سبب كل تلك الاضطرابات حيث قاموا بتحريض الناس في كسروان^(٥) وجبيل، وبناء على ذلك أمر مأمور السلطنة بإلقاء القبض على الشيخ حصن الخازن الذي لم يطلق سراحه إلا بعد تدخل القنصل البريطاني.

ثم ما لبث أن خسر أمراء آل أبي اللمع^(٦) سيطرتهم، وتحولت إدارتهم سنة ١٨٥٩ إلى حاكم عثماني يدير شؤونها، وأصبحت رحلة جزءاً من ولاية دمشق طيلة الفترة الممتدة من سنة ١٨٥٩ حتى إعلان بروتوكول المتصرفية سنة ١٨٦١^(٧) حيث عادت من جديد لمقاطعات جبل لبنان^(٨).

- ١- ضاهر، مسعود: الانتفاضات اللبنانية ضد النظام المقاطعي، دار الفارابي، بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ص ١٤١.
- ٢- سميليانسكايا، إيرينا: الحركات الفلاحية في لبنان النصف الأول من القرن التاسع عشر، ترجمة عدنان جاموس دار الفارابي، بيروت، ط ١، ١٩٧٢، ص ١٩١.
- ٣- ضاهر: المرجع السابق، ص ١٤٣.
- ٤- الصليبي: مرجع سابق، ص ١١٧.
- ٥- كسروان: سميت بالعاصية لصعوبة مسالكها وعظم جبالها وشجاعة رجالها، مشايخها الخوازنة، سكانها موارد قاعدتها ذوق مكاييل وغزير، من قراها: عرمون، الجديدة، دلبتا، غسطا، درعون، عشقوت، عجلتون، القليعات جونية، ريفون. اليازجي: مرجع سابق، ص ٣١.
- ٦- أمراء أبي اللمع: يرجع نسبهم إلى رجل ملقب بأبي اللمع سليل بني فوارس، وهم إحدى القبائل العربية التنوخية التي زحفت إلى سوريا أيام الخلافة العباسية، فاستوطنوا أول أمرهم الجبل الأعلى بجوار حلب سنة ١٦٣هـ الموافق لـ ٧٨٠م وكانوا مسلمين، فقدموا إلى جبل لبنان مع جملة القبائل التي قدمت بصحبة الأمير تنوخ سنة ٢٠٤هـ الموافق لـ ٨٢٠م. حيث حصل بني فوارس على إقطاع المتن، حيث نشأ المقدم أبي اللمع في قرية =

وفي سنة ١٨٥٨ اندلعت انتفاضة فلاحي كسروان التي بدأت كصراع بين مشايخ آل الخازن وقائ مقام المسيحيين، وكتبت سميليانسكايا عن بداية تلك الانتفاضة: (كانت الفئات المقاطعية تتصارع حول منصب القائم مقامية منطلقة من أهدافها السياسية النفعية، وكان فريق من آل الخازن يدعم القائم مقام بشير أحمد وفريق آخر يسعى إلى عزله واستبداله ببشير عساف^(٣) وكان كل فريق يعمل على جر الفلاحين إلى جانبه، ولم يتورع المشايخ عن نهب مدخرات الفلاحين بهدف الحصول على المال اللازم لمتابعة الصراع، وقد تظلم فلاحو كسروان إلى البطريك الماروني من أن المشايخ المتنافسين قد حرموهم الأمن والراحة والسكينة)^(٤).

وفي الأول من تشرين الأول سنة ١٨٥٨ تسلّم طانيوس شاهين^(٥) قيادة الانتفاضة الفلاحية، فتحول موقف مشايخ آل الخازن من القوة إلى الضعف، فاستعانوا بعساكر السلطنة العثمانية لحمايتهم، حيث

= كفرسلوان، وتوفي في سنة ١٦٤٦ ودفن في قرية المتين، وخلفه مقدمون كثيرون تولوا عدة إقطاعات، تحالفوا مع الأمير حيدر الشهابي، وعاونوه في تثبيت الحكم الشهابي، فوقف معه كل من المقدمين حسين ومراد، وعبد الله في معركة عين دارة ضد الحزب اليميني الدرزي، وانتصروا على اليمينيين انتصاراً ساحقاً، فسرّ الأمير حيدر الشهابي منهم وأطلق عليهم لقب الأمراء، وتزوج ابنة الأمير حسين، كما وزع عليهم إقطاعات كثيرة في جبل لبنان، ومنهم تنحدر العائلات اللبنانية الحالية، آل مراد، وفارس، وقائديه. وفي تلك الأثناء اعتنقوا المذهب الدرزي ثم انقلبوا إلى المسيحية مجارة منهم للأمير ملحم الشهابي الذي خلف الأمير حيدر، ومن الأمراء اللمعيين المشهورين علي منصور وإسماعيل حسن، وحيدر إسماعيل الذي توفي في سنة ١٨٥٤ ودفن في بكفيا في كنيسة الآباء اليسوعيين بعد أن شغل مدة اثني عشر عاماً منصب قائم مقام القسم المسيحي من جبل لبنان في عهد القائم مقاميتين. غريب: مرجع سابق ص ١١٤-١١٥.

١- متصرفية جبل لبنان: كانت تتكون حسب بروتوكول سنة ١٨٦١ من ستة أقضية في مادته الثالثة، ولكن بعد تعديل سنة ١٨٦٤ أصبحت تتألف من سبعة أقضية نتيجة لتقسيم قضاء كسروان إلى قضائين: كسروان، والبترون. معطي، علي: العلاقات اللبنانية - التركية في عهد المتصرفية ١٨٦١-١٩١٨، دار المنهل اللبناني، بيروت ٢٠٠٧، ص ١٢.

٢- ضاهر: الانتفاضات اللبنانية، ص ١٤٤.

٣- بشير عساف: عين قائم مقام على المسيحيين سنة ١٨٥٤ عقب وفاة الأمير حيدر أبي المم كان حسن الإدارة فأحبه والي بيروت خورشيد باشا، وقربه إليه. هشي: يوميات لبناني، ص ٩٤.

٤- سميليانسكايا: الحركات الفلاحية، ص ١٩٢.

٥- طانيوس شاهين ١٨١٥-١٨٩٤: بدأ حياته بيطرياً في قريته، كما كان يعمل مكاري الضيعة (أي يريد الضيعة وقاضي حاجاتها وعونها في الكروب)، ورافق قوة عضلاته شجاعة، وذكاء وفطنة، وأعجبت هذه الصفات الأب فرانسوا ليروا رئيس مدرسة الآباء اللعازاريين في عينطورة، حيث تعرف في دير عينطورة على راهب فرنسي من =

أدركت البطيركية المارونية أن الانتفاضة باتت تشكل خطراً يهدد مصالحها في الجبل فاقترحت تعيين ثلاثة مأمورين عن كسروان بدلاً من مأمور واحد شرط أن يكون الثلاثة من آل الخازن لكن الفلاحين رفضوا هذا الاقتراح بشدة، واستمر شاهين الحاكم الفعلي لكسروان حتى خريف ١٨٥٩ حيث اقترحت الكنيسة البطيركية أن يكون المأمورون الثلاثة من الشعب شرط استبعاد طانيوس شاهين لتجريده من سلطته ونفوذه، وحقق الفلاحون بذلك أروع انتصار من خلال ترحيل عائلة إقطاعية من مركز نفوذها، وذلك في ١٩ كانون الثاني سنة ١٨٥٩^(١)، ولكن تم تقويض هذا الانتصار الذي حققه الفلاحون، من خلال استبعاد طانيوس شاهين الذي كان له الأثر كبير في نفوس الفلاحين. ومن الأحداث الخطيرة في تلك الفترة حوادث سنة ١٨٦٠: لقد انطلقت الشرارة الأولى من قرية بيت مري في ١٥ آب سنة ١٨٥٩، حيث وقع اشتباك بين بعض الموحدين والموارنة، وذهب ضحيته ٣٢ قتيلاً، ثم اشتعلت الحرب في المتن، وبعبداء، وعالية، والشوف، ودير القمر، وجزين وحاصبيا، وراشيا، وزحلة، ودمشق، هذه الأحداث الخطيرة في ظاهرها اقتتال بين المسيحيين والموحدين، أما في جوهرها؛ فكانت صراعاً على النفوذ بين الدولة العثمانية، والدول الأوروبية^(٢) بينما يرى أسامة مقدسي على أنها انتفاضة عامة على النظام الإقطاعي أنتجت نمطين من الحركات تبعاً للتفاوت السكاني الاجتماعي في جبل لبنان، انتفاضة اجتماعية للعامة المسيحية ضد أسيادهم المسيحيين في شمال البلاد، وحرب أهلية طائفية بين العامة المسيحيين والأسياد الموحدين في المناطق الجنوبية المختلطة^(٣).

= ثوار ١٧٨٩ يحسن العربية، فأخذ يحدثه عن تلك الثورة الفرنسية، ويشرح له مبادئها، فازداد طانيوس ثورية، كما أثر الخوري يوحنا حبيب البتدني في توجيه طانيوس الذي تولى القضاء أواخر أيام الأمير بشير الشهابي الثاني، ولما تولى يوسف كرم قائم مقامية المسيحيين بالوكالة سنة ١٨٦٠ لقي طانيوس منه سوء المعاملة، وعدم تقدير، وبعد إعلان نظام جبل لبنان سنة ١٨٦١ عين المتصرف داود باشا طانيوس بك شاهين عاملاً على الجرد الكسرواني، وفي سنة ١٨٩٥ توفي طانيوس. يربك: الجذور التاريخية، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

١ - ضاهر: الانتفاضات اللبنانية، ص ١٥٩ - ١٧٧.

٢ - ضو، أنطوان: حوادث ١٨٦٠ في لبنان ودمشق لجنة بيروت الدولية - المحاضر الكاملة ١٨٦٠ - ١٨٦٢ بيروت، ١٩٩٦، ص ١٢.

3-UssamaMakdisi , The Culture of Sectarianism Community, History and Violence in Nineteenth Century Ottoman Lebanon,P135.

كما أننا لا نستطيع أن ننكر بأن أحداث ١٨٦٠ كانت وليدة الأحداث والفتن المتتالية منذ سنوات ١٨٤١ - ١٨٤٣ - ١٨٤٥، والثورات الفلاحية في سنة ١٨٥٨، حرصت في أثناء ذكر الاضطرابات والحروب الطائفية التي مرت على عدم ذكر أعداد القتلى؛ وذلك بسبب تباين تلك الأعداد بين المصادر، فضلاً عن ذلك لم أذكر من بدأ بالهجوم، حتى لا اهتم بالانحياز لطرف على حساب طرف آخر، ولكن كوني طالباً ومهمتي إجلاء الحقيقة فبنظرة عقلية، وتحليل منطقي، أرى بأن هذه الفتن من صنع الدول الاستعمارية الكبرى التي سعت من خلال تلك الحروب إلى تثبيت سيطرتها على الجبل وبالتالي ليس من المهم معرفة عدد القتلى، ومن بدأ بل الأهم من ذلك هو أن نتعلم، ونأخذ العبر من ذلك. وبناء عليه فإن التركيز على أعداد القتلى من الطوائف، وتكرار أسماء الطوائف هو استمرار للمشروع الاستعماري وتقديم خدمات جلييلة من حيث لا ندري، وبعد حوادث سنة ١٨٦٠ تحرك الباب العالي^(١) على الفور، وأرسل السلطان في ٩ تموز سنة ١٨٦٠ وزير خارجيته فؤاد باشا^(٢)، وحين وصوله إلى بيروت قرأ على الجميع فرمان تعيينه وحدد مهمته بإحلال السلام، فدعا على الفور المتقاتلين إلى وقف النار، و قام بعزل والي دمشق أحمد باشا، ووالي بيروت خورشيد باشا^(٣)، وفي هذه الأثناء أصدر (نابليون الثالث) قراره بإعداد حملة مؤلفة من ستة آلاف جندي، وعهد بقيادتها إلى الجنرال دي بوفور ووصلت الحملة إلى بيروت في ٢٦ آب سنة ١٨٦٠ وما إن وصل أجرى (بوفور) اتصالاته مع فؤاد باشا في دمشق^(٤)، وبما أن منصب القائم مقامية المسيحية فارغ منذ إقالة القائم مقام

١- الباب العالي: مقر الحكم في الدولة العثمانية، وقد أنشأه السلطان محمد الرابع سنة ١٦٥٤ وكان له أهمية كبيرة في القرن التاسع عشر، وخصوصاً في عهد السلطان عبد العزيز، والسلطان عبد الحميد الثاني.

صابان: مرجع سابق، ص ٤٩.

٢- فؤاد باشا: ولد في الآستانة سنة ١٨١٥ دخل المكتب السلطاني الطبي الذي أسسه السلطان محمود الثاني، وفي سنة ١٨٣٧ كان مصطفى رشيد باشا في نظارة الخارجية، وتوسم في صاحب الترجمة مستقبلاً في السياسة، فحرضه على ترك الطب فتركه، وتم تعيينه مترجماً في الباب العالي، ثم أصبح مترجماً أول للديوان الهمايوني. وتسلم منصب الخارجية خمس مرات، ثلاث منها في عصر السلطان عبد الحميد، واثنان في عهد السلطان عبد العزيز، وأصيب في أواخر حياته بمرض في القلب، وتوفي في سنة ١٨٦٨، وكان عمره خمسون سنة. زيدان، جرجي: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج ٢ منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت ج ٢، ص ٣٠٤ - ٣١٠.

٣- ضو: مرجع سابق، ص ١٧.

٤- عمر: تاريخ لبنان الحديث ١٥١٦-١٩١٥، ص ١٤٥.

بشير أحمد أبو اللمع، كان على فؤاد باشا أن يسلم هذا المنصب لأحد الموارنة^(١) فاقترح عليه (بيكلار) مندوب فرنسا في اللجنة الدولية تعيين يوسف بك كرم^(٢)، في البداية رفض فؤاد باشا اقتراح المندوب الفرنسي (بيكلار)، إلا أنه عاد ليوافق على اقتراحه^(٣)، وأثار تعيين يوسف كرم معارضة عنيفة في الأوساط المسيحية، حيث أعلن المطران طوبيا عون^(٤) معارضته له داعياً لعودة الشهابيين إلى الحكم كما أعلن المشايخ الإقطاعيون أصحاب الامتيازات اعتراضهم على تسلمه هذا المنصب^(٥)، فأخذ (دي بوفور) قائد قوات الغزو الفرنسي على عاتقه تغييب اسم يوسف كرم عن المسرح السياسي، وعمل على دس الدسائس ضده فحرض عليه حكام المقاطعات، ووجه إليه تهمة تحريض المشايخ والأعيان والأهالي في كسروان وتشجيعهم على عدم دفع الضرائب المتأخرة^(٦)، وبلغ من سوء العلاقة بين دي بوفور ويوسف كرم بأنه طالب بعزل كرم من منصبه، حيث عمل بوفور على جمع عرائض مكتوبة تطالب بعودة الشهابيين للحكم^(٧)، ووصلت هذه العرائض إلى المناطق الدرزية حيث وقّع عليها ثمانون من أعيان الموحدين^(٨)، ثم جمعت عرائض وقع عليها نحو عشرة آلاف شخص^(٩)، ورد كرم على هذا التصرف بأنه عمل شخصي من الجنرال دي بوفور، ولكن إزاء

١- غنام: المقاطعات اللبنانية في ظل حكم الأمير بشير الشهابي الثاني، ص ٣٥٣.

٢- يوسف كرم: وهو مارونيا بن بطرس كرم ١٨٢٣-١٨٨٩، ينعت بـ بطل جبل لبنان من أهل قرية أهدن، عينه الأمير حيدر الشهابي حاكماً عليها بعد أبيه، وعينه فؤاد باشا على أثر حادثة سنة ١٨٦٠ وكيل قائممقام، ولم يلبث أن اعتزل العمل طامحاً أن يكون متصرفاً لجبل لبنان بعد أن تنتهي مدة المتصرف داود باشا فاعتقله فؤاد باشا، ونفاه إلى الآستانة سنة ١٨٦١، لكن عودته سنة ١٨٦٤ ما أدت لخوف داود من ذلك، وحدث صراع بينه وبين كرم ومن ثم تدخل القنصل الفرنسي الذي عمل على إخراجه من جبل لبنان، وبعد تنقله في أوربة استقر في نابولي؛ معلناً بأنه لن يخرج عن إرادة السلطان العثماني، وتوفي في قرية أهدن. من آثاره: رسالة الإسكندرية، مذكرات دعيت برسالة المحمودية و ديوان شعر. الزركلي: مرجع سابق، ج ٨، ص ٢٢١.

٣- الخازن: مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٠٤.

٤- القس طوبيا عون: راهب من الدامور، رقاہ البطريك يوسف حبيش إلى أسقفية عكا، ومن ثم سلمت إليه أبرشية بيروت سنة ١٨٤٥، وتوفي في سنة ١٨٧١. الدبس: مصدر سابق، ص ٢٦٢.

٥- غنام: المرجع السابق، ص ٣٥٤.

٦- سويد: مراسلات الحملة العسكرية، ص ٣٣٢.

٧- غنام: المرجع السابق، ص ٣٥٧.

٨- أبو شقرا: مرجع سابق، ص ١٣٩.

٩- سويد: المرجع السابق، ص ٣٩٧.

الضغط الذي مورس على يوسف كرم قدم استقالته، وطلب من فؤاد باشا قبولها، وكان ذلك في ٩ من حزيران سنة ١٨٦١، فاتفقت السلطنة العثمانية مع الدول الأوروبية على تشكيل لجنة دولية من أجل البحث في الحرب الأهلية في جبل لبنان، ومعرفة مسببها وتقدير الخسائر المادية التي آلت بالمنكوبين، والعمل على إدخال تعديلات على نظام القائمقامية السائد في جبل لبنان، وكانت اللجنة مكونة من فرنسا، بريطانيا، روسيا، بروسيا، النمسا، السلطنة العثمانية، على أن تكون الاجتماعات برئاسة العثمانيين، وعقدت أول جلساتها في ٥ تشرين الأول سنة ١٨٦٠ في بيروت، حيث مثل السلطنة العثمانية وزير خارجيتها محمد فؤاد باشا، وبريطانيا (اللورد دوفرين) وفرنسا (بيكلار)، وروسيا (نوفيكوف)، والنمسا (فيكبكر)، وبروسيا (ريغوس)^(١)، وطرحت فرنسا خلال الاجتماع تحويل جبل لبنان إلى إمارة مارونية، وعودة الحكم الشهابي إليها^(٢)، ولكن التسوية التي انعقدت عشية سنة ١٨٦١ عكست علاقات القوى المشاركة في الصراع، ولا سيما القوى الخارجية وكانت فرنسا من أقوى الأصوات في اللجنة الدولية^(٣)، وفي ٩ حزيران ١٨٦١ وقّع في إستانبول على نظام جبل لبنان وتم توقيع إيطاليا على ميثاق ١٨٦١-١٨٦٤، في سنة ١٨٦٧، وأصبح بذلك عدد الدول الموقعة على نظام جبل لبنان سبع دول^(٤) (فرنسا- بريطانيا- روسيا- بروسيا- النمسا- السلطنة العثمانية- إيطاليا).

و بسبب تداول السفراء مع الباب العالي في مسائل جبل لبنان تم إقرار نظام سنة ١٨٦١ المؤلف من سبع عشرة مادة^(٥)، فقررت بريطانيا استبعاد أي حاكم من داخل جبل لبنان، وأصرّت على أن يكون مسيحياً من خارج الجبل، وذلك لعدم الاتفاق على شخص معين من داخل الجبل، وأيدت روسيا هذا الاتجاه في حين وقفت النمسا إلى جانب فرنسا، ولإنهاء هذا الخلاف عملت الدولة العثمانية على ترشيح موظف عثماني يحظى برضى الدول الأوروبية^(٦)، فرشحت داود أفندي لمنصب المتصرف^(١).

١- غنام: المقاطعات اللبنانية في ظل حكم الأمير بشير الشهابي الثاني، ص ٣٥٧-٣٥٨

٢- فارس: مرجع سابق، ص ٧٣.

٣- تقي الدين: مرجع سابق، ص ١٨٩.

٤- حنّ، فيليب: لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريجة، بيروت، ١٩٥٩، ص ٥٣٦.

٥- خاطر، لحد: عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١-١٩١٨، دار لحد خاطر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢، ص ١٢.

٦- عمر: تاريخ لبنان الحديث ١٥١٦-١٩١٥، ص ١٥٧.

ويروى بأنه حين ركب على ظهر الباخرة المتجهة إلى بيروت لتسلم منصبه اطلع على نظام المتصرفية فقال: (إني لو قرأته من قبل لما رضيت بهذه الوظيفة في بلد له مثل هذا النظام الناقص المعتل). غادر الآستانة في أواسط حزيران سنة ١٨٦١ متوجهاً إلى بيروت ووصل في أواخره، وفي تموز سنة ١٨٦١ اتجه داود باشا من بيروت إلى دير القمر مركز حكومة الجبل^(٢)، حيث اختار قصر الأمير بشير في بيت الدين مقراً له وكان مركزه الشتوي في بعدا^(٣)، واجه في بداية حكمه صعوبات عدة في تعاطي الأحكام وتشكيل الدوائر، وتعيين الموظفين^(٤)، كما عمل على استمالة يوسف بك كرم؛ نظراً لما له من نفوذ لدى الشعب، وعرض عليه عدة مناصب في حكومته، ولكنه لم يقبلها، واستعان بفؤاد باشا وبالبطريك بولس مسعد^(٥) لإقناع كرم على زيارة داود في الدير، وتولي مناصب حكومية فوافق احتراماً لهما شرط أن يتخلى عن أي منصب يستلمه متى شاء، فعُين قائمقام لجزين^(٦).

وعندما سافر فؤاد باشا إلى الآستانة في سنة ١٨٦٢ اصطحب معه يوسف كرم الذي سبب قلقاً لراحة داود باشا؛ لأن يوسف كان يرى بأن نظام سنة ١٨٦١ مجحف بحق الأهالي، لأنه يعين حاكم على جبل لبنان من خارج الجبل^(٧)، ومن أهم أعماله:

١- داود أفندي: ولد في الآستانة سنة ١٨١٨ من عائلة أرمنية كاثوليكية، اسم والده كراتب أرتين، وتلقى علومه الثانوية في كلية أزمير الفرنسية، والتحق بمعهد الحقوق الشاهاني، وأتقن عدداً من اللغات والتحق بالسلك الدبلوماسي، وتدرج فيه حتى أصبح في منتصف القرن التاسع عشر قائماً بالأعمال في برلين، وفي سنة ١٨٥٣ عُيّن ناظراً عاماً للمطبوعات، ثم مديراً للبريد والبرق. ونلاحظ: من بعد تعيين داود أفندي والمتصرفين الذين أتوا من بعده جميعهم من خارج الجبل؛ وذلك بعد اتفاق الدول الأوروبية استبعاد أي حاكم من داخل جبل لبنان. طرين، أحمد: لبنان منذ عهد المتصرفية إلى بداية الانتداب ١٨٦١-١٩٢٠، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٥.

٢- خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٢.

٣- حتي: مرجع سابق، ص ٥٣٨.

٤- خاطر: المرجع السابق، ص ٢٧.

٥- بولس مسعد: ولد سنة ١٨٠٦ ببلدة عشقوت تابعة لقضاء كسروان، دخل مدرسة عين ورقة سنة ١٨٢٠، وفي سنة ١٨٢٤ أرسله البطريك يوسف حبيش إلى روما ليكمل دراسته، ثم عاد إلى الجبل في سنة ١٨٢٦. خليفة، عصام كمال: أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر، دار الجبل، بيروت، ط ١، ١٩٨٥، ص ١٣.

٦- طرين: المرجع السابق، ص ١٦.

٧- خاطر: المرجع السابق، ص ٢٨.

- ١- تنظيم بعض الدوائر، وترتيب مجالس المحاكمة، والوكلاء^(١)، وتعيين حكام القائمقامتين^(٢) فعين لكسروان والبترون الأمير مجيد قاسم شهاب، وللكورة الأمير حسن شهاب، وللمتن الأمير مراد أبي المم، ولزحلة الأمير عبد الله شديد أبي المم، وللشوف الأمير ملحم أرسلان، ولدير القمر قيس شهاب، ولجزين قعدان الخازن.
- ٢- أسس الجندية، وجعل عدد أفرادها ١٥٠٠، وقسمهم إلى فرسان، ومشاة، ودعا لترؤسهم يوسف بك كرم استرضاءً له، ولكنه لم يقبل بذلك، وقام باستدعاء ضابطين فرنسيين ليدربا هذه الجندية.
- ٣- أصدر أوامره بانتخاب شيخ صلح لكل قرية، واستدعى المشايخ المنتخبين إلى بتدين^(٣) فانتخبوا المجلس الإداري الكبير^(٤).
- ٤- عمل على التودد، والتقرب من الأهالي، فأخذ يزور رجال الدين، والأعيان، ويستمع إلى شكاويهم.
- ٥- عمل على شراء سرايا دير القمر وقصر بيت الدين بمبلغ ١٢ ألف كيس.
- ٦- أنشئ مضافة في بتدين وجريدة باسم لبنان^(٥).
- ٧- أقام العديد من المدارس الحكومية والجانبة، ولا سيما مدرسة الداودية الدرزية^(٦).
- ٨- شق طريقاً للعربات بين بيروت وبتدين، ولكنها لم تنجز إلا في عهد خليفته فرنكو رستم^(٧).

١- أبو صالح: مرجع سابق، ص ٢٧١.

٢- ألحق بمركز المتصرفية عدة دوائر من أجل تنفيذ قرارات المتصرف، ومنها: رئيس المحاسبة (محاسبي)، قائد الضابطية (أميرآلي)، مدير قلم التحريات التركية، التحريات العربية والأجنبية، مدير الأوراق، رئيس يوان محكمة الاستئناف الحقوقية، رئيس ديوان محكمة الجزاء، مدير مركز البوسطة والتلغراف، مهندس النافعة. سالنامه دولة عثمانية: سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣، ص ٨٣٢. سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٥، ص ٨٩٤-٨٩٥. سعيد، عبد الله إبراهيم: أشكال الملكية وأنواع الأراضي في متصرفية جبل لبنان، مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٥، ص ٥٥-٥٦.

٣- خاطر: عهد المتصرفين، ص ٢٨-٢٩.

٤- من صلاحيات المجلس الإداري الكبير: الإشراف على توزيع الضرائب، وطرق جبايتها، وصرفها، والعمل على تحسين الأوضاع الزراعية، وشق الطرقات، وإبداء الرأي والمشورة في كل المسائل التي يعرضها عليه المتصرف الحاكم. سعيد: المرجع السابق، ص ٥٥.

٥- خاطر: المرجع السابق، ص ٣٠.

٦- حنّي: مرجع سابق، ص ٥٤٠.

٧- خاطر: المرجع السابق، ص ٣٠.

وفي صيف سنة ١٨٦٤ انتهت مدة حكم داود باشا المتفق عليها، فسافر إلى الآستانة حاملاً معه بعض الاقتراحات التي يجب إدخالها على نظام المتصرفية، فتقرر تحديد ولايته لمدة خمس سنين جديدة وخلال عودته إلى جبل لبنان اصطدم بخبر عودة يوسف بك كرم إلى أهدن حيث توافد الناس من كل جانب لتهنئته^(١)، وهذا ما أقلق بال داود باشا الذي أخبر قنصل فرنسا والبطريك فتدخلوا في الأمر لدى يوسف كرم الذي وعد بالإخلاء للسكينة على أن يتركه داود باشا وشأنه^(٢)، ولكن رغم ذلك لم يشعر داود باشا بالراحة التامة، ففي حزيران سنة ١٨٦٥، سافر إلى الآستانة، و عرض على السلطنة قضية كرم قائلاً: (إن الأمر لن يستقيم في لبنان إلا بعد إبعاده)^(٣)، وإذ به يعود ومعه ١٥٠٠ جندي عثماني، وفي ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٦٧، أعلنت فرنسا حمايتها لكرم، وتقرر سفره إلى خارج البلاد إلى أن توفي في فرنسا سنة ١٨٨٨^(٤).

ولكن ما لبث أن قامت معارضة أخرى ضد داود باشا، تمثلت بمعارضة رجال الإقطاع وأغلبيتهم من الموحدين، ولاقت معارضتهم قبولاً عند عامة الناس؛ بسبب فداحة الضرائب، ولكنه نجح في التخفيف من وطأة ذلك الاحتجاج، ألقى خطاباً أمام أعيان الجبل، ضرب لهم المثل الآتي: (مرض طبيب، فاستدعى زميلاً له وقال: نحن ثلاثة أنت وأنا والمرض، فإذا أعنتني قهرنا المرض، وإذا أعنت المرض فتكون قد قهرتني أنا، وهكذا نحن هنا، فساعدوني وأؤكد لكم أننا سننتصر ساعدوا العداوة والبغضاء فتجلبوا الخراب والدمار عليّ وعلى أنفسكم)^(٥).

أرسل أهالي صيدا عريضة للباب العالي عن طريق داود باشا مطالبين بالانضمام إلى جبل لبنان فنصحه فؤاد باشا بأن يرفع العريضة مقترنة بطلب إقالته إن لم يليى الطلب، موهماً إياه بأن الباب العالي لا يمكنه الاستغناء عنه، وهكذا وقع داود في الفخ الذي صنعه له فؤاد باشا، وبعد ذلك أسند إليه في الآستانة منصب نظارة النافعة مع نظارتي البرق والبريد، ومن ثم تم عزله من خلال وشاية قدمت ضده إلى الباب العالي؛ مفادها بأنه أساء الأمانة، وأخذ لنفسه قرضاً بقيمة مليوني ليرة ذهبية فخاف داود باشا من مغبة هذه الوشاية، فسافر إلى أوروبا، وعندما كان في باريس طُلب للتحقيق معه

١- عمر: تاريخ لبنان الحديث ١٥١٦-١٩١٥، ص ١٦٣.

٢- خاطر: عهد المتصرفين، ص ٣٢.

٣- عمر: المرجع السابق، ص ١٦٥.

٤- خاطر: المرجع السابق، ص ٣٢-٣٤.

٥- حنّي: مرجع سابق، ص ٥٣٩-٥٤٠.

ولكنه لم يحضر بسبب وضعه الصحي السيء، تشرين الثاني سنة ١٨٧٢ توفي خلفاً ثروة قدرها ٦٠٠ ألف ليرة ذهبية، لكن وقفها لطائفته الأرمنية الكاثوليكية لتنشئ بها مدرسة مجانية لتعليم الفقراء، ولم يرزق داود أولاداً؛ لأنه قبل تعيينه متصرفاً تزوج بامرأة بريطانية، ولكنه لم يكن على وفاق معها وحينما عُين متصرفاً انفصلاً عن بعضهما^(١).

وفي ٢٨ تموز سنة ١٨٦٨ اجتمعت اللجنة الدولية عند فؤاد باشا ووافقت على تعيين فرنكو أفندي^(٢) متصرفاً لجبل لبنان لمدة عشر سنين^(٣)، وعلى أثر ذلك صدرت إرادة سلطانية بمنحه رتبة الوزارة، حيث جاء إليه في اليوم الذي عُين فيه متصرفاً وهو لم يكن لديه العلم بعد بتعيينه فؤاد باشا ووقف أمامه وقال: (أهلاً وسهلاً بدولة أفندينا فرنكو باشا فوقف فرنكو متفاجئاً في مكانه، وقال معاتباً: إني يا مولاي أشرف بناديك لا سليك لا لاسمعك تسخر مني وتهكم علي، ثم قال فؤاد باشا وحياء راس أفندينا أنك قد صرت اليوم صاحب الدولة)^(٤).

وصل فرنكو إلى بيروت مع أسرته المؤلفة من أولاده الستة، وهم أربعة ذكور وبتنان وكان أكبر أولاده الذكور نصري، والثاني فايزلي، وكانا في سن التوظيف وحتى لا يقال بأنه قام باستغلال منصبه، ويثقل كاهل الخزينة بمعاش ولديه لم يوظفهما، إلى أن ورد إليه أمر من السلطنة بتعيين ابنه نصري معاوناً له في الحكم، وفايزلي مفتشاً في الدرك، وكان ثالث أولاده يدعى إدوارد وبعد وفاة والده أراد الدخول في وظائف الحكومة، فاضطر إلى تغيير اسمه واتخذ اسم فؤاد بك وعندما عاد إلى جبل لبنان مع صهره نعيم باشا زوج شقيقته ماري، عينه مفتشاً للدرك ولكنه ما لبث أن توفي في سنة ١٨٧٣، ورابع أولاده يوسف الذي انتخب متصرفاً لجبل لبنان سنة ١٩٠٧ باسم يوسف باشا فرنكو. ومن أهم أعمال فرنكو أفندي:

١- تعيين لجنة مستشارين من أعيان البلاد يستعين بآرائهم في جميع المجالات.

١- خاطر: عهد المتصرفين، ص ٣٤-٣٥.

٢- فرنكو أفندي: ولد في الآستانة سنة ١٨١٤ من والدين حلبين، وتلقى علومه في مدارسها وسعى والده لإدخاله في سلك السلطنة، فعين كاتباً في وزارة الخارجية، ثم ناظراً للبريد والبرق، حيث جاء إلى بيروت سنة ١٨٦٠ مع فؤاد باشا، بعد أن عينه أميناً لسره، وكاتباً ليد.

خاطر: المرجع نفسه، ص ٣٦.

٣- طربين: لبنان منذ عهد المتصرفية، ص ٢٣٦.

٤- خاطر: المرجع السابق، ص ٣٧.

٢- أنشئ إحدى عشرة مدرسة حكومية مجانية للذكور والإناث، وتعيينه عدة أساتذة يدرسون فيها العربية، وأمر بفتح مدرسة ليلية في بتدين لتعليم من يجهلون القراءة والكتابة، وعمل على إرسال الطلبة إلى أوروبا لإتمام دراستهم^(١).

٣- سعى لدى السلطنة العثمانية لإعفاء الأدوات الزراعية المستوردة من الرسوم الجمركية من أجل النهوض بالزراعة، كما استحضر مقداراً كبيراً من دوالي العنب من الآستانة، ووزعها مجاناً على الفلاحين، كما وزع كميات وافرة من بذور الصنوبر، وعيّن حسن بك الأشقر أحد أعضاء مجلس الإدارة^(٢) ليتولى الإشراف على زراعتها.

٤- عمل على شق طرق عدة منها: طريق من الحازمية إلى بعبدا، وطريق من بتدين إلى بعقلين^(٣) وأتمّ قسماً من الطريق التي شقها سلفه داود باشا من بيروت إلى بتدين .

٥- قام بإنشاء للجسور، حيث قام بتجديد جسر الدامور الذي كان قد أنشأه داود باشا وتقدم في أول عهده، وأنفق عليه مبلغاً من المال زاد على ألف وخمسمائة كيس.

٦- أنشأ مصنعاً للسجاد في دير القمر^(٤).

٧- أصدر أمراً بحسم عشرة في المئة من مرتبات الموظفين، و رجال الدرك مبتدئاً براتبه الخاص.

وفي ١ كانون الأول سنة ١٨٧٢ أصيب فرنكو باشا بمرض القلب وتوفي في ٨ شباط سنة ١٨٧٣ وله من العمر ٥٩ سنة.

وبعد وفاته عقد في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٨٧٣ اجتماع في الباب العالي بين الصدر الأعظم والسفراء ممثلي الدول الموقعة على نظام جبل لبنان^(٥)، ومن ثم عقد اجتماع آخر في ١٢ شباط صدر

١- خاطر: عهد المتصرفين، ص ٣٨-٤٠-٤١.

٢- مجلس الإدارة: كان يتألف من اثنين من كل من الموارنة، والموحدين، والأرثوذكس، والسنة، والشيعة والكاثوليك وحسب تعديلات سنة ١٨٦٤ أصبح يتألف من أربعة من الموارنة، اثنان من الأرثوذكس واحد من كل من السنة، والشيعة، والكاثوليك. معطي: مرجع سابق، ص ١٢.

٣- بعقلين: تابعة لقضاء الشوف، وترتفع عن البحر ٨٥٠م، وتبعد عن بيروت ٥٢ كم، ويقال بأن أصل الكلمة سريانية، بمعنى بيت العقال، ويقال إن الأمراء المعنيين اتخذوها مقراً لهم. هشي: مراسلات، ص ١٢٨.

٤- خاطر: المرجع السابق، ص ٤٤.

٥- طرين: لبنان منذ عهد المتصرفية، ص ٢٧٨-٢٨٧.

فيه مرسوم بتعيين رستم باشا^(١)، وأبلغ رستم بذلك وهو في بطرسبورغ، فعاد على ظهر باخرة روسية، ووصل إلى الآستانة في ٢٤ من الشهر ذاته وقابل الصدر الأعظم الذي هنأه بهذا المنصب، وفي ١ أيار سنة ١٨٧٣ وصل إلى بيروت، وفي حزيران غادرها إلى بتدين، بقي حاكماً لمدة عشر سنين وثلاثة أشهر.

ومن أهم أعمال رستم باشا:

- ١- أنشأ ٧٢ مدرسة حكومية.
 - ٢- أقام العديد من الجسور ومن أهمها ما يسمى جسر الباشا على مقربة من الحازمية.
 - ٣- اهتم بشق الطرق، فقد بلغ طول الطرق التي عمل على شقها ستين ألف متر حيث رصف الطريق بين بعدا وبيت الدين، ورصف الطرق الرئيسة التي تربط زحلة، وعالية، ودير القمر، وبين بيروت^(٢).
 - ٤- أصدر قراراً بمنع اصطياد طير الحجل في أيام تفقيصه حماية له مدة ثلاثة أشهر على الأقل^(٣).
- تعرض رستم للكثير من المعارضة، حيث انتظر معارضييه حتى سنة ١٨٧٨ فور انتهاء دورته الأولى في الحكم؛ ليرفعوا الشكاوي ضده إلى الباب العالي، على أمل استبداله حيث عملوا على جمع العرائض، وجعلوا كلاً منها باسم منطقة من المناطق، وكلفوا عدداً من الأشخاص بالطواف على أهل القرية لجمع التواقيع، عندما علم رستم باشا بأمر العرائض قام باعتقال القائمين على ذلك الأمر، وما لبث أن قام معارضوه بتسليم هذه المهمة لبعض رجال الدين؛ بسبب الحصانة التي تمتعوا بها، وكان من بين هؤلاء كاهن قرية رويسة النعمان؛ الخوري مارون سعادة، ومن ثم أنشأ معارضوه لجنة من دير

١- رستم باشا: ولد في فلورنسة سنة ١٨١٠، كونت إيطالي ينتسب إلى أسرة مارياني، درس في جامعات إيطاليا وفرنسا، وكان والده من أرباب الثروة، ويقال بأنه قد خسر ثروته بسبب كفالة صديق له بدين كبير، فاضطر لبيع ما يملك لدفع المبلغ المطلوب. خاطر: عهد المتصرفين، ص ٤٧.

٢- حَتَّى: مرجع سابق، ص ٥٤٢.

٣- وفي أحد الأيام دُعي إلى العشاء في بيت قنصل بريطانيا، فقدم له حجلاً، وسألته زوجة القنصل على أن يأكل منه طرياً، فاستغرب وسألها من أين تأتون به، وليس في بيروت من يبيعه، فقالت له: بأن أبا حسين وكيلهم صياد ماهر يذهب للصيد كل يوم، وبعد انتهائه من العشاء قام بإلقاء القبض على أبي حسين، ثم ما لبث أن ذهبت أم حسين وأولادها إلى القنصل البريطاني، وأخبروه بذلك، فسأل المتصرف عن ذلك التصرف، فقال له: بأن أبا حسين خالف القانون، واصطاد الحجل في وقت ممنوع فيه الصيد. يزيك: أوراق لبنانية، ص ١٠٠.

القمر مهمتها الاتصال بالقناصل، ورفع العرائض إلى الباب العالي، ولكن رستم قام باعتقال عدد منهم، أما رجال الدين فكان رستم يرغب باعتقالهم، لكن مستشاريه حذروه من عواقب ذلك التصرف.

وبالمجمل يمكن تلخيص الشكاوى التي قدمت ضده على النحو الآتي: إهانة الذين يكرههم، وإيقاع الأذى بهم، وإلقاء الفتن بين الطوائف، وتغييره لمعظم أعضاء مجلس المحاكمة الناقمين عليه، وذلك لإرهاب الأعضاء الجدد، وفرض سيطرته عليهم .

كان هناك خصومة بينه، وبين المطرانين بطرس البستاني ويوسف الدبس، ومن أهم أسباب هذه الخصومة كون المطرانين من أنصار يوسف بك كرم، و يعملان على إعادته إلى جبل لبنان، و كان رستم من ألد أعدائه، ولا يتردد عن الإساءة لكل من يدعمه أو يقف إلى جانبه، ففي سنة ١٨٧٤ قام رستم بزيارة لشمالي جبل لبنان حيث وقع خلاف بين عدة رهبنة، فاستدعى الرهبنة الخاسرين الذين رفضوا الخضوع للرهبنة الآخرين، وعنفهم على تمردهم بكلام جارح، فثاروا عليه وضربوه بزنانيرهم الجلدية، فاستدعى بناء على ذلك فرقة من الجند اعتقلتهم جميعاً، وساقتهم مكبلين إلى سجن بتدين^(١)، فطلب المطرانان البستاني والدبس من الباشا^(٢) تحويلهم إلى المحكمة البطريكية استناداً إلى المادة ١٧ من بروتوكول جبل لبنان سنة ١٨٦٤^(٣) لكنه رفض ذلك، وأمر بضربهم تحقيراً للمطرانين، كما أنه عمل على إدخال ضريبة الطوابع إلى جبل لبنان، وكان من أوائل معارضيه في ذلك المطرانان البستاني والدبس^(٤).

وبناء على كل ما ذكر؛ فقد صمم المطرانان البستاني، والدبس على عزل رستم، وكان لهما ما أرادوه^(٥) حيث رفع المطران الدبس عريضة إلى الصدارة العظمى ضد رستم باشا قائلاً فيها: (إنه

١- خاطر: عهد المتصرفين، ص ٧٠-٧٩.

٢- الباشا: لقب عثماني أطلق على رتب متعددة عسكرية ومدنية، وأطلق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر على الذين يرقون إلى درجة وزير وأمير الأمراء. صابان: مرجع سابق، ص ٥٢.

٣- نصت المادة ١٧ من بروتوكول جبل لبنان سنة ١٨٦٤ على أن: (كل الدعاوى الكائنة بين أفراد رهبان الأديرة وخوارنة الكنائس يكون المظنون به، أو المتهم للحكومة الرهبانية، إلا أن تطلب الأسقفيات إحالة ذلك إلى مجلس الدعاوى العادية). خاطر: المرجع السابق، ص ٢٣.

٤- خاطر: المرجع نفسه، ص ٨٠.

٥- الخوري، شاكر: مجمع المسرات، مطبعة الاجتهاد، بيروت، ١٩٠٨، ص ٣٤٩.

تمادى في الظلم و السير بغير حق^(١)، حيث وقع على تلك العريضة المطران بطرس البستاني، وعندما أعادت الصدارة العظمى تلك العريضة إلى رستم باشا زاد في كرهه للمطرانين، ورداً على ذلك رفع رستم باشا بدوره عريضة إلى الآستانة يتهم فيها المطرانين بإقلاق الراحة العامة، والعمل على إثارة الفتن والقتال بين الموحدين، و الموارد، وإعادة عهد سنة ١٨٦٠.

ثم قام رستم بجولة على القناصل الأوربيين، وبيّن لهم أن بعض الأساقفة يسعون إلى خلق البلبه والفوضى في صفوف الأهالي في الجبل من أجل استعادة يوسف بك كرم من منفاه، وتسليمه الحكم وبما أن (المسيو تريكو) قنصل فرنسا من أشد خصوم كرم، وثق بما قيل له، وانحاز إلى جانب رستم باشا مما زاد من نفوره للمطران بطرس عندما قام السفير الفرنسي بزيارة لرستم باشا في بتدين، ولم يشارك المطران في استقباله^(٢).

وما لبث أن عمل رستم على استمالة قنصل بريطانيا (المستر ألدرج)، فتم العمل على أساس نفي المطران بطرس^(٣)، وحرص رستم على أن يتم ذلك الأمر بغاية السرية، ولكن ما لبث الخبر أن تسرب إلى بعض المطارنة، ف عقدوا اجتماعاً في بكركي أقروا فيه شن حملة على المتصرف، ومناصرة المطران ولكن البطريك بولس مسعد قال بوجوب مسالة المتصرف ومناصرته على الإصلاح، لكن صدور القرار السلطاني بتاريخ ٣١ أيار سنة ١٨٧٨ القاضي بنفي المطران بطرس إلى القدس الشريف، تلقاه رستم بارتياح كبير، وعمل على تنفيذه بالسرعة القصوى^(٤).

لكن فيما بعد أحس البطريك بولس أن نفي المطران بطرس ضربة أليمة للطائفة، ومساساً بالامتيازات الأكليريكية^(٥)؛ لذا عمل على تلافي الأمر، ودعا المطارنة إلى بكركي، وعقدوا عدة اجتماعات فتوصلوا إلى اختيار المطرانين الحاج والدحداح لمقابلة الباشا، وقناصل الدول الأوربية وفي أثناء المقابلة احتجا بشدة على ما جرى، ولكنهما أخفقا في طلبهما، وبعد كل المساعي والجهد الذي بذل من قبل أنصار المطران بطرس ومحبيه، فقد تمت تبرئته من التهم التي نسبت إليه، بعد ذلك أخذ الأهالي يطالبون بعودته إلى جبل لبنان، فأول عمل قامت به الآستانة هو؛ إرسالها برقيات إلى

١ - خاطر: عهد المتصرفين، ص ٨١.

٢ - خاطر: المرجع نفسه، ص ٨٢ - ٨٣.

٣ - طرين: لبنان منذ عهد المتصرفية، ص ٢٢٣.

٤ - خاطر: المرجع السابق، ص ٨٥ - ٨٧.

٥ - طرين: المرجع السابق، ص ٢٢٦.

متصرف القدس لكي يعطي المطران حريته التامة، وأن يحاط بكل أنواع الرعاية والتكريم، وفي ٧ شباط سنة ١٨٧٩ سافر رستم إلى الآستانة، وعيّن نائباً عنه الأمير أمين منصور أبي اللمع ثم خرجت الإشاعات بإقالته من منصبه، لأن السلطنة العثمانية فكرت في عزله فاستدعت نصري بك فرنكو نجل فرنكو باشا من باريس ليستلم منصب المتصرف بدلاً من رستم لكن القنصل البريطاني رفض ذلك، وأصر على تثبيت رستم في منصبه، ثم استقر الأمر على تثبيت رستم في منصبه شرط أن لا يعارض السياسة الفرنسية في جبل لبنان^(١).

ثانياً - دراسة الأوضاع السياسية في جبل لبنان بين عامي ١٨٧٦-١٩٠٨ .

انفجرت أزمة سياسية في جبل لبنان سنة ١٨٧٦ على أثر إعلان الدستور^(٢) حيث حصل تضارب في تطبيق الدستور المعلن في الآستانة على الجبل، وبين النظام الأساسي المطبق في الجبل؛ لأن الدستور يقضي بإرسال كل ولاية عثمانية مندوبين عنها إلى مجلس المبعوثان، وبناءً على ذلك تلقى رستم باشا حاكم متصرفية جبل لبنان أمراً من وزير الداخلية العثمانية بإجراء الانتخابات في الجبل بمساعدة والي سورية، ولكن مجلس إدارة المتصرفية رفض ذلك، وكانت حجته تقوم على الآتي: (إن وجود نواب لبنانيين ليس له مبرر في ندوة مدعوة لتحسين حالة الولايات العثمانية عموماً وجبل لبنان يتمتع منذ ١٥ سنة بدستوره الخاص، وهو كالباب العالي لا يمكنه من إجراء تخوير فيه ولا يريد ذلك على كل حال، وهو راض عن مصيره ولا مجال أمامه للشكوى، وإن نظامات سنة ١٨٦١ التي خلصته من شرور كثيرة قد أمنت له الرفاهية، وإن ما يريده هو تطبيق هذا النظام بدقة)^(٣)، ثم تساءل القنصل الفرنسي بعد أن طلب منه رستم باشا التدخل لإقناع الإدارة بإجراء الانتخابات (ألسنا نخاطر بأن نعرض للزوال عملاً بذلنا المستحيل للحصول عليه)^(٤).

١- خاطر: عهد المتصرفين، ص ٩٨-١١٣-١٢١-١٢٢.

٢- الدستور: أصدره السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٨٧٦، وتم على أساسه تشكيل مجلس نيابي في الدولة العثمانية (المبعوثان)، وفي السنة التالية أصدر مرسوماً لتعطيله لأجل غير مسمى، ومن ثم أصدر في سنة ١٩٠٨ مرسوماً بإعادة تطبيق الدستور. صابان: مرجع سابق، ص ٢٠٩.

٣- كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي من المتصرفية العثمانية إلى دولة لبنان الكبير، منشورات بحسّون الثقافية، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٥٥.

٤- كوثراني: المرجع نفسه، ص ١٥٥.

تأمل هذا التصريح ولاحظ من طريقة السؤال، وكأن القنصل الفرنسي يتحدث عن مزرعة أوبيت يملكه، وكأن أصحاب الشأن لا دور لهم سوى التنفيذ؛ وبالإضافة لذلك فهذا ما يشير إلى التدخل الأوربي المباشر، وبأن أي حل يطرحونه في أي مشكلة ينطلق من مصلحتهم الخاصة، و لا يتعد هذا الأمر عن الواقع الذي نعيشه الآن في عالمنا العربي.

وفي أيار سنة ١٨٧٩ صدر قرارٌ بعودة المطران بطرس البستاني نهائياً إلى كرسيه، حيث نقلته بارجة فرنسية أرسلت خصيصاً له، فأمرت فرنسا بعزل قنصلها في بيروت (تريكو) وعين بدلاً منه (المسيوديلا بورت)^(١)، لكن العداء استمر بين رستم باشا والمطران بطرس البستاني^(٢).

وفي ٢٤ آذار سنة ١٨٨٣، اجتمع سفراء الدول الأوربية برئاسة عارف باشا ناظر الخارجية^(٣) العثمانية للمناقشة في انتخاب متصرف جديد لجبل لبنان بدلاً من رستم باشا حيث قال وزير الخارجية؛ إن الدولة العثمانية ترغب بتعيين متصرف جديد على الرغم من مؤهلات رستم باشا، كما أن انتخاب نصري فرنكو باشا قوبل بالمعارضة بحجة أنه يرجح كفة النفوذ الفرنسي على غيره في جبل لبنان^(٤)، بعد المناقشة تم انتخاب واصا باشا^(٥)، وبقي رستم سفيراً للدولة العثمانية في بريطانيا حتى وفاته سنة ١٨٩٤، حيث دفن في الحازمية .

بعد ذلك قدم سفير النمسا مذكرة للباب العالي ذكر فيها أن المتصرف رستم باشا خالف أربع مواد من نظام جبل لبنان، وطلب من المتصرف الجديد أن يأخذ ذلك بالحسبان؛ وذلك بالرجوع عن

١ - خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٢٢-١٢٨.

٢ - من إحدى الطرف على ذلك بأن الشيخ رشيد الخازن ذهب ليزور رستم باشا، وحاول المتصرف أن ينال من ضيفه ممازحاً (أنا متأسف جداً على فراق جبل لبنان ... ما قدرت أجدد حاكميتي ... الشيخ رشيد زعلان عليّ) فأجاب الشيخ على الفور (أنا، معاذ الله يا أفندينا، و المثل يقول شر تعرفه و لا خير تتعرف عليه ..) يزبك: أوراق لبنانية، ص ٢٧.

٣ - ناظر الخارجية: الاسم القديم لوزير الخارجية، وكان قبل ذلك يسمى رئيس الكتاب، وتم استحداث نظارة الأمور الخارجية في الدولة العثمانية سنة ١٨٣٦. صابان: مرجع سابق، ص ٢٢٢.

٤ - خاطر: المرجع السابق، ص ١٣٢.

٥ - واصا باشا ١٨٨٣-١٨٩٢: ولد في سنة ١٨٢٤، ألباني الأصل، وتلقى علومه ودراسته في روما، وجاء إلى الآستانة وهو في العشرين من عمره، ثم اتجه إلى الوظائف الحكومية، عين في بادئ الأمر كاتباً في وزارة الخارجية كما عُين مستشاراً لولاية أدرنة ثم عين متصرفاً لها، إلى أن عُين متصرفاً على جبل لبنان وصل إلى الجبل في حزيران من سنة ١٨٨٣، وكان رستم لا يزال يقوم بالأعمال نيابة عنه. خاطر: المرجع نفسه، ص ١٤٠.

الآتي: تعيين معاون لرئيس المجلس الإداري، وتعيين رئيس ثان لمحكمة الاستئناف، وحرمان أهالي شمالي الجبل من الدخول في السلك العسكري.

ومن أهم أعمال واصا باشا :

١- إنشاءه قاعة كبيرة لمجلس الإدارة في قصر بتدين، وقاعات أخرى لمختلف الدوائر الإدارية والقضائية في المركز، والملحقات، وتجهيزها بكل ما تحتاج إليه من أثاث ومعدات.

٢- عمل على إقامة مستشفى في بتدين، وبناء سرايا للحكومة في زحلة، ووضع حجر الأساس لسرايا جونيه التي أكملها خلفه نعوم باشا^(١)، وتوفي واصا باشا في ٢٩ حزيران سنة ١٨٩٢ قبل نهاية ولايته بأشهر معدودة.

وبعد وفاته اجتمع سفراء الدول عند سعيد باشا ناظر الخارجية من أجل انتخاب متصرف جديد^(٢) فقدم لهم سعيد عدة مرشحين، منهم: نعوم أفندي^(٣) المستشار في نظارة الخارجية، ونصري بك نجل فرنكو باشا، ومورل بك الذي كان مع رستم باشا في بيروت وغيرهم، فوقع الاختيار على نعوم أفندي ووضع مرسوم تعيينه في ١٥ آب سنة ١٨٩٢^(٤).

ويجب ألا ننسى الدور الذي أداه مترجمو القنصليات لدى المتصرفين لاتصالهم بالقناصل، ومن المترجمين الذين كان لهم نفوذ بارز في عهد نعوم باشا، أسير شقير ترجمان بريطانيا، وفيليب أفندي زلزل ترجمان فرنسا، ونسيم أفندي شحادة ترجمان روسيا^(٥).

استقر الوضع في عهد نعوم أفندي، ولم يقع أي حادث يثير القلق أو الخوف حيث فتحت الهجرة على مصراعيها، فانشغل الناس بذلك، وانصرفوا عن رصد أعمال الحكومة^(٦)، وفي أواخر سنة ١٨٩٨

١- خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٣٦-١٤٩.

٢- الخوري: مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣.

٣- نعوم باشا ١٨٩٢-١٩٠٢: ولد في الآستانة سنة ١٨٤٦ حلي الأصل لاتيبي الطائفة، أبوه من آل توتونجي وأمه شقيقة فرنكو باشا، ودخل المدرسة السلطانية وبعد خروجه من المدرسة عين كاتباً في نظارة الخارجية، ثم عين أمين سر في سفارة روسيا، وتزوج بابنة خاله السيدة ماري ورزق منها ولده الوحيد سعيد بك. هشي: يوميات لبناني ص ٤٣.

٤- خاطر: المرجع السابق، ص ١٥١.

٥- الخوري: المرجع السابق، ص ٣٥.

٦- خاطر: المرجع السابق، ص ١٥٤.

تأسس أول حزب سياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، وحمل اسم حزب سوريا الفتاة ومن مؤسسيه جميل المعلوف، وشبل دموس من زحلة، وعيسى الخوري من بجمدون، ومن بين مطالب الحزب: فصل السلطة الدينية عن المدنية، وضبط جميع أملاك رجال الدين وتعيين معاش لهم والاستفادة مما تبقى من ثرواتهم؛ لإنشاء المدارس، والمشافي، وجعل التعليم موحداً في مناطق الجبل جميعها، وجعل الخدمة العسكرية إجبارية للجميع^(١).

من أهم الأعمال التي قام بها نعوم باشا:

- ١- العمل على إتمام سرايا بعبداد دون تكليف الأهالي ضرائب جديدة من أجل ذلك.
 - ٢- اهتم بشق الطرق حيث بلغ طولها ٤٨٠ كيلو متر و ٨٨٠ متر ومنها؛ طريق بيروت - صيدا جزين، وطريق جونيه - جبيل - البترون^(٢).
- وعند انتهاء مدة ولايته الثانية في أيلول سنة ١٩٠٢ أخذ يعمل على كسب رضا القناصل في سبيل دعمهم له من أجل تجديد ولايته للمرة الثالثة، لكن قناصل كل من بريطانيا وفرنسا رفضا ذلك الأمر بشدة فأصدرت وزارة الخارجية العثمانية أمراً باستدعائه إلى الآستانة^(٣)، من الجدير ذكره في أثناء زيارة الإمبراطور الألماني (غليوم) لبيروت زار المتصرف نعوم باشا ومن جملة ما قاله له على مسمع من الجمهور: (إن والدي زار جبل لبنان يوم كان حموك فرنكو باشا متصرفاً عليه، وأنا أزوره اليوم وأنت حاكم عليه، وأتمنى أن يزوره ابني ويكون ابنك حاكماً عليه)^(٤)
- فترددت هذه الكلمات في أنحاء الجبل حتى ظن الناس أنه سيجدد لنعوم باشا خمس سنوات أخرى لكنه خاب أمله، وظل نعوم باشا في منصبه إلى أن وصل المتصرف الجديد في ١١ تشرين الأول سنة ١٩٠٢ وعند وصول نعوم أفندي إلى الآستانة عُيِّن مرة أخرى مستشاراً لنظارة الخارجية، ومن ثم توفي في ١٩١١ في باريس^(٥)

١- البواري، إلياس: تاريخ الحركة العمالية والنقابية في لبنان ١٩٠٨ - ١٩٤٦، ج٢، دار الفارابي، بيروت ١٩٨٦، ج١، ص ٨٤.

٢- خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٦٠.

٣- هشي: يوميات لبناني، ص ٦٥.

٤- الخوري: مرجع سابق، ص ٤٤.

٥- خاطر: المرجع السابق، ص ١٦١.

وبعد انتهاء فترة حكم نعيم باشا في أيلول سنة ١٩٠٢ اجتمع سفراء الدول الأوروبية في ٢٧ أيلول من السنة نفسها عند توفيق باشا ناظر الخارجية، وأجمعوا على انتخاب مظفر باشا^(١) خلفاً له، وسافر على متن باخرة روسية، امتاز عهده بعدم الاستقرار الإداري لكثرة عزله وتعيينه للأشخاص في المناصب^(٢).

ومن أهم أعمال مظفر باشا:

- ١- إرساله إلى مجلس إدارة المتصرفية لائحة إصلاحية مطالباً التدقيق فيها، وإبداء الرأي، وتنظيم خريطة لكل قرية تابعة لناحية، وكل قضاء يحوي بياناً بالأموال، وأسماء أصحابها، كما وضع حداً للهجرة.
- ٢- اتخاذ التدابير اللازمة لمنع المقامرة، والتهريب، والاهتمام بالصنائع والحرف، والاعتناء بالغابات والأحراج^(٣).
- ٣- أقام مقراً سنوياً لقضاء المتن في الجديدة، ومثله لقضاء الكورة^(٤).
- ٤- عمل على بناء مستشفى للسجناء في بعبدا.
- ٥- اهتم بشق الطرق، وبلغ طولها ٢٢٢ كيلو متراً و ٦٧٠ متراً.
- ٦- عمل على تعيين مفتش لمختلف دوائر الحكومة^(٥) من عدلية، وملكية، وصحية، وزراعية، وبلغ عددهم نحو ١٧ مفتشاً براتب قدره ١٥٠٠ قرش لكل منهم، ولكن المجلس الإداري عارض ذلك الأمر لما يحتاجه من نفقات باهظة، فاضطر للتراجع عن تعيينهم.

١- مظفر باشا ١٩٠٢-١٩٠٧: ولد سنة ١٢٥٢هـ الموافق لـ ١٨٣٧، بولوني الأصل أرسل إلى مدرسة في فرنسا، وعاد منها سنة ١٨٦٣ برتبة ضابط، فعين حاجباً لفؤاد باشا الصدر الأعظم، ثم حاجباً للسلطان، ومن ثم تولى الحرس السلطاني إلى أن أصبح متصرفاً للجبل. خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٦٢.

٢- الخوري: مرجع سابق، ص ٥٠.

٣- هشي: يوميات لبناني، ص ٦٤.

٤- الكورة: قسمان عليا، وسفلى، فالعليا: فيها بنو العازار، وأشهر قراها: أميون، كسبا، كفرحزير، بزي، أما السفلى أشهر قراها: نخلة، القلمون، بسرما، البلمند. اليازجي: مرجع سابق، ص ٣٢.

٥- دوائر حكومة المتصرفية: في عهد داود باشا سراي بتدين التي أنشئت سنة ١٨٢٧ من قبل الأمير بشير الشهابي الذي اشتراها من ورثة الأمير بشير وجعلها سراي، وفي عهد واصا باشا سراي بعبدا وزحلة سنة ١٨٨٧، وفي عهد نعيم باشا سراي جزين، وبعقلين، وجونية، وحنس، والبترون سنة ١٨٩٧، وسراي أميون سنة ١٨٩٨، وفي عهد مظفر باشا سراي الشويفات سنة ١٩٠٢، وسراي غزير سنة ١٩٠٤، والجديدة سنة ١٩٠٥. الأسود، إبراهيم: دليل لبنان، المطبعة العثمانية لبنان، بعبدا، ط ٣، ١٩٠٦، ص ٥٩-٦٢.

شعر مظفر على أن رجال الدين غير راضين عن أعماله، فتوهم أنهم كانوا السبب في متاعبه وأخذ يناصبهم العداء، وفي سنة ١٩٠٥ سافر البطريك الماروني إلى الآستانة فسعى مظفر على تشويه سمعته محاولاً منعه من دخول الآستانة، لكن السلطان أمر الصدر الأعظم بأن يعطي البطريك عند سفره التقارير الواردة ضده من المتصرف ما أدى لزيادة نقمة البطريك عليه.

ومن جملة ما يؤخذ عليه مظفر باشا؛

- ١- إحداث وظائف في الجندية لا مسوَّغ لوجودها.
- ٢- صرف للأموال دون قرار من مجلس الإدارة .
- ٣- استخدام أشخاص لا كفاية لهم.
- ٤- إضعافه لهيبة الحكومة؛ لكثرة أوامره المتناقضة، لكن وفاته في ٢٨ حزيران سنة ١٩٠٧ خلَّص جبل لبنان من مشاكله^(١).

ثالثاً-دراسة الأوضاع السياسية في جبل لبنان بين عامي ١٩٠٨ - ١٩١٨ :

في ٨ تموز سنة ١٩٠٧ انتخب يوسف باشا^(٢) متصرفاً للجبل وفي أول الشتاء من سنة ١٩٠٧ أقام جمهور من أهل غزير يتقدمهم يوسف بك مظاهرات صاحبة ضده، وحضرها سليم بك عمون^(٣) قائمقام كسروان، وألقى فيها خطبة شجع الناس على ذلك، وبناءً عليه عمل يوسف باشا على عزله من منصبه، وقاد فرقة من الجند إلى غزير واعتقل الكثير من المتظاهرين، واتخذ أعمالاً كثيرة دون أخذ رأي المجلس الإداري للمتصرفية منها:

-
- ١- خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٧٠ - ١٧٢ .
 - ٢- يوسف باشا ١٩٠٧-١٩١٢: ولد في الآستانة سنة ١٨٥٦ وهو نجل فرنكو باشا، ثاني المتصرفين، حيث جاء إلى جبل لبنان وهو في الثانية عشرة من عمره، ثم ما لبث أن عين كاتباً للتحريات بنظارة الخارجية، وفي سنة ١٣١٦هـ الموافق لـ ١٨٩٩ عين مديراً عليها. خاطر: المرجع نفسه ص ١٧٦ .
 - ٣- آل عمون: جاء عمون بن يوسف من قرية القبع (قضاء جزين) إلى دير القمر، وكان من أركان حكومة الأمير بشير الثاني، وأنجب يوسف وأنطوان. أنطوان درس في عين ورقة، ولما أنشئ نظام المتصرفية سنة ١٨٦١ دُعي ليكون رئيساً لكتبة مجلس المحاكمة الكبير، ثم ولاه المتصرف القضاء و اشتهر بتراهته، ونبغ أولاده في المجالات السياسية والأدبية، منهم: سليم رئيس مجلس الإدارة، وإسكندر، وداود رئيس اللجنة الإدارية، ثم عين ناظراً للمعارف والصحة. هشي: يوميات لبناني، ص ٩٧.

١- فرض قانون تذاكر النفوس المعمول به في ولايات السلطنة، لكن السكان رفضوه بشدة وتدخل البطريرك الماروني بذلك، وطلب من يوسف باشا أن يجعل أخذ تلك التذاكر اختيارياً، ففعل ذلك .

٢- أجبر الصحف والمجلات على العمل بموجب قانون المطبوعات العثماني، لكن أصحاب المجلات رفضوا ذلك؛ لأن القانون استثنى بعض الولايات، ومنها جبل لبنان^(١).

وفي سنة ١٩٠٨ ثارت جمعية الاتحاد والترقي في الآستانة على السلطان عبد الحميد الثاني^(٢)، وأجبرته على إعلان الدستور، فهلل الناس في جبل لبنان لذلك^(٣)، منهم معارضو يوسف باشا حيث شكلوا الكثير من الجمعيات، وفي مقدمتهم حبيب باشا السعد^(٤)، ونسيب بك جنبلاط^(٥) وغيرهم

١- خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٧٧-١٧٨.

٢- السلطان عبد الحميد الثاني: ولد سنة ١٨٤٢، وهو ابن السلطان عبد المجيد من زوجته الثانية، استلم الحكم وعمره أربع وثلاثون سنة، خلع بتاريخ سنة ١٩٠٩ وأرسل إلى سلانيك وبقي تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته سنة ١٩١٨. وهي، علي: مذكراتي السياسة السلطان عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧، ص ١١-١٥.

٣- ومن البرقيات التي جاءت لتهنئة السلطان بعودة دستور سنة ١٩٠٨ من مجلس النواب البريطاني جاء فيها: (إن برلمانكم دخل الأسرة البرلمانية الكبيرة، كانت ثورة سلمية، ونحن واثقون بأن مساعيكم وأعمال مجلسكم ستؤكد السعادة، والرفاهية لجميع عناصر السلطنة). معطي: مرجع سابق، ص ٤١.

٤- حبيب باشا السعد ١٨٦٦-١٩٤٦: ولد في عين تراز (الشوف)، تلقى دروسه الابتدائية في المدرسة البطريركية والتكميلية في الحكمة، والثانوية في كلية القديس يوسف للآباء اليسوعيين في بيروت، وأصبح ملماً بالشرع والقانون، وبثلاث لغات: العربية، الفرنسية، العثمانية. وعُيّن في عهد المتصرف واصا باشا مديراً لناحية الجرد، ثم رئيساً للقلم العربي سنة ١٨٩٠، واستقال منها في سنة ١٨٩٤، وانتخب وكيلاً لمجلس إدارة جبل لبنان بين سنتي ١٩٠١-١٩٠٥ وترأس خلال عهد المتصرف يوسف باشا جمعية سياسية باسم أرزة لبنان وقفت ضد تسلطه ثم أعيد انتخابه وكيلاً للمجلس بين سنتي ١٩١١-١٩١٣، ومرة ثالثة بين سنتي ١٩١٣-١٩١٥، ثم تم نفيه إلى أضنة لأنه رفض عضوية مجلس المبعوثان عن جبل لبنان، وعند انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد إلى جبل لبنان، ومع بداية الحكم العربي في سورية عينه شكري الأيوبي رئيساً للحكومة الجديدة في جبل لبنان. الكيالي: مرجع سابق، ج ٢ ص ١٥٦.

٥- نسيب بك جنبلاط ١٨٦١-١٩٢٢: ابن الزعيم سعيد بك ابن الشيخ بشير، ورث من والده ثروة كبيرة، وبدأ حياته الوظيفية مع مطلع شبابه، فعُيّن مديراً لناحية الشوف السويحاني، ولم يلبث أن نقله رستم باشا إلى رئاسة محكمة الجزاء الاستئنافية سنة ١٨٨٣ أعلى منصب قضائي يتولاه درزي وكان عمره ٢٢ سنة، وبعد سنة تسلم منصب قائممقام الشوف. يزبك: الجذور التاريخية، ص ١٧٩.

وعقدوا الاجتماعات وقرروا الاتصال بالاتحاديين في بيروت، والاستعانة بهم ضد يوسف باشا^(١) وإجباره على نشر الدستور في جبل لبنان، فإن رفض ذلك تمكنوا من التخلص منه.

احتج الاتحاد اللبناني لدى السلطنة العثمانية على سياسة الاتحاد والترقي تجاه الجبل، وطالبوا بالمحافظة على نظام جبل لبنان الأساسي، حيث قدم الشيخ شاهين الخازن عضو الاتحاد اللبناني لائحة إصلاحية تطالب: بإلغاء الضرائب جميعها، وعدم إعطاء تذكرة نفوس تتعارض مع مضمون نظام جبل لبنان الأساسي، وعدّ بروتوكول ١٨٦١-١٨٦٣ النظام الوحيد الذي يجب العمل به في الجبل^(٢) وعلى الرغم من أن نائب بيروت سليمان البستاني^(٣) قد قام بمسعى كبير في هذا الشأن وحصل من الاتحاديين على موافقتهم على استقلال الجبل، إلا أنهم ظلوا مرتابين من حقيقة نوايا الاتحاديين^(٤) وفيما بعد أصدرت حكومة الآستانة أمراً إلى متصرفية جبل لبنان بوجوب انتخاب عضوين أحدهما مسيحي، والثاني درزي لمجلس المبعوثان الذي تقرر عقده بعد إعلان الدستور، ولكن أكثرية اللبنانيين رفضوا المشاركة به^(٥)، بعد ذلك أقدم عدد من زعماء الجبل، وعلى رأسهم الأمير شكيب أرسلان وحبیب باشا السعد، وكنعان الضاهر على رفع عريضة في ١٢ أيلول سنة ١٩٠٨ إلى المتصرف يوسف في بيت الدين يطالبونه فيها بنشر الدستور العثماني في الجبل، وانتخاب نواب بشرط ألا يحق لهم

١- خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٧٩.

٢- معطي: مرجع سابق، ص ٥٠-٦٦.

٣- سليمان البستاني ١٨٥٦-١٩٢٥: سليمان بن خطار بن سلوم بن نادر بن ناصر بن مقيم البستاني، ولد في بكشتين إحدى قرى إقليم الخروب التابع لقضاء الشوف بجبل لبنان، أديب، ناثر، ناظم سياسي، عارف باللغات: التركية، والفارسية، والإنكليزية، والفرنسية، واليونانية، والألمانية، والإيطالية، وتعلم في بيروت، وفي سن السابعة دخل المدرسة الوطنية لمؤسسها قريه بطرس البستاني، ففضى فيها ثماني سنين، وبعد إتمام الدراسة انضم إلى معلمي مدرسته فمارس التعليم فترة من الزمن، ودعاه قاسم الزهير من أعيان البصرة لإنشاء مدرسة وجريد في بلده، فلبى الطلب وأنشأ في البصرة أول مطبعة وأول جريدة، ثم انصرف إلى الأعمال التجارية وقضى في العراق ثماني سنين، ثم ذهب إلى الآستانة، وتعرف على رجال السياسة هناك، وانتخب سليمان البستاني في سنة ١٩٠٨ نائباً عن بيروت في مجلس المبعوثان العثماني، وفي سنة ١٩١٣ أسندت إليه وزارة التجارة والزراعة، ولما قرر حزب الاتحاد والترقي إشراك الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى لجانب ألمانيا، استقال من منصبه وسافر إلى سويسرا، وبقي هناك خمس سنين، وتوفي في نيويورك، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه. ومن آثاره: تاريخ الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، تاريخ العرب في أربع مجلدات الداء والشفاء مذكرات . كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٧٨٧.

٤- معطي: المرجع السابق، ص ٦٢.

٥- خاطر: المرجع السابق، ص ١٨٠.

مناقشة قضايا تمس النظام الخاص بجبل لبنان إلا بموافقة الأهالي، ووجد الموحدون في الدستور وسيلة لمحاربة نفوذ الموارنة ليسمح لهم بالحصول على أكبر عدد من الوظائف حيث إن خضوعهم للنظام الجديد يمكنهم من الاتحاد مع دروز حوران حيث تتمتع عائلة أرسلان بمركز ممتاز، وكان الأرثوذكس يسبقون في المسار نفسه بدعم من القنصل الروسي في بيروت، أما الموارنة الذين كانت توازرهم فرنسا أعلنوا رفضهم التام لأمر المتصرف^(١) ومما زاد من عدد الناقمين عليه هو تدخله في عمل الدائرة الاتهامية في محكمة الحقوق في إحدى الدعاوى لكن الدائرة الاتهامية رفضت تدخل أحد في عملها رداً على ذلك أصدر يوسف أمراً بعزل أعضائها الأربعة؛ وكل ذلك أدى إلى تشكيل معارضة سياسية ضده تمثلت بتشكيل جمعية الأرزة التي ترأسها كل من حبيب باشا السعد وسليم بك المعوشي، حيث طالبا بوضع حد لسلطة المتصرف ضمن دائرة القانون، وإقرار الطريقة الشعبية في انتخاب المجلس الإداري، وحماية المجلس من أي ضغط من قبل المتصرف لإجباره على تنفيذ قراراته^(٢) وإلغاء الضرائب التي وضعها المتصرفون دون موافقة المجلس الإداري، وتأمين حرية القضاة، ومنع المتصرف من السكن خارج الجبل صيفاً وشتاءً.

ومما زاد من نفوذ هذه الجمعية هو النفور الحاصل بين يوسف باشا وناظم باشا والي بيروت الذي سارع إلى تأييدها في الآستانة بتقاريره^(٣)، ولما وصلت تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨ إلى سدة الحكم حرص بعض الإصلاحيين المسلمين العرب على تحقيق الشعارات التي نادى بها أعضاء هذه الجمعية، وطالبوا بالانفصال عن الدولة العثمانية^(٤)، ومن الجدير ذكره أن الأمير شكيب أرسلان يؤمن بالوحدة الإسلامية، ويرى أن للعرب منزلة خاصة في الأمة الإسلامية، وأن تلك الأمة لا تنهض إلا بنهوض العرب، وأنه يمكن التوفيق بين القومية العربية والوحدة الإسلامية^(٥)، ولكن الآمال التي علقها الأمير شكيب أرسلان، وغيره من الإصلاحيين العرب على تركيا الفتاة، ما لبثت أن ذهبت هباءً منثوراً

١- معطي: مرجع سابق، ص ٦٣.

٢- كوثاني: من المتصرفية العثمانية إلى دولة لبنان الكبير، ص ١٦٠.

٣- خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٨٧.

٤- أبو صالح: مرجع سابق، ص ٢٧.

٥- حوراني، ألبرت: الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩، دار النهار، بيروت، ١٩٧٧، ص ٣٥٧.

ولاسيما عند وصولها إلى سدة الحكم سنة ١٩٠٨^(١)، حيث عملوا على تأكيد قوميتهم التركية المتعصبة محاولين فرض سياسة التتريك^(٢).

كان من أهم أعمال المتصرف يوسف باشا :

- ١ - اهتمامه بشق الطرق حيث بلغ طولها ١١٨ كيلو متراً و ١٨٠ متراً.
 - ٢ - قام بجر المياه من نبع الزويتيني إلى زحلة، وجر مياه حمانا إلى عالية، وسوق الغرب^(٣).
 - وفي ٩ كانون الثاني سنة ١٩١٣ اجتمع سفراء الدول الأجنبية عند وزير الخارجية العثماني، وعرض عليهم قائمة المرشحين، فاختاروا منها أوهانس بك^(٤) الذي سافر إلى بيروت ومعه زوجته وأولاده على باخرة فرنسية، وفي مرسوم تعيينه حصل بعض التعديلات على نظام جبل لبنان. بموجبها استجاب لمطالب جمعية الأرز، ومنها:
 - ١ - انتخاب عضو إداري عن دير القمر.
 - ٢ - لا تتم إقالة العضو الإداري أو محاكمته إلا بعد تحقيق يدرسه المجلس.
 - ٣ - وضع موازنة الجبل من قبل المجلس بالمشاركة مع المتصرف، قبل ابتداء السنة بثلاثة أشهر.
 - ٤ - للمحاكم الموجودة في جبل لبنان وحدها حق النظر في الدعاوى التجارية.
- وفي ٢٤ من كانون الثاني سنة ١٩١٤ عقد اجتماع سري في مبنى وزارة الحربية في الآستانة حضره كل من الصدر الأعظم سعيد بك حليم باشا، وحاكم الآستانة العسكري أحمد جمال باشا^(٥).

١ - أنطونيوس، جورج: **يقظة العرب**، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٧٨، ص ١٨٣. أبو صالح: مرجع سابق، ص ٢٧٦.

٢ - ولما كانت المخازن التجارية في جبل لبنان تستخدم اللغة العربية والفرنسية في كتابة أسمائها، فقد أصدر جمال باشا أمراً بأن تكتب هذه الأسماء باللغة العثمانية ويروي عزيز بك: (إن جمال باشا ساءه من تجار بيروت الذين يستعملون اللغة الفرنسية في كتابة أسماء مخازنهم، فأمر بإزالتها، وإحلال اللغة العثمانية مكانها)، ولما كانت المدة قصيرة لتحقيق ذلك، لجأ بعضهم إلى عبارات مضحكة، ومثال على ذلك آمنة أحمد جمال - الفوال فصارت بعد التحويل أحمد جمال - الفوال سي أي اعتقد أنه بإضافة (سي) إلى الكلمة يتم تحويلها من العربية إلى العثمانية.

بك، عزيز: **سوريا ولبنان في الحرب العالمية الأولى**، ترجمة فؤاد ميداني، بيروت، ١٩٣٣، ص ١٥٠.

٣ - خاطر: **عهد المتصرفين**، ص ١٨٨.

٤ - أوهانس باشا ١٩١٣-١٩١٥: ولد في الآستانة سنة ١٨٥٢ من أسرة أرمنية كاثوليكية، وعين كاتباً لنظارة الخارجية. خاطر: المرجع نفسه، ص ١٩٠.

٥ - أحمد جمال باشا السفاح ١٨٧٢-١٩٢٢: ضابط بالجيش العثماني، ولد في الآستانة، تخرج في المدرسة الرشدية ومدرسة الأركان، وكان من بين الذين حكموا الدولة العثمانية عسكرياً خلال الحرب العالمية =

ومدير الأمن العام عزمي بك، وتلخصت سياسة الاتحاد والترقي تجاه البلاد العربية بصورة عامة وبلاد الشام (سوريا ولبنان) بصورة خاصة، ومن أهم القرارات التي تضمنها هذا الاجتماع السري:

- ١- إقصاء الضباط العرب المقيمين في الآستانة .
 - ٢- إسناد القيادة في الولايات العربية إلى ضباط أترك؛ للإسراع في تنفيذ سياسة التتريك.
 - ٣- إلغاء الأحزاب العربية كافة .
 - ٤- القضاء على الحركة الإصلاحية التي ظهرت في بيروت، وباريس.
 - ٥- إبعاد العرب الإصلاحيين من الآستانة.
 - ٦- تكليف أحمد جمال باشا بتطبيق سياسة التتريك في بلاد الشام^(١).
- وفي ٣٠ تموز سنة ١٩١٤ وقعت الحرب العالمية الأولى بين الدول الموقعة على نظام جبل لبنان، وفي ٢٩ تشرين الأول ، أعلنت الدولة العثمانية دخولها الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا، ومن ثم ألغت الدولة العثمانية الامتيازات الأجنبية وأقفلت حكومة بيروت ما كان فيها من دوائر يريد للأجانب، ثم أعلن السلطان محمد رشاد الجهاد المقدس.
- وفي ٢٢ تشرين الثاني ، دخل فوج من الجيش العثماني جبل لبنان عن طريق زحلة وأقام الدفاعات في عالية^(٢)، وعندما وصل جمال باشا إلى دمشق في ٥ كانون الثاني ١٩١٤، كان همه احتلال مصر وتنفيذ سياسته التي تتمحور حول:

- ١- إلغاء الامتيازات التي يتمتع بها جبل لبنان منذ سنة ١٨٦١ ، وإخضاعه للسيادة العثمانية.
- ٢- القضاء على الفكرة العربية ودعائها وترسيخ سياسة التتريك^(٣).

=الأولى. استلم مناصب عديدة في الجيش العثماني في مقدونيا وتراقيا حيث التحق بجمعية الاتحاد والترقي وبعد إعلان دستور سنة ١٩٠٨ أصبح عضواً في الحكومة العسكرية، نال شهرة كبيرة من خلال ذلك، فأرسل إلى جبهة فلسطين سنة ١٩١٤ فقاد حملة فاشلة لغزو مصر، عُيّن بعد ذلك حاكماً على سورية، وكان قاسياً جداً ضد المناضلين العرب فحكم عليهم بالسجن، والاعتقال، والتعذيب وفي سنة ١٩٢٢ اغتاله أحد الوطنيين الأرمن، كما عُيّن قائداً للجيش الرابع الذي اشترط لقبوله أن تمتد سلطته إلى سائر الولايات العربية، وأن توضع سبعة ملايين ليرة ذهبية تحت تصرفه، وأن يبقى وزيراً للبحرية. آل صفا، محمد جابر: تاريخ جبل عامل، دار النهار بيروت، ط ١، ١٩٨١، ص ١٩٧. الكيالي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٤.

١- معطي: مرجع سابق، ص ٢٤٣.

٢- خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٩٧.

٣- معطي: المرجع السابق، ص ٢٤٥.

ولما أعلنت الحرب وجدت جمعية الاتحاد والترقي أن الفرصة سانحة لتطبيق هذه السياسة باستخدام أقصى، وأعنف الأساليب لتحقيقها حيث اختير جمال باشا للقيام بهذا الدور^(١)، وعُين قائداً للجيش العثماني في الأقطار العربية، وبعد وصوله؛ أمر فوجاً من الجيش العثماني بالتوجه إلى جبل لبنان، وفي مطلع سنة ١٩١٥ جُعل من عالية مركزاً لقيادة الجيش العثماني في جبل لبنان^(٢)، أما بالنسبة للمؤسسات التعليمية، والمدارس التبشيرية، فقد أمر بإغلاقها، كما أغلق الكلية العثمانية في بيروت وأرسل صاحبها الشيخ أحمد عباس الأزهرى^(٣) إلى المنفى بسبب مطالبته بالاستقلال الذاتي^(٤)، كما أنه عمل على وضع الجواسيس في الجبل، وبلغت قيمة النفقات المالية في سبيل ذلك ٥٠٠ ليرة ذهبية ووصل عدد الجواسيس إلى ٢٢ جاسوساً^(٥)، كما حرص على تتبع حركات رجال الدين الموارنة وشكل شعبة خاصة مهمتها مراقبتهم بتكلفة مالية بلغت ٣٠٠ ليرة ذهبية^(٦)، ومن ثم أخذ يعدّ العدة لمهاجمة مصر عن طريق قناة السويس، وفي آذار سنة ١٩١٥ قام جمال باشا بجل المجلس الإداري للمتصرفية ونفى أعضائه إلى الخارج؛ بالإضافة للعديد من أعيان الجبل ورجال دينه^(٧)، ومنهم المطران بطرس شبلي^(٨) رئيس أساقفة بيروت، كما عزل المتصرف أوهانس باشا، وعمل على مضايقة البطريك الياس الحويك^(٩) وإجباره على تبني سياسته وتأييده بشكل علني^(١٠).

١- أرسلان، شكيب: سيرة ذاتية، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٥٥.

٢- خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٩٧-١٩٨.

٣- أحمد عباس الأزهرى: ولد في بيروت، ودرس في القاهرة في الأزهر، وانخرط في سلك التعليم في مدرسة بطرس البستاني في عبيّة، وفي أثناء الحرب أغلقت مدرسته، ونفي إلى الآستانة. معطي: مرجع سابق، ص ٢٢.

٤- الحكيم، يوسف: بيروت و لبنان في عهد آل عثمان، دار النهار للنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠، ص ٢٤٨.

٥- أُطلق على دائرة الاستخبارات في العهد العثماني اسم دائرة التجسس. معطي: المرجع السابق، ص ٢٤٨.

٦- معطي: المرجع نفسه، ص ٢٤٩.

٧- خاطر: المرجع السابق، ص ١٩٨.

٨- بطرس شبلي ١٨٧١-١٩١٧: ولد في دفون، وتولى رئاسة معهد الحكمة، ثم رئاسة أساقفة الموارنة في بيروت ونفاه العثمانيون إلى أضنة. ومن أهم آثاره: ترجمة البطريك إسطفانوس الدويهي مجموعة المناشير البابوية المرسلة إلى طائفته و بطاركتها. كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٣١.

٩- إلياس الحايك ١٨٤٣-١٩٣١: زعيم ديني ماروني، تعلم في مدرسة مار يوحنا مارون في كفرحيا، وفي مدرسة غزير للآباء اليسوعيين، ثم تابع دراسته العليا في إيطاليا، عاد إلى جبل لبنان في سنة ١٨٧٠ بعد نيله شهادة الدكتوراه في اللاهوت، ودرّس في مدرسة مار يوحنا مارون انتدب في سنة ١٨٧٢ إلى الديوان البطريكي ليكون أمين سر البطريكية المارونية، ومحامي الزواج الكنسي قرابة سبعة عشر عاماً، وفي أثناء الصراع بين المتصرف رستم باشا والمطران بطرس البستاني ونفيه إلى القدس، كتب العرائض وجمع توقيعات الموحدين والموارنة فأسهم بعودة المطران =

أصدر جمال باشا أمراً بتأليف مجلس إداري جديد، وتم تعيين أعضائه من قبله، وهم أحمد الحسيني عن كسروان، وسليم داود ثابت عن دير القمر، وحسين الحجار، والأمير سامي أرسلان عن الشوف، والشيخ عقل أبي صعب عن البترون، والكتور زخور بك العازار عن الكورة ويوسف بك بروويل عن زحلة، وفؤاد عازوري عن جزين، وأسعد مخايل لحود عن المتن، من الجدير ذكره أن أوهانس باشا كان على خلاف مع هذا المجلس^(٢)، فعزل في ٥ حزيران سنة ١٩١٥^(٣)، فأعلنت السلطنة العثمانية منذ ذلك التاريخ إلغاء الامتيازات لجبل لبنان وخضوعه للحكم العثماني المباشر^(٤).

أطلق على المتصرفين الثلاثة الذين حكموا بعد أوهانس باشا بالمتصرفين الاستثنائيين؛ وأولهم:

١- علي منيف بك ٢٥ أيلول سنة ١٩١٥-١٥ أيار سنة ١٩١٧: وهو مستشار وزارة الداخلية في الآستانة، حيث تم تعيينه بإرادة سلطانية، على أن يكون الجبل لواء مرتبط مباشرة بوزارة الداخلية وعدّ هذا التعيين مخالفاً لنظام جبل لبنان بطريقته، بسبب الصلاحيات التي أعطيت للحاكم المعين وبعد موافقة جمال باشا عين علي منيف ثلاثة نواب في مجلس المبعوثان العثماني، بحجة أن الحرب تحول دون انتخابهم^(٥) من قبل الشعب، وهم: الأمير حارس شهاب، والأمير عادل أرسلان^(٦)، ورشيد بك الراعي، وبتجنيد الأطباء اللبنانيين في الفرق الصحية الموجودة في الجيش العثماني^(٧)، كما قام جمال

= إلى كرسية في بتدين، واستدعي من روما على أثر وفاة البطريرك يوحنا الحاج لينتخب بطريركاً في بداية سنة ١٨٨٩ بتأييد من فرنسا. الكيالي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٩٣.

١- كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠ مساهمة في دراسة أصول تكوينها التاريخي، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٢، ص ٢٦٠.

٢- خاطر: عهد المتصرفين، ص ٢٠٠-٢٠١.

٣- وردت استقالة أوهانس على النحو الآتي: (دولة قائد الجيش الرابع إن معتمدي الوحيد في حكومة جبل لبنان يوسف بك الحكيم لم يكن حاضراً للاجتماع الذي استاء رضا باشا من نتيجته، فإصراركم على طلبه اضطرني إلى الاستقالة، وتسليم حليم بك رئيس المالية مقاليد الحكم بالوكالة). الحكيم: مرجع سابق، ص ١٩٨.

٤- معطي: مرجع سابق، ص ٢١٢.

٥- خاطر: المرجع السابق، ص ٢٠٥.

٦- عادل أرسلان: ١٨٨٧-١٩٥٤: عادل بن حمود بن حسن بن يونس من آل أرسلان، أديب، شاعر، سياسي تعلم في بيروت، وكان من أعضاء مجلس المبعوثان العثماني، وهو شقيق الأمير شكيب أرسلان دخل في جمعية العربية الفتاة السرية، وعُين مساعداً لرئيس الحكومة الدمشقية في العهد الفيصلي.

الزركلي: مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٤٣.

٧- خاطر: المرجع السابق، ص ٢٠٤.

باشا بإنشاء المحاكم العرفية، ولاسيما المحكمة العرفية في عالية^(١) حيث كانت الأحكام تصدر حسب رغبته الشخصية^(٢)، وعلى أثر إخفاقه في حملته الأولى على مصر شباط سنة ١٩١٥ قرر أن يضرب المعارضين له في سوريا وجبل لبنان، فألقى القبض على العديد من الوطنيين الإصلاحيين، ومن أسماء الشهداء اللبنانيين الذي أعدموا في ٢١ آب سنة ١٩١٥ في عهد علي منيف بك في ساحة بيروت بتهمة انتمائهم إلى منظمات تعمل على الانفصال عن الدولة العثمانية، هم: عبد الكريم الخليل^(٣) محمود ومحمد الحمصاني^(٤)، عبد القادر الخرسا^(٥)، نور الدين القاضي، محمود نجا العجم، صالح حيدر سليم

١ - محكمة عالية: كانت تتألف من هيئة تحقيق، وهيئة قضاة، ومدع عام، وتوالى على رئاسة هيئة التحقيق كل من حسن عاصم بك، والضابط صلاح الدين، أما هيئة القضاء: فكانت برئاسة فخري بك أولاً، ثم رئاسة شكري بك ومن الذين شغلوا منصب المدعي العام صالح عبد العال، ومرضى أفندي، ونور الدين بك، وكانت تعقد جلسات المحكمة في الليل، وكانت تصدر أحكاماً وفقاً لمشيئة جمال باشا السفاح. مزهر: مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٣٨.

٢ - حيث اعترف شكري بك رئيس المحكمة العرفية بأن أحكام الإعدام التي نفذت في ٦ أيار قد عدلت أكثر من أربع مرات بأمر من جمال باشا، وكان في كل مرة يخرج شخص من قائمة المدومين ليدخل غيره، وقبل يوم واحد من الإعدام أُتخذ القرار النهائي بقائمة المدومين، ومما يشير على استهتار جمال باشا في إصدار أحكام الإعدام ما ذكره الشيخ فريد الخازن في رسالة وجهها إلى زوجته وقال فيها: إنه في الاستجواب الذي تم معه في سنة ١٩١٦ وهو الاستجواب الوحيد الذي استجوبه فيه المحققون في المجلس العرفي حيث إنه كان قد طلب كتابة إجاباته خطأً ليسهل ترجمتها ففعل له: (لا حاجة إلى الكتابة، فنحن نريد محادثتك لا استجوابك، ثم قال الشيخ فريد: فأبرز المحقق النبذة المطبوعة بالفرنسية بتوقيع فيليب، فقلت: هذه لأخي فأسأله، عنها فقالوا إنها ممضاة باسم خازن، وهذا يكفي) معطي: مرجع سابق، ص ٢٥٢-٢٥٣.

٣ - عبد الكريم الخليل بن محمود: ولد في برج الراجنة التابعة لمتصرفية جبل لبنان، درس الحقوق، ومارس مهنة المحاماة. معطي: المرجع نفسه، ص ٢٦٥-٢٦٦.

٤ - محمد الحمصاني ١٨٨٨-١٩١٥: محمد بن مصباح الحمصاني، حقوقي، تعلم بالكلية العثمانية، وحصل على شهادة دكتوراه في الحقوق من باريس سنة ١٩١٢، وعاد إلى بيروت وعمل في المحاماة، ودخل في الجمعية الإصلاحية، وهو أحد مؤسسي جمعية العربية الفتاة، ومن أعضاء المؤتمر العربي الذي عُقد في باريس سنة ١٩١٢ وكان كاتباً، وهو من الذين تنبهوا للحركة الصهيونية في أيامه، وله كتاب اسمه (دعاة الفكرة الصهيونية)، واعتقله العثمانيون خلال الحرب العالمية الأولى وحكم عليه بالإعدام شنقاً مع أخيه محمود فأصيب والدهما بالعمى بعد شنقهما، وجُنت والدتهما. الزركلي: مرجع سابق ج ٧، ص ٩٨.

٥ - عبد القادر الخرسا: ولد في بيروت سنة ١٨٨٥، عمل في التجارة، واتهم بالانتماء إلى الجمعية اللامركزية فحكم عليه ديوان الحرب في عاليه بإعدامه، وشنق في بيروت. بوذينة، محمد: أحداث العالم في القرن العشرين ١٩١٠-١٩١٩، ج ١٠، منشورات محمد بوذينة، مطبعة الشركة الجديدة للطباعة والصحافة والنشر تونس، ط ٢٠٠٠، ج ٢، ص ١٧٤.

عبد الهادي، محمد مسلم عابدين^(١)، نايف تلولو^(٢)، ومن شهداء القافلة الثانية الذين أعدموا في الساحة نفسها في ٦ أيار سنة ١٩١٦: الشيخ أحمد طيارة^(٣)، عبد الغني العريسي^(٤)، عمر حمد^(٥)، علي الحاج عمر، باترو باولي^(٦)، سعيد فاضل عقل^(٧)، توفيق البساط^(٨).

١- محمد مسلم عابدين: ولد بدمشق سنة ١٨٩٩ عُيّن رئيساً لديوان مديرية الأوقاف العامة في دمشق. معطي: مرجع سابق، ٢٦٩.

٢- نايف تلولو: ولد في دمشق سنة ١٨٨٥، نشر مقالات في جريدة المقتبس، وحكم عليه بالإعدام لانتسابه للجمعية اللامركزية، وشنق في بيروت. بوزينة: مرجع سابق، ج ٢، ص ١٧٣.

٣- أحمد طيارة: ١٨٧١-١٩١٦: أحمد بن حسن بن محيي الدين طيارة، صحافي من أهل بيروت، تعلم في المدرسة السلطانية، وعمل في تحرير جريدة ثمرات الفنون ١٧ عاماً، ثم أنشأ جريدة الاتحاد العثماني أثر إعلان الدستور سنة ١٩٠٨، وتم إغلاقها من قبل السلطنة العثمانية، فأصدر جريدة الإصلاح، وانتخب للذهاب إلى باريس لحضور المؤتمر العربي، واعتقله العثمانيون في أثناء الحرب العالمية الأولى وأعدم شنقاً في بيروت مع من شنق من دعاة القومية العربية. الزركلي: مرجع سابق، ج ١، ص ١١٣.

٤- عبد الغني العريسي ١٨٩٠-١٩١٦: ولد، وتعلم في بيروت واشترك مع فؤاد حنتش في إصدار جريدة المفيد اليومية، وهي أسبق الصحف إلى بث الفكرة القومية، درس الصحافة في باريس وتفوق في علم السياسة الدولية واشترك في المؤتمر العربي الأول في باريس، عاد إلى بيروت بعد وفاة زميله فؤاد حنتش فاشترك مع الأمير عارف الشهابي في متابعة إصدار الجريدة، ونقلها إلى دمشق مع بدء الحرب العالمية الأولى وطلبت السلطنة العثمانية عبد الغني لاعتقاله، فاحتبساً ثم قصد البادية مع زميله الشهابي، ولحق بهما توفيق البساط، ثم رحلوا إلى الحجاز ولكن طيباً عثمانياً عرفهم فوشى بهم، فقبض عليهم وسيقوا إلى دمشق، ثم إلى ديوان عالية في جبل لبنان، حيث عذب عبد الغني أشد التعذيب، وحكم عليه بالإعدام، ونفذ الحكم في بيروت مع قافلة من الشهداء، ومن آثاره المختار من ثمرات الحياة، وكتاب البنين. العودات: مرجع سابق، ص ٩٦.

٥- عمر حمد: ولد في بيروت، ودخل في جمعية العربية الفتاة السرية، ونشر قصائد وأناشيد حماسية، ولما نشبت الحرب العالمية الأولى جعل ضابطاً احتياطياً في الجيش العثماني، ولما ظهرت بوادر البطش العثماني بأحرار العرب هرب مع عبد الغني العريسي وتوفيق البساط من دمشق سنة ١٩١٥، مرتدين ثياب البدو وظلوا يتنقلون في البادية نحو ثمانية أشهر، ثم قبض عليه، وقضى عمر في سجن عالية نحو أربعة أشهر ثم أعدم شنقاً في بيروت بحجة إلقاء قصائد تكره العرب بالأتراك. الزركلي: المرجع السابق، ج ٥، ص ٦٨.

٦- باترو باولي: ولد في بيروت سنة ١٨٨٦، كان من التابعة اليونانية، ويتقن اللغة العربية والفرنسية، واليونانية ولما قبض عليه توسط القنصل اليوناني للإفراج عنه لكن دون فائدة. معطي: المرجع السابق ص ٢٧٨.

٧- سعيد عقل: سعيد بن فاضل بن بشارة عقل، ولد في الدامور وتعلم في بيروت، فأصدر جريدة صدى المكسيك وعاد إلى بيروت، وأصدر جريدة البيرق، فأغلقتها السلطنة العثمانية، ومن ثم تولى تحرير جريدة الأحوال، ولكنها أُغلقت، و تسلم تحرير لسان الحال، والإصلاح، والاتحاد العثماني، وبعد نشوب الحرب العالمية =

وفي ٥ أيار سنة ١٩١٦ انتهى عهد علي منيف بك في جبل لبنان وعين والياً على بيروت، وبقي فيها إلى أواسط ١٩١٨ حيث دعي إلى الآستانة.

٢- إسماعيل حقي بك حكم ما بين سنتي ١٥ أيار سنة ١٩١٧ - ١٤ تموز سنة ١٩١٨: وعند تعيينه متصرفاً لجبل لبنان خلفاً لعللي منيف بك، كان عضواً في مجلس الأعيان في الآستانة، وشغل في عهد السلطان عبد الحميد منصب أمانة السر في الديوان الهمايوني.

وفي صيف سنة ١٩١٦ اشتدت المجاعة في جبل لبنان بشكل رهيب بسبب منع القمح من الوصول إليه بحجة حاجة الجيش إليه، ما أسفر عن زيادة الوفيات، وانتشار الأمراض.

وفي ١٠ حزيران سنة ١٩١٦ أعلن الحسين أمير مكة الجهاد المقدس على الأتراك، فاستولى المجاهدون العرب على مكة، والطائف، وجدة، والمدينة، وفي ٢٦ تشرين الأول سنة ١٩١٦، بويع الحسين ملكاً على الديار المقدسة، وقاد نجله الأمير فيصل الجيش العربي^(٢)، وفي عهده أعدم شنقاً في بيروت في ٦ حزيران سنة ١٩١٦ الشهيدان الأخوان فيليب^(٣)، وفريد الخازن^(٤) بتهمة إخلاصهما لجبل لبنان^(٥) والأخوان أنطون، وتوفيق زريق^(٦) لتخلفهما عن الخدمة العسكرية، وعلى الرغم من الهزائم التي مني

=الأولى انزوى في قريته الدامور فاعتقل، واتهم بالسعي لإنشاء مملكة عربية مستقلة فأعدم شنقاً في بيروت. الزركلي: مرجع سابق، ج ٣، ص ٩٩.

١- توفيق البساط: ابن أحمد البساط ولد في صيدا سنة ١٨٨٨، وتعلم في بيروت، كان من أعضاء المنتدى الأدبي ومن أعضاء جمعية العربية الفتاة السرية، وعيّن مأمور معية في ولاية دمشق، حيث شارك بتأسيس الجمعية الإصلاحية في بيروت، كما أصدر جريدة الاتحاد العثماني. حلاق، حسان: مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ - ١٩٣٨ مع دراسة للعلاقات العثمانية العربية، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٣.

٢- خاطر: عهد المتصرفين، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧.

٣- فيليب الخازن ١٨٦٥ - ١٩١٦: ولد في كسروان، أسس مع أخيه فريد جريدة الأرز، وجاهداً معاً في سبيل الاستقلال عن العثمانيين، وهما من الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا السفاح سنة ١٩١٦، ولهما كتاب لحة تاريخية في استقلال لبنان. العودات: مرجع سابق، ص ١٠١.

٤- فريد الخازن: صحافي، مؤرخ، تولى جريدة الأرز في جونبة، من آثاره: جان دارك، المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان بالاشتراك مع أخيه فيليب. كحالة: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢١.

٥- يزبك: أوراق لبنانية، ص ٢٤٣.

٦- انطوان زريق ١٨٧٧ - ١٩١٦: أديب، صحفي، عارض بمقالاته السياسة العثمانية هاجر إلى فرنسا سنة ١٨٩٨ ثم إلى أمريكا، وهناك أصدر جريدة جراب الكردي في نيويورك ثم أسماها فيما بعد الارتقاء، وهي مخصصة لمهاجرة السلطنة العثمانية، وعاد إلى طرابلس فاعتقل هناك، وحكم عليه بالإعدام. العودات: المرجع السابق، ص ٧٨.

بما الجيش العثماني تم استدعاء جمال باشا في ٥ كانون الثاني سنة ١٩١٨ إلى الآستانة^(١)، وبقيام الثورة العربية تأثرت الدولة العثمانية من هذه التحولات العسكرية والسياسية وعلى أثرها تم عزل جمال باشا من بلاد الشام، ومنذ ذلك التاريخ أخذ سليم سلام^(٢) والنواب العرب يسعون لدى السلطنة العثمانية لإطلاق سراح المعتقلين، والمنفيين من سكان بلاد الشام^(٣).

٣- ممتاز بك: ٢٥ آب - ٣٠ أيلول سنة ١٩١٨: لم يبقَ في إدارة المتصرفية إلا خمسة وثلاثين يوماً رأى في آخرها انسحاب الجيش العثماني من البلاد^(٤) فذهب إلى حلیم بك المسؤول عن صندوق المتصرفية وطلب منه أن يعطيه كل ما فيه من نقود وبلغت قيمتها خمسين ألف ليرة ورقية، فانتزعها منه، وطلب منه حلیم وصلاً بها، فأشهر عليه مسدسه، وأخذ النقود بالقوة، ومن ثم لجأ إلى زحلة ومن هناك ذهب إلى محطة رفاق وانضم إلى فلول الجيش العثماني المنهزم^(٥)، وفي خريف سنة ١٩١٨ انتهى الحكم العثماني، واحتلت الجيوش البريطانية والفرنسية بالتعاون مع قوات الأمير فيصل سورية^(٦)، وعلى أثر انسحاب الأتراك في نهاية الحرب العالمية الأولى عُينت حكومة سعيد الجزائري الدمشقية حاكمين على جبل لبنان، وهما: مالك شهاب، وعادل أرسلان، دام حكمهما من ١ تشرين الأول حتى ٧ تشرين الأول سنة ١٩١٨، وبعد دخول فيصل بن الحسين دمشق تألفت حكومة عربية برئاسة رضا الركابي، فعين حاكمين جديدين شكري الأيوبي، وحبيب السعد، دام حكمهما من ٧ تشرين الثاني حتى ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٨^(٧).

١- خاطر: عهد المتصرفين، ص ٢٠٨.

٢- سليم سلام: ولد في بيروت سنة ١٨٦٨، كان والده علي عبد الجليل سلام من الوجوه التجارية في المدينة، توفي والده وهو في السابعة عشرة من عمره؛ مما اضطره لترك دراسته، وتسلم مهام والده التجارية، حيث أظهر براعة رائعة في عمله التجاري، وما لبث أن صاهر عائلة بيروتية، وهي عائلة البربر فتزوج من أم كلثوم ابنة عمر البربر التي أنجبت منه أحد عشر ولداً، وفي سنة ١٨٩٥ انتخب عضواً في غرفة التجارة، وفي سنة ١٩٠٠ عُين رئيساً للبنك الزراعي، ومن ثم أصبح عضواً في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية التي أصبح رئيساً لها في سنة ١٩٠٩، كما أصبح عضواً في مجلس المبعوثان سنة ١٩١٤. حلاق: مذكرات سليم علي سلام، ص ١٣ - ١٥.

٣- حلاق: المرجع نفسه، ص ٤٧.

٤- يزبك: أوراق لبنانية، ص ١٧٢.

٥- خاطر: المرجع السابق، ص ٢٠٩.

٦- حنا، عبد الله: من الاتجاهات الفكرية في سوريا ولبنان النصف الأول من القرن العشرين، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٧، ص ٦٤.

٧- أبو فاضل، هنري: البرلمان الديمقراطي في لبنان منذ ١٨٦١، منشورات الحرف، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٨.

خلاصة الفصل الأول

- إن نظام ١٨٤٢ كرس الطائفية في جبل لبنان، وأصبح التعامل على أساس الدين والطائفة لا على أساس إنساني، وجعل من الجبل ساحة قابلة للانفجار بأي لحظة.
- عملت الدول الأوروبية على ضرب النسيج الاجتماعي، وإثارة النزعات الطائفية ما يحقق لها مصالحها.
- الصراع بين الموحدين، والموارنة تناول شكل السلطة والحكم والجهة الحاكمة وشخصية الحاكمين ، ولكنه في حقيقة الأمر صراع سياسي.



الفصل الثاني

أولاً - دراسة الوضع الزراعي في جبل لبنان ١٨٤٠ - ١٩١٤.

أدت الزراعة دوراً مهماً في حياة، وسكان الدولة العثمانية و معيشتهم، حيث شكلت الأرض المورد الرئيس لسكانها، فعليها يقع العبء الأكبر لملاء خزانة الدولة، ومن مواردها يتم الصرف على الجيش ودفع رواتب الموظفين^(١)، لكن أصحاب الاقطاعات الكبيرة أدّوا دوراً سلبياً تجاه الفلاحين من خلال حرمانهم من أراضيهم، وإرهاقهم بالضرائب الكثيرة؛ بالإضافة لظلم المربين، والمترمين^(٢). وهذا الاستنزاف المتواصل للفلاحين أدى إلى إفقارهم ومعاناتهم، وتردي وضعهم الصحي، فكان ذلك سبباً في قيام انتفاضتهم، وهذا التعبير الرافض لذلك الواقع، كان يتم قمعه كل مرة من قبل الإقطاعيين بالتعاون مع الأمير الحاكم بدعم من السلطة المركزية.

١ - الملكية العقارية:

لم تهتم الدولة العثمانية بالأراضي الزراعية المنتجة، بل تركتها للعادات المتوارثة، وسمحت للفلاح باستصلاح أراضي جديدة، ولكن تحت إشراف الحاكم الإقطاعي، ومع نهاية الحكم المتصرفي للجبل بلغ مساحة الأراضي المملوكة ٣٢,٥٧% من مساحة الجبل المقدرة ٣٥٠٠ كم^٢، وبلغت مساحة الأراضي الوقفية ٢٢٠ كم^٢، والأراضي الأميرية ٥٤٠ كم^٢، والأراضي المشاعية ٥٠٠ كم^٢، والموات ١١٠٠ كم^٢^(٣)، حيث أدت الثورات الفلاحية في جبل لبنان وخاصة في كسروان دوراً مهماً بتجزئة الملكية الإقطاعية، كما سمحت الأرباح الناتجة من تجارة الحرير والأموال القادمة من المغتربين بشراء مساحات من أراضي القرى سواء أكان ذلك من قبل الكنيسة المارونية، أم من قبل العائلات الإقطاعية الذين كانوا يسيطرون على ملكية أغلب الأراضي^(٤) وعلى ما يبدو أن هذا النوع من الملكية قد ولّد تمايزاً اجتماعياً، واقتصادياً، بدأت تتوضح معالمه منذ بداية عهد المتصرفية. تركزت الملكية العقارية

١ - قفلجملي، حكمت: التاريخ العثماني، تعريب فاضل لقمان، دار الجليل، دمشق، ١٩٨٧، ١، ص ٨٣.

٢ - الحصني، محمد أديب آل تقي الدين: منتخبات التواريخ لدمشق، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٨٣، ص ٢٦٢.

٣ - سعيد: أشكال الملكية، ص ١١٥.

٤ - David Urquhart ,The Lebanon : A History and a Diary, London ,

1860,P252.

بالأوقاف الإسلامية، والمسيحية، ولكن بنسبة أكبر بالأوقاف المسيحية وخصوصاً الكنيسة المارونية التي عملت على استقطاب أعداد كبيرة من اليد العاملة، وتحويل الأديرة إلى مراكز إنتاج للجبل، ولا سيما في مجال إنتاج الحرير، وتم استغلال هذه القوى العاملة في سبيل توسيع ملكيتها العقارية ولا سيما الزراعية^(١)، ولكن بروز الثورات الفلاحية المتكررة أسهمت في خلق واقع جديد بالنسبة للملكية العقارية حيث أفرزت ملكيات عقارية جديدة للفلاحين^(٢)، ولكن هذه الملكيات صغيرة وشملت الأراضي الأقل جودة من تلك التي كانت بحوزة الإقطاعيين الكبار ومتناثرة في أنحاء القرية وعلى أطرافها، كما هو الحال بالنسبة للملكية ثليجة فياض في قرية بقسميا قضاء البترون التي بلغ دخل ما تملكه لا يتجاوز ١٠٠ قرش^(٣)، وكذلك الأمر بالنسبة لما تملكه ورثة مخايل نعمة في قرية بشري قضاء البترون، حيث لم يتجاوز دخل ما تملكه ٥ قروش، كما امتلك كل من منصور لطوف بشارة وخزاعية بنت حنا الحوري، و ورثة حبيب سعد جبران ما مردوده ٧,٥ قرش^(٤).

عند المقارنة بين أصحاب الملكيات العقارية المترتبة عليهم جباية الضرائب لطائفتين أساسيتين (الموحدين - الموارنة)، وذلك من خلال الإحصائية الآتية: بلغ عدد الموحدين الذكور الواجب عليهم الضريبة ١٢٤٦٧ يدفعون ١٠٩٠٨٦ قرشاً، بينما بلغ عدد الموارنة الذكور ٥٧٤٢٠ الواجب عليهم ضريبة تقدر ٥٠٢٤٢٥ قرشاً. من خلال هذه الضرائب المفروضة على الملكيات العقارية نرى أن الموارنة يدفعون أكثر من الموحدين، والسبب في ذلك الآتي:

- شهدت الطائفة الدرزية على أثر حوادث الستين هجرة كثيفة نحو حوران، ورافقها عمليات بيع لأراضي الجبل، حيث سُجل بين سنتي ١٨٦١-١٨٦٣ أكثر من ١٢٢٠ عملية بيع مسجلة في قضاء الشوف، ومعظم البائعين من الموحدين، وأغلبية المشترين من الموارنة^(٥).

١- ضاهر، مسعود: الدولة والمجتمع في المشرق العربي ١٨٤٠-١٩٩٠، دار الآداب، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٠٢.

٢- تقي الدين: مرجع سابق، ص ٢٠٥.

٣- دفتر مساحة قرية بقسميا، ص ٢٨. سعيد، عبد الله إبراهيم: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في الأرياف اللبنانية ١٨٦١-١٩١٤ دراسة مقارنة في التاريخ، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٧١.

٤- دفتر مساحة قرية بشري، ص ٩-١١. سعيد: المرجع نفسه، ص ١٧١. ملحق رقم (٤).

٥- تقي الدين: المرجع السابق، ص ٢٠٥-٢٠٦.

- انفتاح باب الهجرة إلى الخارج، وكان معظم المهاجرين من المورانة، وهذا بدوره شكّل مورداً اقتصادياً مهماً لعائلات مارونية كثيرة من خلال الأموال التي كان يرسلها المهاجرون إلى ذويهم فعملوا على شراء الأراضي بمساحات واسعة^(١).

و كانت عقود بيع العقارات جميعها تتضمن:

- السبب الأساسي لتنظيم العقد، ويشار إليه في رأس الصفحة بعارة (السبب الداعي لتحريره).
- تحديد يوم البيع، وتستخدم فيه عبارة (إنه يوم تاريخي) أو (إنه يوم تاريخي أدناه)، واليوم المشار إليه يأتي تحديده في نهاية العقد لا بدايته.
- التأكد من أن الأرض المباعة تحت تصرف البائع (قد بعنا ما هو لنا)، كما يذكر اسم المشتري وألقابه.

- تحديد نوع البيع: بيع مقايضة، أم بيع مقابل نقد عيني.

- تحديد موقع الأرض المباعة، ونوع الأشجار الموجودة فيها^(٢).

دخلت العلاقات الرأسمالية إلى جبل لبنان منذ القرن التاسع عشر، وارتبطت الأسواق التجارية الموجودة في الجبل مع الغرب الرأسمالي؛ وخصوصاً فرنسا بعد ازدهار صنّعة الحرير وتجارته، أما العلاقات الإقطاعية تقلصت بعد انتفاضة الفلاحين سنة ١٨٥٨، وهذا ما أسفر بدوره عن تراجع سيطرة الإقطاعيين، وكبار الملاكين على الفلاحين، بحيث إن إنتاج الأرض لم يكن ليتحمل عبء المالك والتاجر، والسمسار من جهة، والفلاح من جهة أخرى، ونتيجة كل هذا الضغط ترك أغلب الفلاحين أراضيهم، ومنهم من اتجه إلى مدينة بيروت أو اتجه إلى أمريكا، وهذا ما أثر في الوضع الزراعي، وشكّل الملكية العقارية .

كما أن العلاقات الإنتاجية الزراعية أثرت في العلاقات الاجتماعية حيث ارتبط الفلاحون بأصحاب الأراضي سياسياً، واقتصادياً، بالإضافة إلى ذلك لم يكن هناك أية حماية رسمية للفلاحين أصحاب الملكيات الصغيرة تجاه توسع ملكية التجار والمرايين. ومن الملاحظ أن الملكية العقارية قد تركزت بشكل كبير في الأديرة المارونية، ومن ثم بأيدي الإقطاعيين الكبار؛ بالإضافة إلى وجود ملكيات صغيرة لبعض الفلاحين^(٣).

١- كوثراني: مساهمة في دراسة أصول، ص ٨٦.

٢- ضاهر: الدولة والمجتمع، ص ١٦٧-١٦٨-١٦٩.

٣- كوثراني: المرجع السابق، ص ٨٦.

٢- محاولات مسح أراضي الجبل:

- قامت أول عملية مسح للأراضي في جبل لبنان خلال حكم الإمارة الشهابية في عهد الأمير حيدر عندما أمر بمسح أملاك كسروان، وتم ذلك بواسطة أبي علي سيف الدين العاقل الدرزي^(١). وجرت في عهد القائممقامتين ثلاث محاولات لمسح أراضي الجبل، ولكنها فشلت، بسبب معارضة أصحاب الملكيات الكبيرة؛ لأنهم رأوا بذلك وسيلة جديدة لفرض ضرائب أخرى عليهم.

- ففي سنة ١٨٤١ اجتمع أمراء، ومشايخ، ووكلاء القائممقامتين، واتفقوا على إجراء مسح لأراضي الجبل، وانتخبوا أربعة وعشرين مقوماً، واثنى عشر كاتباً من أجل ذلك^(٢).

- عندما ضمت بلاد جبيل سنة ١٨٤٤ إلى القائممقامية المسيحية طالب بعض الأهالي بإجراء عملية مسح فيها، وبعد عمل استمر ثلاثة أشهر وصل المساحون إلى جبة بشرى، فطردهم أهلها بحجة الفساد الذي رافق عملهم، وامتنع الأهالي عن دفع الأموال الأميرية؛ بسبب الزيادات التي طرأت بفعل مسح الأراضي.

- في سنة ١٨٤٤ اقترح أهالي جبة بشرى على سكان مقاطعات جبيل، والبترون عقد اجتماع، وتم تشكيل لجنة مسح تتألف من شخص أو شخصين يمثلان كل القرية، ولكن والي صيدا أصر على تأدية الأموال الأميرية وأرسل يتهدهدهم، وعدّ أن وصول تهديده لهم آخر نصيحة لهم^(٣)، ونتيجة لعدم قدرة بعض الفلاحين وأصحاب الملكيات الصغيرة على دفع الضرائب المفروضة على ملكياتهم العقارية سُجلت أراضيهم ملكاً لكبار الإقطاعيين والأديرة والكنائس^(٤).

- وفي سنة ١٨٤٨ جرت محاولة أخرى لمسح أراضي الجبل، فأرسلت السلطنة ثلاثة مهندسين بروسين يعاونهم ثلاثة أشخاص عن كل مقاطعة؛ مقوم، وكاتب، وناظم، لكن أعمالهم تعرضت لمعارضة من قبل الأهالي بسبب؛ مراعاتهم لأصحاب المناصب، والأعيان، والأمراء الإقطاعيين في طريقة عملهم فتوسط الشيخ سعيد جنبلاط في الأمر، فاستأنفت أعمال المسح بإشراف أمين أفندي

١- الحتوني، منصور: نبذه تاريخية في مقاطعة كسروانية، بيروت، ١٨٨٤، ص ١٣٣. ملحق رقم (٥).

٢- الحازن: مصدر سابق، ج ١، ص ٤٠٠ - ٤٠٤.

٣- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٢٣.

٤- ضاهر، مسعود: الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية ١٦٩٧-١٨٦١، معهد الإنماء العربي، بيروت ط ٣، ١٩٨٦، ص ١٣١.

وبدأت عملية المسح بمقاطعات الشيخ سعيد بناءً على طلبه؛ وبسبب معارضة بعض المشايخ والأعيان توقفت عمليات المسح، حيث عارض مشايخ آل الخازن القيام بعملية المسح لأراضي كسروان^(١). وبما أن المادة السادسة عشرة من النظام الأساسي لجبل لبنان نصت على: (وجوب الشروع في إحصاء النفوس في جبل لبنان محلاً محلاً، ومسح الأراضي المزروعة جميعها، وتنظيم خريطة بمساحته)^(٢) بدأت عملية تنظيم الأراضي من جديد حيث بادر المتصرف داوود باشا ١٨٦١-١٨٦٨ إلى تأليف لجان للمساحة بلغ عددها ست لجان، وتألقت كل لجنة من اثني عشر شخصاً من الموحدين، والمسيحيين بالمناصفة^(٣).

كان الدرهم الإنتاجي أو المساحي كمرتب مالي يفرض على أرض تنتج ما قيمته ٣٦٠ قرشاً من الحاصلات الزراعية، والدرهم يقسم إلى أربعة وعشرون قيراطاً، والقيراط إلى ٢٤ حبة، ولذلك عدّ الدرهم كوحدة قياس لمساحة الأرض، وفيما يأتي نقدم جدولاً يبين لنا مساحة جبل لبنان بالدرهم بين سنتي ١٨٤٤-١٨٥٦^(٤):

المقاطعة	سنة ١٨٤٤	سنة ١٨٦٥	المقاطعة	سنة ١٨٤٤	سنة ١٨٦٥
الشوف مع دير القمر	٤٠٠٨١	٤٢٩٠٢	المتن و زحلة	١٢٢٤٥	٢٦٦٦٣
البترون و بشري الزاوية	٢٦٣٠٨	٢١٥٠٩	جزين و إقليم التفاح	٧٤٨٣	٧٦٠٥
كسروان و بلاد جبيل	٢١٤٤٠	١٧٤٨١	الكورة	٩١٥٥	١٢٣٤٠
المجموع	١١٦٧١١	١٢٨٥٠٠			

نلاحظ مما سبق أن مساحة الجبل في سنة ١٨٤٤، كانت ١١٦٧١١ درهم فتطورت في سنة ١٨٦٥ وأصبحت ١٢٨٥٠٠ درهماً، وهذا ما يدل على تطور الإنتاج وزيادته.

٣- الضرائب: اتصف النظام الضريبي العثماني بالنظر لأسلوب الإنتاج السائد بعدم وحدة النظام الضريبي، وبسيادة الأساليب التقليدية في جباية الضرائب^(٥)، ففي القرن الخامس عشر كانت ٩٨% من واردات الدولة العثمانية تجبي من خلال الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية، و ٢% فقط من خارج العاملين بالزراعة، وشكل الجبل ٨١% من واردات خزينته المالية حتى أواخر عهد المتصرفية

١- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٢٤.

٢- خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٦-٢١.

٣- العقيقي: مصدر سابق، ص ١٣٩.

٤- غنام: المرجع السابق، ص ٢٦.

٥- حنا، عبد الله: القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٥، ص ١٠٩.

من الضرائب الزراعية^(١)، وما يعيب هذا النظام الضريبي هو عدم التساوي في دفع رسومه، حيث كان الإقطاعيون يحاولون توزيع الضرائب بحيث يقع العبء الأكبر على كاهل الفلاحين، وصغار الملاكين أما الأمراء، والمشايخ كانوا يتمتعون بامتيازات تعفيهم من دفع الضرائب، وهذا ما يؤكد القنصل الفرنسي (هنري غيز) بقوله: (فالمتن مثلاً لا يدفع إلا بناء على تخمين الأراضي، ثم إن خمس قرى تخص أمراء أبي اللع معفاة من دفع الضرائب)^(٢)، ويمكن إجمال الضرائب بالآتي:

أ- ضريبة التمتع: تم إحداثها من قبل السلطان محمود الثاني في سنة ١٨٢٥ فرضت على التجار بنسبة ثلاثين في الألف من مجموع الربح السنوي، وارتفعت في سنة ١٨٧٩ إلى أربعين بالألف، وشملت بعد سنة ١٨٨٥ أصحاب الرواتب، أما الاحتساب فهي عبارة عن ضريبة تؤخذ بأسماء متنوعة: يومية الدكاكين، ورسم المأكولات، والذهب، والفضة، والمنسوجات، وفي سنة ١٩٠٥ تم استيفاؤها على قسمين:

- الضريبة المقطوعة: تأخذ من كل شخص لم يتخذ مكاناً خاصاً لممارسة صناعته.

- الضريبة النسبية: فرضت على الدخل الصافي للمحل الذي يشغله المكلف، ومقدارها بالنسبة للتجار، وباعة الأقمشة، والمجوهرات ١٢%، وبائعو الألبسة والأدوية والعطور ١٠%، والأطباء والمهندسون ١٥% أرباب المهن الحرة، والحدادين، والخياطين، وبائعو الحبوب، والمأكولات ٨%.

وفي سنة ١٩١٢ أضيف إليها ضريبة أخرى، وهي الضريبة المتحولة، وهي قسمان: الأول فرض على أصحاب المحلات التجارية، والصناعية، وتبدأ من تسعة قروش، وتنتهي بمئة قرش.

الثاني: فرض على بعض الصناعات والآلات التجارية^(٣).

أما الكنائس، والجوامع، ومجالس الموحدين فقد أعفيت من هذه الضريبة، كان يكلف كل من مختار القرى ومشايخها بحماية هذه الضريبة في قراهم؛ مما أكسبهم قوة و نفوذ^(٤).

ب- ضريبة البذل العسكري: كانت تستوفى من غير المسلمين باسم مساعدة حربية، وكان مقدارها خمسين ليرة عثمانية ذهبية، أي ما يعادل ١٠٠٠ قرش^(٥).

١- سعيد: تطور الملكية، ص ١٥٧.

٢- غيز: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٠٦.

٣- كرد علي، محمد: خطط الشام، ٦ أجزاء، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٢٧، ج ٥، ص ٩٨ - ١٠٠.

٤- سعيد: المرجع السابق، ص ١٩٥.

٥- الصمد: مرجع سابق، ص ١٣.

ج- **ضريبة العمال المكلفين:** فرضت بعد صدور نظام الطرق والمعايير سنة ١٨٦٩ وموجبها كلف الأفراد من الذكور في القرى الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦-٦٠ سنة وما تحتويه تلك القرى من حيوانات النقل، بالعمل لمدة عشرين يوماً في كل خمس سنوات، ويستطيع المكلف أن يدفع بدلاً نقدياً شخصياً، تتراوح قيمته من عشرين إلى ثلاثين قرشاً في السنة^(١).

د- **ضريبة الأعشار:** دفع الفلاح ١٠% من محصوله للملتزم^(٢)، ولكن من الملاحظ بأنه كان يدفع أكثر من ذلك بكثير، إن لم نقل أغلب إنتاجه، وفي سنة ١٨٥٦ صدر نظام إحالة الإعشار وهو بمثابة إعلان الدولة العثمانية للمزايدة من أجل تحصيل إيرادات الضرائب من عدة قرى في وقت واحد، وبذلك يقوم الملتزم بجمع تلك الضرائب لمدة سنة كاملة، أما القرى التي لم يتقدم لها أحد من الملتزمين فتدار أعشارها بصورة الأمانة بإشراف متصرفي الألوية^(٣)، وكان يجب على من يرغب التزام الأعشار أن يراجع مجلس الإدارة المحلي قبل حلول مدة الإحالة بأسبوع واحد على الأقل، وأن يبين بطلب خاص المبلغ الذي يريد أن يلتزم به، دون أن يذكر أسماء الأماكن التي يرغب التزام أعشارها^(٤) حيث جرى تحصيل العشر عيناً من القطن، وسائر المحصولات الزراعية، وعيناً أو نقداً عما ينتج من العلف والعنب والعسل، وأعفى النظام الحطب والخضار من الأعشار^(٥).

وفي سنة ١٨٥٧ صدر نظام عشر الحرير، وفرض العشر عليه عيناً أو نقداً وفرض النظام على المأمورين إجراء الدقة، ومنع مرور الحرير ما لم يكن بيد صاحبه تذكرة مختومة من الملتزمين إشعاراً بأنه دفع الضريبة^(٦)؛ وبالإضافة لذلك فرض مجلس إدارة المتصرفية في سنة ١٨٦٩ ضريبة على معامل الحرير بمقدار عشرة قروش على كل دولار حرير^(٧).

١- عوض: مرجع سابق، ص ١٧٥.

٢- عوض: المرجع نفسه، ص ١٦٨.

٣- الدستور: مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٧-٤٩.

٤- رستم، أسد: لبنان في عهد المتصرفية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص ٩٣-٩٤.

٥- الدستور: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧-٤٩.

٦- عوض: المرجع السابق، ص ١٦٨.

٧- سعيد: تطور الملكية، ص ١٩٠.

هـ- **ضريبة الأملاك:** فرضت سنة ١٨٦١، حيث كان يقوم مختارو القرى بتوزيع هذه الضريبة على قراهم بموجب دفتر خاص تسجل فيه البيوت والأراضي جميعها الموجودة في القرى^(١)، وكانت تحيي عن الأراضي التي لا تدفع العشر، لكن فرضت حسب الدخل السنوي^(٢).

و- **رسم المسكرات:** يأخذ رسم بمقدار عشرة قروش في المئة من عاملي الخمر^(٣).

ز- **رسم الجمرك:** وهو على ثلاثة أنواع؛ رسم الصادرات، والواردات، و (Transet) وهو الرسم الذي يأخذ على الأمتعة الأجنبية التي تمر ضمن أراضي الدولة العثمانية^(٤).

ح- **ضريبة الأعناق:** تم استبدال ضريبة الجزية التي كانت تؤخذ من غير المسلمين بعد صدور الخط الحمائي، وبعد القيام بعملية الإحصاء للذين قاموا بالخدمة العسكرية، وجد تدني نسبة المسلمين في هذه الخدمة؛ لذا فرض العثمانيون هذه الضريبة سنة ١٨٨٦ باسم ضريبة مال الأعناق، حيث فرضت على كل سكان الجبل دون استثناء^(٥)، وفي عهد فرنكو باشا ١٨٦٨-١٨٧٣ تم توزيع ضريبة ضريبة الأعناق على كل الذكور الذين أعمارهم فوق ١٨ سنة، وكانت قيمتها تتراوح من ٨ إلى ١٠ قروش لكن أعفي منها أعضاء مجلس الإدارة وأعضاء المحاكم.

ط- **مال المهمولات:** هو المال الذي يجي رسوماً غير مقررته مثل رسوم الماء، والأغنام، والصيد وضريبة الطرق، والأرض المعروفة بالبكيلك - الأرض التابعة للدولة - وعوائد شركة التبغ والتبناك^(٦) حيث إن ضريبة الأغنام كانت تفرض على الأراضي غير المزروعة المخصصة للمرعى، وكانت نسبتها في سنة ١٨٣٩ ١٠% من إنتاج المواشي، وكانت تؤخذ في الولايات العثمانية رسماً قدره أربعة قروش عن كل رأس غنم أو ماعز، وعشرة قروش عن كل رأس إبل أو جاموس^(٧) وفي جبل لبنان كانت تستوفي بمقدار قرشين ونصف عن كل رأس غنم، وقرشين عن كل رأس ماعز وكان يتم تعداد الحيوانات في أول شهر آذار من كل سنة بواسطة مأموري العد الذين تعينهم حكومة القضاء ويجب

١- الأسود: دليل لبنان، ص ٣٨.

٢- سعيد: تطور الملكية، ص ١٩١.

٣- الأسود: المصدر السابق، ص ٣٨.

٤- الأسود: المصدر نفسه، ص ٣٧٩.

٥- رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٩٥.

٦- سعيد: المرجع السابق، ص ١٩٧-١٩٩.

٧- كرد علي: مصدر سابق، ج ٥، ص ٩٣.

تسديد هذه الضريبة قبل نهاية حزيران من كل سنة، وأعفى القانون حيوانات الزراعة من هذه الضريبة^(١)، خلال فترة حكم فرنكو باشا تم فرض عشرين بارة^(٢) على دخول الماعز إلى كل قرية، وسمي هذا الرسم بـ (تذكرة).

ي- ضريبة الطرقات: كانت بمقدار خمسة قروش من أجل إنشاء، وتصليح الطرقات والعربات جميعها التي كانت تربط قرى الجبل المختلفة جميعها بعضها مع بعض، وبموجب هذه الضريبة كُلف الأفراد الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين ست عشر وستين سنة بالعمل مدة أربعة أيام في السنة لتحسين هذه الطرقات أو دفع بدل شخصي بمقدار خمسة قروش^(٣).

بلغت تحصيلات ضريبة بدلات الطرقات لسنة ١٩١١ على النحو الآتي^(٤):

	التحصيلات		المصاريف				الباقى	
	بارة	قروش	بارة	معاشات قروش	بارة	تصليحات قروش	بارة	قروش
الشوف	١٧	٣٢١,٦٦٧	١٠	٢٥٦٣٦	١٥	٢٥٩٥٧٣	٣٢	٣٦٤٥٧
حزيرين	٢	١٣٤,٠٤١	٢٠	٥٠٥٨	٣٠	٨٦٦٤٥	٣٢	٤٢٣٣٦
المتن	٣٦	٣٣٦,٦٢٠		٢٥١٠٣	١٥	٣٠٩١٧٩	٢١	٢٣٣٨
كسروان	١٤	١٢١,٦٠٤	٢٠	٧٧٣٦	١٠	٧٤٣٨٩	٢٤	٣٩٤٧٨
البترون	١٨	٢٠٠,٦٥١		٦٢٠٠	١٠	١٧٦٩٦٩	٨	١٧٤٨٢
الكورة	٢٤	١٠١,٠١١	١٥	٦٦٥٨	٣٠	٥١٤٠١	١٩	٤٢٩٥١
المجموع	٣١	١٢١٥٥٩٦	٢٥	٧٦٣٩٢	٣٠	٩٥٨١٥٨	١٦	١٨١٠٤٥

أما ضريبة صيد السمك فهي ٢٠% من قيمة السمك المصطاد، ويؤخذ عيناً أو نقداً^(١)، كما صدر قانون بيع الدخان في سنة ١٨٦٢، ومنعت الدولة العثمانية بيعه إلا بإذن مسبق وفرضت رسوم

١- حقي، إسماعيل: لبنان مباحث علمية واجتماعية، ج ٢، إعداد مجموعة من الأدباء والكتاب، منشورات الجامعة اللبنانية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٦٣١.

٢- البارة: الاسم العام للنقد و الدراهم، وهو في الأصل نقد معدني مضروب في عهد السلطان مراد الرابع، وكانت الآفحة الواحدة في عهد السلطان محمد الفاتح تساوي ثلاث بارات، وكذلك في عهد السلطان أحمد الثالث والقرش الواحد يساوي أربعين بارة وزنته اثنا عشر قيراطاً من الفضة، وكانت على فئتين: فئة العشرين بارة، وفئة العشر بارات، وسك في عهد السلطان سليم الثالث فئة المئة بارة والخمسين بارة، وكان القرش الواحد في عهد محمود الثاني يساوي أربعين بارة، والبارة الواحدة تساوي ثلاث أقيجات. صابان: مرجع سابق، ص ٥١.

٣- سعيد: تطور الملكية، ص ١٩٩-٢٠١. ملحق رقم (٦).

٤- حقي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٥.

مرتفعة على أماكن بيعه، وإنتاجه بلغت حوالي نصف قيمة المحصول، والرسوم تدفع بالنقد الذهبي^(٢)، كل ما ذكر من الضرائب السابقة هي ضرائب مباشرة حيث يقوم الأمير أو الإقطاعي بجبايتها ثم إرسالها لخزينة السلطنة العثمانية، أما الضرائب غير المباشرة؛ فهي الضرائب المحلية التي يجمعها الأمير أو الإقطاعي دون أن تصل إلى خزينة السلطنة في الآستانة، ومنها:

- البذرية: تفرض على بذور القز، وتتراوح بين قرشين إلى تسعة قروش.

- الخولية: تفرض في مواسم قطاف شرانق الحرير، والزيتون، وحصاد الحبوب، وهي أجرة الوكيل الإقطاعي الذين ينوب عن الأمير الإقطاعي في الإشراف المباشر على الأراضي، وعملية التحمين للمحاصيل، واقتسامها، وجباية الضرائب المفروضة عليها.

- النظارة: تفرض على الفلاحين لدفع راتب الناظر الذي يقوم بحراسة المحاصيل الزراعية في الحقول والبيادر.

- التغريم: تفرض على الفلاحين بسبب تأخرهم عن دفع الضرائب أو مخالفة أوامر الإقطاعي^(٣).

- ضريبة المغالق: فرضت سنة ١٩٠٥، كانت نسبتها ٢% من الدخل السنوي للأبنية التي تعطي دخلاً مثل معامل الحياكة، والطواحين، والدكاكين، كما كانت السلطنة تستوفي ضريبة عن الأراضي المشجرة على النحو الآتي^(٤):

نوع الضريبة	مقدارها		نوع الضريبة	مقدارها	
	بارة	قرش		بارة	قرش
عن مائة شجرة زيتون.	٣٠	١٨	عن مائة شجرة توت.	٢٠	٧
عن مائة شجرة سفرجل.	٢٠	٧	عن مائة شجرة تين.	٢٠	٧
عن مائة شجرة حور.	٣٠	٣	عن مائة شجرة جوز.	٠	٣٠٠
عن مائة شجرة دوالي.	٣٠	٣	عن كل مساحة كائنة بين الأشجار قابلة للزراعة.	٢٠	٧
عن كل أرض تحرت على زوج فدان.	٢٠	٦٢			

و على الرغم من الأوضاع الخطيرة التي كان يمر بها الجبل عشية الحرب الأهلية سنة ١٨٤١ تمكن القنصل البريطاني ريتشارد وود، وفي أثناء تواجده في الآستانة، وبالاتفاق مع الباب العالي من فرض

١- عوض: مرجع سابق، ص ١٧٧.

٢- الأسود، إبراهيم: تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مطبعة القديس جاورجيوس، بيروت، ١٩٢٥، ص ٢٩٢.

٣- بو عماد: مرجع سابق، ص ٣٨ - ٣٩ - ٤٠.

٤- حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤٥ - ٢٤٩.

ضريبة على الجبل، ومقدارها ٣٥٠٠ كيس^(١)، خصص منها مبلغ ٢١٠٠ كيس لتغطية نفقات الجبل ويسلم الباقي لخزينة والي صيدا على ثلاثة أقساط^(٢)، و لكن سكان الجبل رفضوا تلك الضريبة، وأعلنوا بأنهم لن يدفعوا إلا الأموال المخصصة للآستانة، وقيمتها ١٤٠٠ كيس، حيث رفع الأهالي العرائض من أجل ذلك يشكون فيها (من نقص محصول الحرير والعنب، ومن فقر الجبل، وأنه برغم ذلك ازدادت رسوم الجمارك على المنتجات، وبخاصة على التبغ بحيث لم يجدوا مشترين للمحصول، وكان منهم من يضطر لعمل طبخة دون ملح بسبب غلاء هذه المادة، والأمر نفسه على الخراف والماعز، وأن السبعة آلاف كيس لم تكن موضوعة أبداً عليهم، وأن ما يدفعونه يتجاوز كثيراً هذا الرقم؛ لأن أعمال المسح التي يجب أن تتم قبل دفع الضرائب تحتاج إلى عدة سنوات، وهم ليسوا أغنياء بحيث يقدرّون على دفع الضرائب خلال هذه المدة ليعوضوا بعد سنوات^(٣)، ولكن العثمانيين لم يتراجعوا عنها حيث وزعت هذه الأموال على أقاليم جبل لبنان ومقاطعاته^(٤) .

ونلاحظ مما سبق مدى التدخل الأوربي في سياسة الدولة العثمانية، والدور الكبير الذي لعبه القناصل في ذلك.

جاء في المادة الثانية من النظام الأساس للمتصرفية سنة ١٨٦١ بأن (مجلس إدارة الجبل مكلف بتوزيع الضرائب، والبحث في إدارة موارد الجبل، ونفقاته، وتبيان آرائه الشورية في المسائل التي يعرضها عليه المتصرف كلها)^(٥).

كما نصت الماد السادسة عشرة منه بأن الباب العالي يحتفظ بحق تحصيل ٣٥٠٠ كيس بواسطة حاكم جبل لبنان، وهي قيمة المال المفروض عليه - الذي يجوز ارتفاعه حتى يصل إلى ٧٠٠٠ كيس متى سمحت الظروف - وخصص هذا المال لمصاريف إدارة الجبل ونفقات منفعه العمومية، والفائض عن ذلك يعود إلى خزينة الدولة، وفي حال كانت المصاريف العامة الضرورية لسير الإدارة بانتظام تزيد على مجموع الأموال المفروضة، يقع على عاتق خزينة الدولة أن تؤمن ذلك النقص، وبما أن البكاليك أو محاصيل الأملاك الهمايونية هي مستقلة عن الأموال المفروضة فهي تدفع لصندوق جبل

١- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٣٠٨.

٢- الخازن: مصدر سابق، ج ١، ص ٥٥ - ٥٩.

٣- طرين: لبنان منذ عهد المتصرفية، ص ٥٩.

٤- غنام: المرجع السابق، ص ٣٠٩.

٥- بلغت الأموال الأميرية التي فرضت على الجبل ما يقارب ١٧٥٠٠٠٠ قرش موزعة على مقاطعاته، ملحق رقم (٧).

لبنان من أصل المطلوب لهذا الصندوق من خزانة الدولة، أما فيما يخص الأشغال العمومية، والنفقات الأخرى غير الاعتيادية فمن المعلوم أن الباب العالي لا يكون ملزماً إلا إذا كان قد وافق عليها^(١).
خلال حكم المتصرف داود باشا ١٨٦١-١٨٦٨ أراد أن تصل مقدار الضريبة إلى ٧٠٠٠ كيس، وذلك خلال الجلسة التي عقدها مجلس الإدارة في سنة ١٨٦١، لكن بعض المناطق في جبل لبنان وافقت على الضريبة الجديدة مثل المناطق الجنوبية المختلطة أما المناطق الشمالية المتعاطفة مع يوسف بك كرم رفضت القبول بها^(٢)، وعندما جاء المتصرف فرنكو باشا حاول إيجاد توازن في الموازنة العامة، فأصدر أمره بحسم ٥% من مرتبات الموظفين، كما أوجد رسماً على الدعاوى في المحاكم، ورسمًا للعقوبات، و رسم ٥% على تحصيل الديون^(٣).

وخلال حكم المتصرف رستم باشا ١٨٧٣-١٨٨٣ لمس تراكمًا كبيراً في الديون على صندوق المتصرفية، فحاول زيادة الضريبة فوق السبعة آلاف كيس، وذلك من خلال فرض ضريبة التمغة أي ضريبة الطابع الورقي، ومقدارها ألفا كيس إلا أن معارضة مجلس الإدارة حال دون ذلك، وشهد عصر واصا باشا ١٨٨٣-١٨٩٢ تفشي الرشوة نتيجة لتخفيض الرواتب، لكن الأوضاع تفاقمت سوءاً عندما فرض كوبليان صهر المتصرف واصا باشا على الناس الابتزاز، والرشوة^(٤) حتى وصف بتنين جبل لبنان^(٥)، وما لبث أن تحسن الوضع المالي في عهد نعوم باشا ١٨٩٢-١٩٠٢ حيث تم وفاء

١- خاطر: عهد المتصرفين، ص ٣٧٣-٣٧٨-٣٧٩.

٢- رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٨١.

٣- طرين: لبنان منذ عهد المتصرفية، ص ٢٧٧.

٤- خاطر: المرجع السابق، ص ١٤٨.

٥- تنين جبل لبنان: هو الذي زاد من سوء إدارة المتصرفية مدة حكم واصا باشا، فكان لا يعرف إلا الدراهم ولا يعمل إلا حياً للمال، فأرسلت بحقه رسالة إلى جريدة الأهرام وهذا نصها (ظهر في جبل لبنان تنين قصير القامة أسمر اللون ذو لحية سوداء ينظر إلى جميع الجهات في آن واحد لا يأكل لحماً ولا نباتاً، بل معدناً وخصوصاً معدني الفضة والذهب ويجوب جبل لبنان بالطول والعرض، ويستخرج المعادن من الجيوب لا من الأرض إذا أكل ضحك ولعب ومسح شاربيه وفرك يديه، وبالعكس إذا لم يقدم له الطعام هاج وماج ورفس الأرض برجليه، لم يظهر حيوان مثله في الكون وقيل إنه من الحيوانات التي ظهرت قبل الطوفان، لأنه عندما جمع نوح عليه السلام الحيوانات في الفلك، وطاف على وجه الماء استقرت السفينة على جبال آراراط في أرمينيا، فخرج هذا الحيوان قبل الجميع نظراً لشراسته، وفلت من السفينة، وبقي في بلاد أرمينيا فسأل دولتو واصا باشا أن يقي البلاد منه، وله من أهلها الدعاء والممنونية. شاكر الخوري: مصدر سابق، ص ٣٨٧.

وفاء دين بقيمة خمسة آلاف ليرة إلى البنك العثماني، وفي سنة ١٩١٣ رفض مجلس الإدارة الاستجابة لطلب الباب العالي بفرض ضرائب جديدة على السكان^(١).

٤ - طرق استثمار الأراضي الزراعية :

استغل كبار الملاكين عدم قدرة الفلاح على دفع الضرائب المفروضة على ملكيتهم الزراعية الصغيرة، حيث سيطروا على مساحات واسعة من تلك الأراضي بموجب عقود شراكة متنوعة منها (المزارعة - المساقاة - المغارسة)، أسفر عن ذلك تثبيت الملكية العقارية للمتنفذين، وكبار الملاك وتحوّل المزارعون إلى عمال في الأراضي التي كانوا يملكونها^(٢).

أ - شركة المزارعة :

إذا أراد المزارع الشريك ترك الأرض التي يعمل بها لسبب من الأسباب، فعليه أن يأتي بمزارع آخر ينوب عنه في جني المحصول أو يتنازل عن حصته ليختار صاحب الأرض الشخص أو المزارع الذي يناسبه، رغم أن الفلاح هو الركيزة الأساسية للإنتاج، حيث كانت الحاصلات الزراعية ومردودها المالي حسب عقود المزارعة توزع بالعدالة بين صاحب الأرض والفلاح، ولكن في الواقع لم تكن حصة الفلاح تكفيه للموسم التالي، على الرغم من حصوله على القليل من المحصول فكان عليه تسديد ثمن البذار، و ثمن الحيوانات لصاحب الأرض ، وتتضمن شراكة المزارعة عدة أنواع منها :

- المناصفة: يقدم المالك الأرض ونصف البذار مقابل أن يقدم الفلاح قوة عمله، وعمل حيواناته بالإضافة لأدوات العمل، ونصف البذار، وتكون الضرائب بالمناصفة بين المالك والفلاح^(٣)

- المربعة: (وهي عقد شراكة بين صاحب الأرض والفلاح الذي يبيع قوة عمله السنوية لإنتاج سلعة زراعية غالباً ما تتوجه إلى السوق)^(٤)، وبناءً على ذلك يقدم المالك للفلاح الأرض، والبذار وحيوانات الحراثة، ويشارك بمصاريف الحصاد مع تأمين سكن للفلاح، مقابل حصوله على ثلاثة أرباع الإنتاج بينما يأخذ الفلاح الربع، ولذلك سمي بعقد المربعة.

١ - غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٣٢٤.

٢ - ضاهر: الدولة والمجتمع، ص ١٧٦

٣ - سعيد: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في الأرياف اللبنانية، ص ٥٧-٥٩.

٤ - كوثراني: مساهمة في دراسة أصول، ص ٢٧ .

- نظام الثالثة: يقدم المالك الأرض فقط بينما يقدم الفلاح قوة عمله، وعمل حيواناته، وتأمين البذار ويقوم بدفع الضرائب المفروضة على الأرض مقابل حصول الفلاح على ثلثي الإنتاج، وحصول صاحب الأرض على الثلث^(١).

- نظام الخامسة: يقدم المالك؛ الأرض، والسكن، ويدفع الضريبة بينما يقدم الفلاح النفقات الأخرى وبعد نهاية الموسم يسترجع المالك الضريبة العشرية و مقدارها ٢٠% ثم يأخذ الخمس، ويسلم الباقي للفلاح^(٢)، وبوجود تلك الأنواع من أنظمة المزارعة تم استغلال الفلاح من قبل كبار الملاك. ومن الجدير ذكره؛ كان مالك الأرض يحدد نوع المزارعة حسب مصلحته معتمداً بذلك على جودة الأرض وطبيعتها الجغرافية، ونوعية مزرعتها، وكلما كانت الأرض مروية، وخصبة كانت حصة المالك أكبر، ولا يقدم شيئاً سوى البذار كسلفة يستردها على البيدر، وتميزت عقود المزارعين بأنها شفوية^(٣) وتصف سميليا نساكيا الحالة التي وصل إليها الفلاح من خلال تلك الأنظمة: (أصبحت علاقات التبعية العقارية لزراعة الأرض أكثر تعقيداً مع إدخال الاستغلال الجائر المترتب على إقراض المزارعين الحبوب وإعارتهم وسائل العمل، ومواشي الجر، ولم تكن الدولة تنظم العلاقات بين مالك الأرض، والمزارع، رغم أن الشرع الإسلامي كان يعترف بقانونية أشكال محدودة من الإيجار وحملت هذه العلاقات طبيعة الملكية الخاصة ثم أصبحت أكثر تعقيداً مع تحولها إلى علاقات اقتصادية)^(٤).

لا يحق للفلاح تربية الخيول أو لبس لباس الأفندية والإقطاعيين، حتى نساء هؤلاء الفلاحين يقمن بالأعمال المنزلية في بيوت الملاكين الكبار^(٥).

عدّ الفلاح العصب الرئيس لأي عقد شراكة، حتى العقود المبرمة بين الفلاح، وصاحب الأرض تبني من الناحية النظرية على أساس الاحترام المتبادل بين المالك والفلاح، واحترام حقوق كل واحد منهما حسب ما تم الاتفاق عليه، ولكن من الناحية العملية كان الإقطاعي أو صاحب الأرض يقوم باستغلال الفلاح أبشع استغلال، حيث لم يترك للفلاح إلا ما يسد رمقه و رفق عائلته .

١ - سعيد: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في الأرياف اللبنانية، ص ٦٠-٦١.

٢ - حنا: القضية الزراعية، ص ١٢٠.

٣ - غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٢٨١.

٤ - سميليا نساكيا، إيرينا: البنى الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث، ترجمة يوسف عطا الله، تقديم مسعود ضاهر، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٣١.

٥ - سعيد: المرجع السابق، ص ٦٥.

ب - شراكة المساقاة^(١) : يقدم فيها المالك للفلاح الأرض المشجرة مقابل أن يقدم الفلاح قوة عمله وعمل حيواناته، وأدوات العمل، وعليه أن يدفع ثمن الإنتاج المتوقع سلفاً، وبالإضافة لذلك كانت الضرائب تقع على عاتق الفلاح، ويختلف عقد المساقاة باختلاف نوعية الأشجار؛ فبالنسبة للكرمة والتين، والتوت عقد سنوي، أما بالنسبة للزيتون سنتان، أما بالنسبة للحوار، والصفصاف أكثر من سنتين وكان الفلاح المساقى يضطر للاستدانة بفائدة مرتفعة لتسديد قيمة حصة مساقاته سلفاً حتى لا يخسر عمله، ومورد رزقه، وكان يقوم بتشغيل أفراد أسرته .

شكل الدير مركزاً اقتصادياً مهماً من خلال شرائه لإنتاج الفلاحين الساقين، وتزودهم بالمواد الغذائية لاجتياز فصول الجفاف والصقيع، وبذلك حافظ على استمرار اليد العاملة، وكان أفضل ما يحصل عليه الساقى؛ هو تأمين تكاليف العيش لبقائه حياً، وكان كبار ملاك الأراضي يقومون بتسليم المساقى أراضي سليخ وبوراً لغرسها بالكرمة، والتوت، والأشجار المثمرة لمدة طويلة الأمد، وعلى شروط عقد المساقاة نفسها، وبذلك ضمن المالك استمرارية موارده المالية، والاقتصادية، وتبعية الفلاح له^(٢).

ونستنتج من كل ما ذكر الاستغلال الذي كان يتعرض له الفلاح، وعدم التزام كبار الملاك بأي شرط من شروط أي عقد يعقدونه مع الفلاحين، ومدى الضعف الذي وصل إليه الفلاح حيث لم يكن بمقدوره مواجهة هذا الظلم الذي يتعرض إليه من قبل صاحب الأرض .

١ - ونقدم مثلاً على شراكة المساقاة وثيقة رقم (١)، ملحق رقم (١) : و هي عبارة عن عقد مساقاة بين الأمير أمين أرسلان، وأحد فلاحي بلدة زغديا سنة ١٨٤٨ ، وهذه ترجمتها محافظاً على صياغة الوثيقة (سبب تحريره أنه في يوم تاريخ أدناه قد سُلِّمنا من سعادة أفندم الأمير أمين أرسلان القائم مقام على الموحدين الأفخم خمسة أماكن ملك لسعادته الكائنات في قرية زغديا تسليماً على سبيل الشركة المساقاة بموجب حجة بيننا من سعادته معلنة بذلك. نتعهد بالدفع لسعادته ثمن ذلك ٣٧,٥ قرش، وندفع نصفها ١٨ قرشاً و ٣٠ بارة في بداية الموسم، والباقي في نهايته وفي أي وقت يشاء يمكنه إخراجنا من الأرض، ويقدر عملنا الذي قمنا به، ويدفع لنا ثمن الربع، وقد تعهدنا أن نعمل كل الأعمال المترتبة علينا، ونأخذ نصف المحصول، والنصف الآخر لسعادته، وقد حررنا على أنفسنا بهذا السند طوعاً وبالرضى والاختيار). حرر في ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٦٥هـ. محفوظات الدكتور عبد الله سعيد - صيلما. غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٣٣٥.

٢ - سعيد: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في الأرياف اللبنانية، ص ٦٥-٧٠-٧٤.

وهناك أيضاً عقد الموارقة: وعرف بذلك لاقتران تربية دودة القز بورك شجر التوت، حيث يقوم الفلاح بالاهتمام بموسم الحرير، وبأوراق شجر التوت، وتقديمها علفاً لدودة القز، وتأمين جميع الأعمال حتى نهاية الموسم لقاء حصة تتراوح بين الربع والثالث^(١).

ج- شراكة المغارسة: يقدم المالك بموجبه للفلاح عقاراً بوراً ليقوم الفلاح باستصلاحها، ويتم اقتسام منتجات الأرض حسب عقد شراكة المزارعة، وكانت عقود المغارسة طويلة الأمد، فبالنسبة لمغارسة شجر التوت من ثلاث إلى خمس سنوات، أما بالنسبة لمغارسة الكرمة فمن ثلاث إلى ست سنوات ومن سبع إلى ثماني سنوات للتين، ومن عشر إلى اثني عشرة سنة للزيتون^(٢). نستنتج من ذلك بأن شراكة المغارسة أسهمت في إيجاد الملكيات الصغيرة، كما أدت دوراً كبيراً في اقتصاد الجبل، من خلال زراعة الأشجار المثمرة وزيادة نسبة إنتاج الدخل العام .

عدّت عقود الضمان، والإيجار من أكثر العقود انتشاراً في جبل لبنان، حيث اعتمدت على استثمار الفلاح للأراضي الزراعية، والمشجرة واستغلال إنتاجها لمدة من الزمن، وعلى المستأجر دفع كامل التزامه سلفاً أو تسديده على أقساط بالاتفاق مع المالك^(٣).

إن أصحاب الملكيات الصغيرة من الفلاحين، و الملاكين الكبار الذين لا يقدرّون على حصاد مواسمهم يقومون بتأجير المحصول مقابل مبلغ نقدي، أو حصة من الإنتاج، وذلك بعد تقدير أو تخمين الموسم من قبل الوكيل الذي كان يقوم بهذه المهمة^(٤)، ولتسهيل طريقة الدفع كانت إيجارات الأرض المزروعة حبوباً تدفع حبوباً، وبساتين الزيتون زيتاً، وأشجار التوت حريراً^(٥)، ولذلك كانت تتم عملية تخمين الأرض قبل استلام الفلاح لها^(٦).

٥- أدوات الإنتاج: خضع الفلاح لسيطرة الإقطاعيين، وأساليبيهم المتنوعة في الاستغلال، كما خضع للأساليب الزراعية البدائية، ومعلوماته الزراعية الضعيفة بالإضافة لخضوع زراعته للعوامل

١- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٣٠.

٢- ضاهر، مسعود: تاريخ لبنان الاجتماعي ١٩١٤ - ١٩٢٦، دار الفارابي، بيروت، ط ١، ١٩٧٤، ص ٢١٢.

٣- سعيد: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في الأرياف اللبنانية، ص ٩٢.

٤- دفاتر حسابات حاصلات وقف المدرسة الدرزية، دفتر ١، ص ١١ - ٣٣. سعيد: المرجع نفسه ص ٩٥. ملحق

رقم (٢)

٥ - بولياك: مرجع سابق، ص ١٧٧ - ١٧٨.

٦- سعيد: المرجع السابق، ص ٩٤.

الطبيعية من آفات، وأمراض زراعية، وعدم كفاية الأمطار، وموجات البرد والرياح^(١)، حيث عدّت الأدوات الزراعية المستعملة تقليدية وبدائية ومن أنواعها: المحراث، المعول، الرفش، المجرفة، القدوم، وتم حرث الأرض بالمحراث الذي تجره الثيران^(٢)، وكان هناك نوعان للسكة المستخدمة في الحراثة النوع الأول: السكة الحديدية الكبيرة للأرض المروية، والتربة الثقيلة، والأخرى: حديدية صغيرة ذات جسم خشبي للتربة الخفيفة^(٣)، كما استعملت المناجل على اختلاف أنواعها لحصاد الموسم، ومنها: الديمرج: المنجل الكبير الواسع، والخالوش: المنجل الوسط، والقالوش: المنجل الصغير.

وكانت عملية فصل الحب عن التبن تتم على البيدر بعد درس السنابل بواسطة آلة يسمونها النورج^(٤) كما استخدم الفلاح البغال والحمير في عمليات الدّراسة على البيدر.

نستنتج مما سبق أن الأدوات الزراعية التي كان يستخدمها الفلاح أدوات بدائية وبسيطة، ولا يتطلب صنعها، واقتناؤها جهداً كبيراً، أو كلفة باهظة، ولكنها كانت السبب الأساسي بتراجع الزراعة.

٦- أسلوب الإنتاج في جبل لبنان: من الناحية الجغرافية لم تكن أراضي جبل لبنان الجرداء أو الحشرية هم العثمانيين كثيراً بالنظر لقلّة مواردها، ولوعورة مسالكها، ويمكن عدّ الجبل من الناحية النظرية تابعاً للدولة العثمانية، ولكنه من الناحية العملية كان بعهدة الإقطاعيين الملتزمين تجاه الدولة العثمانية، كما أن التركيب الطائفي للجبل هو الذي أسهم في تثبيت الملكيات الطائفية؛ إذ كان الجبل هو المنطقة الوحيدة التابعة للدولة العثمانية، ويتمتع بحق الملكية التامة لأراضيه^(٥). ومن الجدير ذكره كان هناك صراع سياسي دائم بين الدولة العثمانية، وبين أمراء الجبل من الحكام المحليين، إذ كانت الدولة العثمانية تعمل على خلع الأمراء وإحلال آخرين ممن يستطيعون السيطرة السياسية على الجبل

١- عيساوي، شارل: التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب ١٨٠٠-١٩١٤، ترجمة رؤوف حامد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١٩٩٠، ١، ص ٤٤١.

٢- بو عماد: مرجع سابق، ص ٦٤.

٣- القاسمي، محمد سعيد- القاسمي، جمال الدين - العظم، خليل: قاموس الصناعات الشامية، تحقيق ظافر القاسمي دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٨، ص ٩٥-٩٦.

٤- النورج: هي عبارة عن ألواح خشبية من الصنوبر أو السنديان جمعت بعضها إلى بعض، ووضع في أسفلها قطعة قطعة من حجر الصوان. غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٤٥.

٥- شاهين: مرجع سابق، ص ٦٧ - ٧٧.

ويتكفلون بدفع أنواع الضرائب كافة^(١)، وتكوّن النظام الإقطاعي في جبل لبنان من الفلاح الذي يزرع الأرض، ويربي الحيوانات وعلى رأس ذلك النظام بيوت أرستقراطية درزية ومارونية، ويعرف زعماء هذه البيوتات بالمشايخ^(٢) حيث (كان الشيخ يدير شؤون مقاطعته، ويلتزم بدفع الضرائب المترتبة عليها للأمير الجبل الذي يتربع فوق هذا البناء الإقطاعي الذي له الرياسة العليا على العامة والمشايخ، والأمراء، ويلتزم هذا الأمير أمام باشا صيدا بدفع الضرائب المستحقة للدولة على المقاطعات التي يحكمها بنفسه أو بواسطة أتباعه من المقدمين^(٣)، والمشايخ الإقطاعيين^(٤)).

نستنتج مما سبق: بأن نمط الإنتاج في الجبل كان إقطاعياً، وتمركزت ملكية الأراضي فيه عبر الصراعات السياسية، والاجتماعية بيد الإقطاعيين.

٧-الأوزان والمكاييل: إن وحدة الوزن المعتمدة في جبل لبنان هي الأقة زنة ٤٠٠ درهم أي ما يعادل ١,٢٨٣ كيلو غراماً^(٥)، وهي تنقسم إلى ست أوقيات، كل منها ٦٦,٦ درهماً أو ٢١٤ غراماً أي أن الرطل كان يعادل أفتين، والقنطار يعادل ١٠٠ رطل^(٦)، كما اعتمد المد كوحدة كيل للحبوب فمد القمح يساوي عشرين كغ، ومد الشعير بين ١٤ - ١٦ كغ، ومد العدس بين ١٦ - ٢٢ كغ، ومد الذرة بين ١٥ - ١٨ كغ^(٧)، وفي المواد الثمينة؛ كالذهب والفضة والحرير استعمل الدرهم كأساس للوزن، وكان يساوي ما يقارب ٣ غرامات^(٨)، وبذلك كانت الوحدة الأساسية للوزن في جبل لبنان الأقة، وأجزاؤها الدرهم والأوقية وأضعافها (الرطل والقنطار) .

١- صليبي: مرجع سابق، ص ٣١.

٢- عوض: مرجع سابق، ص ٢٢٥.

٣- المقدمة: رتبة عسكرية في الأساس ويأتي المقدم قبل الشيخ وبعد الأمير، و اختص بها بنو مزهر، وآل الصواف اللذين تمكن منهما آل أبي اللمع، وقوضوا سلطتهم في منطقة المتن، وآل أبي اللمع كانوا مقدمين قبل أن يصبحوا من طبقة الأمراء. اليازجي: مرجع سابق، ص ٢٠.

٤- عوض: المرجع السابق، ص ٢٢٥.

٥- أوين، روجر: الشرق الأوسط في الاقتصاد العالمي ١٨٠٠ - ١٩١٤، ترجمة سامي الرزاز، مؤسسة الأبحاث الأبحاث العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠، ص ٢٤٥.

٦- سعيد: الأرض والإنتاج، ص ١٥٨.

٧- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٤٩.

٨- عيساوي: مرجع سابق، ص ٦٨٧ - ٦٨٨.

أصدرت الدولة العثمانية سنة ١٨٦٩ قانون المساحات والموازين والكيول^(١) من أجل توحيد الأوزان والمكاييل على أراضيها، ومنعت من استعمال المكاييل والموازين القديمة كالمد والكيل، لكنها جوبحت بمعارضة قوية في الجبل، وظلت المكاييل والأوزان سارية المفعول حتى نهاية الحرب العالمية الأولى^(٢).

نستنتج من كل ما سبق الأسباب التي أدت لإعاقة تقدم الزراعة:

- إحساس الفلاح، وشعوره بأن الأرض التي يعمل بها ليست ملكاً له، رغم تعب وجهده في استصلاحها سوف تنتقل إلى فلاح آخر أكثر حظوة لدى صاحب الأرض، وسيكون من نصيبه قطعة أرض بور يقع على عاتقه عبء استصلاحها.

- كثرة الضرائب المفروضة على الفلاح، أسفر عن حصوله على القليل من الإنتاج.

- بدائية وسائل الإنتاج التي اعتمدها الفلاح.

٨- أهم المحاصيل الزراعية:

شكلت الزراعة العامود الرئيس والأساس لغالبية سكان جبل لبنان من أجل توفير أساليب العيش حيث عملوا على استصلاح الأراضي الموات، والأحراج، وحولوها إلى أراضٍ صالحة للزراعة^(٣)، ولما كانت تلك الأراضي لا تصلح لأنواع المزروعات جميعها؛ بسبب طبيعتها الجغرافية فقد خصصت الأراضي السليخ لزراعة الحبوب، والتين، والزيتون، والتبغ، بينما خصصت الأراضي المروية لزراعة الخضراوات^(٤).

ومن أهم تلك المزروعات :

أ - التبغ: جاءت زراعته إلى بلاد الشام في أوائل القرن السابع عشر، ثم ما لبثت أن انتشرت في جبل لبنان، لا سيما بعد قيام أحمد باشا الجزار باحتكار القطن، وفرضه رسوماً باهظة على زراعته؛ مما أدى إلى انصراف السكان عن زراعته، وتحولهم إلى زراعة التبغ^(٥)، حيث قدر إنتاج الجبل من التبغ

١- الدستور: مصدر سابق، ص ٥٠١.

٢- عيساوي: مرجع سابق، ص ٦٨٧.

٣- سميليا نسكايا: سورية ولبنان، ص ٢٩٠-٢٩١.

٤- سميليا نسكايا: الحركات الفلاحية، ص ٥٧.

٥- عيساوي: المرجع السابق، ص ٤٤٨.

في سنة ١٨٥٠ بثلاث مئة ألف أفجة^(١)، وفي سنة ١٨٧٩ بحوالي ٣١٥٨٠٠ أفجة^(٢)، ولكن ما لبث أن انخفض هذا الإنتاج بعد تشكل شركة التبغ العثمانية سنة ١٨٨٣، ومزاحمة التبغ العثماني للتبغ المحلي فوصل الإنتاج قبيل الحرب العالمية الأولى إلى حدوده الدنيا ٨٥٠٠ أفجة، وبلغت مساحة الأراضي المزروعة في عهد المتصرفين ٢٥٠٠٠ دونم^(٣).

ب- زراعة الزيتون: انتشرت زراعته في مقاطعات الشوف، والمناصف، والمتن، والكورة، وجزين والشويفات^(٤)، وتحتاج زراعة الزيتون لحراثة الأرض، وتسميدها بروث الحيوانات، ويعطي الزيتون موسماً واحداً في السنة^(٥)، وقدرت مساحة الأراضي المزروعة بالزيتون سنة ١٨٦١ بحوالي ثلاثة آلاف هكتار، وبلغ الإنتاج حوالي عشرين ألف طن من الزيتون و ٦٥٠٠ طن من الزيت^(٦)، ومع نهاية المتصرفية وصلت مساحة الأراضي المزروعة إلى ١٢٧٠٠ هكتار، وقدر القنصل الروسي بتكوفيتش إنتاج الزيتون سنة ١٨٧٩ بـ ٧٨٠٠٠ طن من الزيتون و ٤٨٥٠ طن زيت بقيمة ٧٧٥٠٠٠٠ قرش^(٧) وبلغ دخل الزيتون في سنة ١٩٠٠ ما يقارب ١٣ مليون قرش^(٨).

ونلاحظ من خلال زيادة مساحة الأراضي المزروعة بالزيتون من ٣٠٠٠ هكتار إلى ١٢٧٠٠ هكتار مدى اهتمام المتصرفين بهذه الزراعة لما لها من قيمة غذائية وتجارية.

ولكن على الرغم من ملائمة أراضي جبل لبنان لزراعة الزيتون إلا أن شجرة الزيتون لم تنل الاهتمام ذاته الذي نالته زراعة التوت؛ وذلك بسبب وجود السوق التجارية الأوروبية، وخصوصاً

١- أفجة: عملة فضية عثمانية، وفي سنة ١٨٤١ كان كل ١٢٠ أفجة تساوي قرشاً واحداً. غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٣٦.

٢- بتكوفيتش، قسطنطين: لبنان واللبنانيون وثيقة تاريخية نادرة، طبع عام ١٨٨٥ و تضمنت مذكرات القنصل الروسي في بيروت خلال سنوات ١٨٦٩-١٨٨٢، قدمت له الباحثة سميليا نسكايا، نقله إلى العربية يوسف عطا الله، راجعه مسعود ضاهر، دار المدى، بيروت، ط ١، ١٩٨٦، ص ٩٤.

٣- حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٤١٨.

٤- غنام: المرجع السابق، ص ٣٧.

٥- بو عماد: مرجع سابق، ص ٤٨.

٦- سعيد، عبد الله إبراهيم: الأرض والإنتاج والضرائب في متصرفية جبل لبنان والبقاع ١٨٦١-١٩١٤ دراسة مقارنة في التاريخ، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٢٨.

٧- بتكوفيتش: المرجع السابق، ص ٩٢.

٨- عيساوي: مرجع سابق، ص ١٣٨.

فرنسا، وهيمنتها على تجارة الحرير؛ فكان لشجرة التوت الدور الاقتصادي الأبرز لدخولها في صنعة الحرير، وبالإضافة إلى ذلك نقص الرأسمال الزراعي الموظف في استثمار زراعة حقول الزيتون، وبسبب رغبة الإقطاعيين، والتجار بالربح السريع لأن الاعتناء بشجرة الزيتون ورعايتها يأخذ مدة طويلة وفيما يلي يقدم الجدول الآتي أسعار بيع الزيت في الأسواق التجارية ^(١):

سعر الرطل	بين سنتي	سعر الرطل	بين سنتي	سعر الرطل	بين سنتي
١٥ قرش	١٨٦٢-١٨٦٥	١٤,٧٥ قرشاً	١٨٦٦-١٨٧٠	١١ قرشاً	١٨٧١-١٨٧٥
١٢,٥ قرش	١٨٧٦-١٨٨٠	١١,٥ قرشاً	١٨٩١-١٨٩٥	١٢,٥ قرشاً	١٨٩٦-١٩٠٠
١٣,٥ قرش	١٩٠١-١٩٠٥	١٢ قرشاً	١٩٠٦-١٩١٠	١٧ قرشاً	١٩١١-١٩١٤

ونلاحظ من خلال تطور أسعار بيع الزيت بأن الأسعار متقاربة نوعاً ما، إذا ما استثنينا فترة الحرب العالمية الأولى، ومرد ذلك إلى عدم الاهتمام الكافي بشجرة الزيتون إذا ما قورنت بشجرة التوت، ولعدم توفر الأسواق الأوربية لتصريفه نتيجة صعوبة تخزينه، ولفقدانه قيمته الغذائية مع مرور الزمن.

ج-زراعة التوت: حظيت زراعة التوت باهتمام الفلاحين، والمزارعين في جبل لبنان لارتباطها بصناعة الحرير، واهتمام الدول الأوربية بتلك الصناعة، وزيادة الطلب عليها، ورواجها بالسوق العالمية حيث احتلت زراعة التوت المرتبة الأولى بين المزروعات ^(٢)، والذي يميز شجرة التوت عن غيرها من المزروعات إعطاؤها موسمين في السنة، فموسم الربيع يستخدمه الفلاح غذاءاً لتربية دودة القز، وموسم الخريف تستعمل أوراقه كعلف للحيوانات ^(٣)، وتحتاج زراعة التوت إلى استصلاح التربة وحرثها مرتين على الأقل سنوياً، وتتم تربية دودة القز بوضع البذور في فصل الشتاء في مكان دافئ، ليفقس عند حلول فصل الربيع في مكان خاص يسمى المنحل، وتتم تربية الدود الفاخص على أطباق خاصة مصنوعة من القصب، وتتم تغذيته بورق التوت البري الطري بعد أن يقطع قطعاً صغيرة، وهكذا إلى أن يتحول الدود إلى شرانق ومن ثم تنقل الشرانق إلى معامل الحرير فتصنع منها المنسوجات الحريرية ^(٤) الحريرية ^(٤) قدر عدد أشجار التوت في سنة ١٩٠٠ بحوالي ٢٨ مليون شجرة، ومن العوامل التي

١- سعيد: الأرض والإنتاج، ص ١٨٤.

٢- سميليا نسايا: سورية ولبنان، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

٣- حقي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١٨.

٤- بو عماد: مرجع سابق، ص ٤٤.

ساعدت على انتشار زراعته هو ملائمة أراضي الجبل لتلك الزراعة^(١)، ومن الملاحظ الاهتمام الزائد بزراعة التوت وذلك بسبب سهولة زراعتها مقارنة مع زراعة الزيتون، ولإعطائها موسمين في السنة الواحدة وللأرباح الطائلة التي تجنيها بسبب دخولها في الصناعة .

د-زراعة الحبوب: من الأسباب التي أدت إلى انخفاض إنتاج جبل لبنان من الحبوب هو طبيعة الجبل الصخرية شديدة الانحدار، قدرت مساحة الأراضي المزروعة بالحبوب (قمح، شعير، ذرا شوفان) بحوالي ١١٥ ألف دونم تنتج ما يقارب ٢٢٥٠ طناً^(٢)، ويشير القنصل الروسي بتكوفيتش إلى أن إنتاج الحبوب في سنة ١٨٧٩ قدر بحوالي ٧٢٣٥٢٠ مداً^(٣)، وفي سنة ١٨٨٠ قدر إنتاج الجبل من الحبوب بحسب تقديرات مجلس الإدارة ٣٨٧ ألف مد من الحبوب، لكن اضطر الجبل إلى استيراد مليون و ٦٠٠ ألف مد في كل سنة؛ بسبب نقص الإنتاج^(٤). وفيما يلي يقدم الجدول الآتي أسعار مد القمح:

بين سنتي	السعر بالقرش	بين سنتي	السعر بالقرش	بين سنتي	السعر بالقرش
١٨٦١	١٣	١٨٦١-١٨٦٥	١٣,٥	١٨٦٦-١٨٧٠	١٣
١٨٧١-١٨٨٠	١٥	١٨٨١-١٨٩٠	١٤,٧٥	١٨٩١-١٨٩٥	١٦,٥
١٩١١-١٩١٤	٢١				

إن التقارب بالأسعار يدل على أن الإنتاج متساو، مما انعكس على الأسعار وجعلها ثابتة، إذا ما استثنينا إحصاء سنة ١٩١٤ الذي شكل ارتفاعاً ملحوظاً بسبب الحرب.

تراوحت أسعار مد الشعير بين أعوام ١٨٦٠-١٩٠٠ من ٧ إلى ٩ قروش وكانت الأسعار خلال تلك الفترة شبه ثابتة، ولم تصل إلى أسعار القمح المرتفعة، أما قبيل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨، وفي أثنائها شكّل قفزة نوعية في أسعاره حيث بلغ بين سنتي ١٩٠١-١٩٠٥ (٢,٥ قرشاً)، وفي سنتي ١٩٠٦-١٩١٠ (١٥ قرش)، وفي سنتي ١٩١١-١٩١٤ (١٧,٥ قرشاً)^(٥).

- ١- سعيد: الأرض والإنتاج، ص ١٢٢.
- ٢- سعيد: المرجع نفسه، ص ١١٠.
- ٣- بتكوفيتش: مصدر سابق، ص ٩١.
- ٤- رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٢٠٩.
- ٥- سعيد: المرجع السابق، ص ١٨٠-١٨٣.

٨ - الجراد وتأثيره في المحاصيل الزراعية:

ازدادت الأوضاع سوءاً في جبل لبنان بمنع السفن من دخول المرافئ، وعدم القدرة على الاتصال بالمغتربين، وقلة الأموال، ومنع العثمانيون من استيراد الحبوب، وسياسة الاحتكار التي اتبعتها التجار كل ذلك أدى إلى ارتفاع أسعار المواد التي يحتاجها الأهالي، ورغم هذه المصائب التي حلت بالسكان أسفر الشتاء القاسي، وتوقف الأمطار في أواخر شهر ذي الحجة شباط سنة ١٩١٥ واستمرار الهواء الحار طيلة عشرين يوماً، عن فتح الطريق أمام الجراد، وكان ذلك في أواسط نيسان واستمر حتى تموز ولم يغادر الأراضي حتى أفقدها خضرتها ومحاصيلها، وأسفر عن ذلك انتشار المجاعة، وتشريد الكثير من السكان، وتسبب بوفاة البعض^(١)، وللتقليل من الأضرار جند الجميع من رجال ونساء لمواجهة ذلك الأمر لكنهم لم يستطيعوا القضاء عليه إلا بشكل جزئي، ومما زاد الأمر سوءاً؛ هو تحول الجراد الزاحف إلى جراد طيار في ١٥ حزيران من السنة نفسها^(٢).

٩ - تربية الحيوان: لم يعرف جبل لبنان تربية الأبقار على نطاق واسع؛ بل كان الفلاحون يربون الأبقار والدواب كقوة عمل حيوانية للحراثة، واستخراج مياه الآبار، ولعصر الزيتون، وهي على نوعين: أبقار عمالة، والأخرى للبطالة، العمالة: مخصصة لأعمال الحراثة في الأرض، والبطالة: تشمل رؤوس الأبقار الفتية المخصصة لإنتاج الحليب^(٣). وفي سنة ١٨٧٩ قدر عدد رؤوس الأبقار بحوالي ٣٩ ألف رأس^(٤)، منها ١٢٥٠٠ عمالة^(٥).

وخصص الفلاحون جزءاً من بيوتهم لتربية الأبقار يسمونه (الباكي)، ولا يفصل بينهم، وبين أبقارهم إلا حائط صغير مصنوع من القصب، وفي حال خسارة الفلاح لأحد زوجي البقر الذي لديه؛ بسبب مرض، أو حادثة في العمل يضطر إلى عقد اتفاق شراكة مع فلاح آخر يسمى (عقد مجاملة)، وبموجبه يتعاون الفلاحون في حراثة أراضيهم شرط أن يعتني كل مالك ببقرة من تقديم الطعام، والرعاية، والسقاية، ويعملون في أثناء الموسم بالأجرة، ويتقاسمونها بالمنصفة، وفي حال كان عقد المجاملة بين الفلاح، والمالك الإقطاعي؛ فكان الفلاح يجبر على حراثة الأراضي التابعة لهم أولاً

^١ - خاطر: عهد المتصرفين، ص ٢٠٠.

^٢ - معطي: مرجع سابق، ص ٢٢٨.

^٣ - سعيد: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في الأرياف اللبنانية، ص ٨٤.

^٤ - بتكوفيتش: مصدر سابق، ص ٩٣.

^٥ - حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٣١.

ويسمح له بالعمل لدى الفلاحين أصحاب الأملاك الصغيرة شرط أن يقوم الفلاح بالعناية التامة بالبقرة، وفي حال مرضها أو موتها يتحمل وحده ذلك^(١).

قدرت أجرة الفلاحة اليومية لسنتي ١٨٩٠-١٨٩١، بـ ١٧ قرشاً وارتفعت لتصل إلى ١٨ قرشاً في شهر آذار سنة ١٨٩١ ثم انخفضت إلى ١٥ قرش في شهري نيسان وأيار سنة ١٨٩١^(٢).

ولم تكن تربية الأبقار مقتصرة على الفلاحين الفقراء فقط؛ بل شملت كبار ملاكي الأراضي والأديرة، حيث كانوا يستأجرون الأشخاص لتربية الأبقار، والعناية بها، ويطلق عليهم اسم أجير بقر أو أجير فدان^(٣)، ومن باب استغلال الفلاحين كان يقوم مالك الأرض بإقراضهم الأموال لشراء الأبقار مقابل اقتسام خيراتها بالمناصفة، كما حصل في مدرسة سيدة النصر كفيفان، عندما دفع رئيس المدرسة ثمن نصف بقرة شراكة إلى أحد الفلاحين في القرية لينال مقابلها حصة من الإنتاج والعمل^(٤).

كما كانت الأغنام تربي في جبل لبنان بأعداد قليلة، واقتصرت تربيتهم على الغنم المور أو القرماني^(٥)، وبلغ عدد رؤوس الأغنام المستوردة في جبل لبنان في سنة ١٨٧٩ ٦٠٠٠ رأس^(٦)، ومن ثم ارتفع هذا الرقم مع نهاية عهد المتصرفية إلى ١٤٥٠٠ رأس، وبما أن طبيعة أراضي الجبل ملائمة لتربية الماعز على نطاق واسع بعكس الأغنام التي تستوجب وجود السهول^(٧) وبسبب ضيق المراعي وقتلها في جبل لبنان كانت الأراضي الحراجية، والمشايع، والوقفية تؤجر كمراع للماعز مقابل مبالغ نقدية أو كمية معينة من الحبوب، والزيت، ومشتقات الحليب^(٨).

١٠ - أثر التنظيمات العثمانية على الوضع الزراعي:

بعد إعلان خط التنظيمات الخيرية سنة ١٨٥٦ أصدرت الدولة العثمانية قانون الأراضي العثمانية، وصيغ في ١٣٢ مادة، وخاتمة، وبموجبه قسمت الأراضي إلى خمسة أقسام:

١ - سعيد: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في الأرياف اللبنانية، ص ٨٥-٨٦.

٢ - دفاتر حسابات الشيخ ملحم تقي الدين، بعقلين، دفتر ١، ص ٧٤. سعيد: المرجع نفسه، ص ١٠٠.

٣ - دفتر حسابات مدرسة سيدة النصر كفيفان، قضاء البترون، سنة ١٨٧٢، ص ١٠٥. سعيد: المرجع نفسه، ص ٨٥.

٤ - دفتر حسابات مدرسة سيدة النصر كفيفان، مصدر سابق، ص ٣١. سعيد: المرجع نفسه، ص ٨٧.

٥ - حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٣.

٦ - بتكوفيتش: مصدر سابق، ص ٩٣.

٧ - سعيد: المرجع السابق، ص ٩١.

٨ - سعيد: المرجع نفسه، ص ٥٦.

- الأراضي المملوكة: قسمت بدورها إلى ما خصص للسكن على ألا تزيد مساحته على ٥٠٠ متر والأراضي الأميرية التي أصبحت ملكاً شخصياً، والأراضي العشرية التي جرى تملكها وتوزيعها عند الفتح الإسلامي، وأراضي الخراج، وهي الأرض التي تقرر إبقاؤها في يد أهلها الأصليين من غير المسلمين.

- الأراضي الأميرية: عدّت ملكاً لأصحاب الزعامت، والتميز قبل إعلان قانون الأراضي، وبعد ذلك أصبح التصرف بها لصالح الدولة .

- الأراضي الموقوفة: قسمت إلى قسمين الأول؛ ما كان ملكاً شخصياً فأوقفه صاحبه، والثاني وتشمل الأراضي الأميرية التي أوقفها السلاطين .

- الأراضي المتروكة: نوعان الأول لا يجوز تملكه مثل الطريق العام، والثاني هو القسم المخصص إلى عموم أهالي القرية، مثل: المراعي، والأحراش، والساحات، والأسواق .

- الأراضي الموات: هي الأرض التي لا يسمح البناء فيها، وهي مشاع للجميع، وكانت الدولة تمنح هذه الأراضي بلا مقابل للأهالي شريطة أن يستثمروها^(١).

وفي سنة ١٨٥٩ أصدرت الدولة العثمانية قانون تسجيل الأراضي حيث نظم القانون عملية البيع وفرضت الدولة رسوماً على ذلك ومقدارها ٥% من قيمة الأرض^(٢)، كما شجعت الدولة امتلاك الأراضي البور بقصد استصلاحها، وقامت بإعفائها من الضرائب^(٣)، وفي سنة ١٨٦٧ صدر قانون بيع بيع الأراضي للأجانب .

أعطى المتصرف فرنكو باشا الزراعة اهتماماً خاصاً، وشجع زراعة الأشجار المثمرة، ووزع نصوب العنب، وبذور الصنوبر بالمجان على المزارعين^(٤).

انتشرت مهمة الوكيل في جبل لبنان نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، ومع توسع الأمراء، والمشايخ في امتلاك الأراضي عينوا لهم الوكلاء، وكانت مهمة الوكيل تجمع بين الناطور الخاص للأملاك ومدبر شؤونها الإدارية، والاقتصادية، والإشراف على العمال، وعلى حسابات

١- الدستور: مصدر سابق، ج ١، ص ١٤-٤٣.

٢- الدستور: المصدر نفسه، ص ٥٥.

٣- عوض: مرجع سابق، ص ٢٣٤.

٤- رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٣٥-١٣٨.

المالك^(١)، عدّ الوكيل في بعض الأحيان بمثابة شريك للمالك كقاسم حصن الدين شريك آل جنبلاط في عين قنية (الشوف)^(٢) ولم يكن عمل الوكيل مجانياً؛ إنما كان يتقاضى أجراً نقدياً أو حصة عينية من الإنتاج كراتب عيني سمي بـ الشوبصة^(٣)، ومن أجل النهوض بالزراعة في الدولة العثمانية بشكل عام، أصدرت السلطنة العثمانية أنظمة وتعليمات عملت على تشجيع الزراعة، ومنها :

١- تعليمات تشجيع زراعة القطن: صدرت في سنة ١٨٦١، حيث أمرت الدولة العثمانية بصرف مكافآت للمجدين في الإنتاج، وأعفت آلات القطن المستوردة من الرسم الجمركي^(٤).

٢- نظام إعفاء غراس الزيتون: صدر في سنة ١٨٦٢، تم بموجبه إعفاء غراس الزيتون من ضريبة الأعشار لمدة ثلاث سنوات اعتباراً من بدء الإنتاج.

٣- نظام إعفاء غراس التوت: صدر في سنة ١٨٧٢، تم بموجبه إعفاء غراس التوت من ضريبة العشر لمدة ثلاث سنوات متتالية اعتباراً من سنة المحصول، ونص النظام بأنه: (لا تعفى البساتين من هذه الضريبة إلا التي تترك مسافة لا تقل عن ذراعين ولا تزيد على ثمانية أذرع ويكون الإعفاء من العشر بمقدار أربعين أقة شرانق طرية أو أربع أقات حرير للدونم الواحد)^(٥).

نستنتج مما سبق بأنه كان للتنظيمات أثرٌ إيجابيٌّ على الزراعة، ما يدل على مدى اهتمام الدولة العثمانية بالزراعة لما تشكّله من مورد رئيس، وما أدل على ذلك إلا التعليمات، والأنظمة التي أصدرتها، وتقديم التسهيلات الممكنة .

ثانياً- دراسة الوضع الحرفي في جبل لبنان.

أتت الحرف الصناعية بالمرتبة الثانية بعد الزراعة في اقتصاد جبل لبنان، حيث إن الكثير من القوة العاملة كانت تعمل بالصناعات الناتجة عن الزراعة أو المرتبطة بها كالصناعات التحويلية (الزيت ومطاحن الحبوب)، وحلّ شرانق الحرير، وغير ذلك من الصناعات الغذائية التي كانت يغلب عليها الطابع اليدوي وهي أقرب للعمل الحرفي منها إلى الصناعة^(٦) .

١- سعيد: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في الأرياف اللبنانية، ص ٩٧.

٢- دفتر مساحة عين قنية، ص ١٧-١٨. سعيد: المرجع نفسه، ص ٩٧.

٣- بو عماد: مرجع سابق، ص ٣٢٧.

٤- الدستور: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٨٤.

٥- الدستور: المصدر نفسه، ص ٣٨٥-٣٨٧.

٦- عيساوي: مرجع سابق، ص ٥٥٣.

١- الأسواق الحرفية :

شكلت الأسواق بما تحويه من حرف ومهن وصناعات عنصراً مهماً في حياة المجتمع في جبل لبنان لأنها أعطت فكرة عن العاملين والحرفيين الذين قاموا بدور مهم في الحياة الاجتماعية، والاقتصادية ومن أهم تلك الأسواق:

أ- سوق الأساكفة: ويجتمع فيه العاملون في مهنة الجلود والأحذية، ويقع في بيروت.

ب- سوق البازر كان: يجتمع فيه أصحاب المهن المتعلقة بالأقمشة والخياطة، ووجدت فيه دكاكين الخياطين الذين كانوا يصنعون الألبسة العثمانية، وكان يتواجد فيه تجار الأقمشة الحريرية .

ج- سوق الحدادين: كان مركزاً لعمل الحدادين، وكان يوجد بالقرب منه دور للسكن، حيث يسكن أصحاب المهن قرب مراكز عملهم؛ وبالإضافة لهذه الأسواق كان هناك مجموعة أسواق تمثل التجمع السكاني للجبل أهمها: سوق العطارين، والنجارين، والمنجدين، واللحامين، والقزازين^(١).

٢- أهم الصناعات والحرف اليدوية :

أ- صناعة حل شرايق الحرير: كانت صناعة الحرير الطبيعي تعد الإنتاج الرئيس في جبل لبنان وتعتمد بشكل أساسي على عمل الفلاحين الذين يقومون بتربية دودة القز، فبعد أن تصبح شرايق تباع إلى أصحاب المعامل التي كانت تسمى كرخانة^(٢)، وكان يعمل فيها الكثير من العمال الموسمين وكانت مهمة تلك المعامل تحويل الشرايق إلى خيوط حريرية، حيث كانت تصدر إلى الخارج^(٣) وبسبب عدم تطوير صناعة حل الشرايق، فقد اقتضت صناعة الحرير على حل الشرايق وتصديره إلى مدن أوروبا، ولا سيما مدينة ليون الفرنسية، ولذا ارتفعت أسعار البذار بشكل مستمر، حيث بلغت سنة ١٨٥٩ إلى ثلاثين قرشاً^(٤)، وفي سنة ١٨٣٦ أقيم أول معمل للحرير على الطريقة الأوربية في حي الدحداح في بيروت، وكان يعمل بالحرارة عن طريق استعمال الحطب، وفي سنة ١٨٣٨ أنشئ

١- حلاق، حسان: التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر سجلات المحكمة الشرعية في بيروت، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٣ .

٢- كرخانة: كلمة فارسية مكونة من كلمتين كار بمعنى العمل، وخانة بمعنى بيت أو منزل أي بيت العمل، أي معمل لتحضير شرايق الحرير. غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٦٧.

٣- البواري: مرجع سابق، ص ٨٠.

٤- بو عماد: مرجع سابق، ص ٤٥.

معمل جديد فيه من ١٥-٢٠ دولاراً وفي سنة ١٨٤٠ أسس الفرنسيون أول معمل لهم في جبل لبنان، وذلك لسببين:

أولهما: لأنهم كانوا بحاجة إلى الحرير بشكل متزايد لسد حاجاتهم الصناعية والتجارية.

وثانيهما: لأنه كان يوجد في الجبل أيدي عاملة رخيصة^(١).

كما أنشئ في سنة ١٨٤٠ معملٌ لصاحبه (بروسر بورتاليس)^(٢)، كما أنشئ معمل آخر في سنة ١٨٤٧ في عين حمادة لصاحبه (مورك دالك)^(٣)، وفي سنة ١٨٤٥ بلغ عدد المعامل في الجبل اثني عشر معملاً خمسة منها فرنسية، ومعملان بريطانيان والباقي للإقطاعيين المحليين، وبلغ عدد العمال في المعامل الفرنسية نحو ٦٥٠ عاملاً، وفي المعامل البريطانية نحو ٢٠٠ عاملاً، وبحلول سنة ١٨٦٢ بلغ عدد المعامل ٤٤ معملاً ضمت نحو ١٨٠٠ دولار، وتوزعت ملكيتها على عشرة فرنسيين وبريطاني واحد وثلاثين للإقطاعيين المحليين^(٤)، ونلاحظ من خلال ذلك زيادة النفوذ الفرنسي التجاري في جبل لبنان لما يشكله لها من مصدر أساسي للحرير.

وبلغ عدد المعامل بين سنتي ١٩١٠-١٩١٣ حوالي ١٧٥ معملاً توزعت على النحو الآتي: ٣١ معملاً في الشوف، ١١٣ في المتن، ١٦ في كسروان، ٢ في البترون، ١٣ في الكورة^(٥)، وفي سنة ١٨٦٧ بلغ عدد المعامل ٦٧ معملاً، وفي سنة ١٨٨٥ بلغ عدد المعامل ١٠١، وفي سنة ١٨٩٣ بلغ العدد ١٩٤ نستنتج من ازدياد عدد المعامل التدريجي إلى مدى أهمية هذه الصناعة، وما كانت تشكله من مصدر

١- البواري: مرجع سابق، ص ٨٠.

٢- بروسر بورتاليس: ابن فرتوني، ولد سنة ١٨٥٥، جاء إلى الجبل، ووسع عمله، وفاق والده في المهارة والعمل والحدافة حتى أصبحوا يترحموا على والده، وكان أمهر رجل بين أرباب المعامل، ويعود الفضل لوالده فرتوني بورتاليس في إدخال حل الحرير للجبل والذي ولد في فرنسا في سنة ١٨١٥، وفي سنة ١٨٤٧ انتقل للسكن في بتاتر وابتدأ العمل بالحرير، وكان لا يقرض الأموال بسند أو كمبيالة بل بالأمانة وعند نكران أحدهم للمبلغ كان يرتضي منهم باليمين، وذلك بوضع يدهم على الإنجيل، وأن يلحفوا بعدم أخذهم للدراهم، فكان المنكر عند حلف اليمين عندما يضع يده على الطاولة يشعر بارتعاش عظيم، ويعترف بالمال الذي أخذه، وسبب ذلك بأنه جهز جهازاً كهربائياً، ووضعه تحت الطاولة ووصل التيار الكهربائي إلى الإنجيل بحيث كل من لمس الإنجيل يشعر بالتيار الكهربائي ويرتعش بدون أن يعرف السبب فيظن أن نكرانه للمال هو السبب فيعترف بذلك. شاكر الخوري: مرجع سابق، ص ١٣٩.

٣- هاشم ياغي: مرجع سابق، ص ٥٤.

٤- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٦٦.

٥- سعيد: الأرض والإنتاج، ص ١٤٦.

رزق رئيسي لغالبية سكان الجبل، والدور التجاري المهم لتلك الصناعة من خلال اهتمام الأوربيين بها ولا سيما الفرنسيين .

شكل إنتاج الحرير، وحل شرائقه القسم المهم من النشاط الاقتصادي بعد سنة ١٨٨٠ حيث بلغت القوة العاملة في معاملته نحو ١٤ ألف عامل، وعلى صعيد إنتاج الحرير الخام يبين الجدول الآتي كميات إنتاجه مقدرة بالطن^(١):

السنة	الكمية	السنة	الكمية	السنة	الكمية
١٨٦١	٩٦٠ طناً	١٨٦٥	٢٠٠ طناً	١٨٧٠	١١٥٢ طناً
١٨٨٠	٢٤٦٨ طناً	١٨٨٥	٣٠٧٥ طناً	١٨٩٠	٤٦٣٥ طناً
١٩٠٠	٤٠٠٠ طن				

نستنتج من خلال هذه الإحصائية تطور إنتاج الحرير وتزايد، وهذا إذا دل على شيء، إنما يدل على مدى اعتماد اقتصاد الجبل على هذه الصناعة، وإلى مدى اهتمام المتصرفين بها، حيث بلغت إيرادات الشرائق سنة ١٩٠٠ حوالي ٦٢ مليون قرش^(٢)، أما الكميات التي كانت تنتجها تلك المصانع فتقدر بالكيلو غرام حسب السنوات بالكميات التالية:

١٩٠٢	١٩٠٣	١٩٠٤	١٩٠٥	١٩٠٦	١٩٠٧	١٩٠٨	١٩٠٩	١٩١٠	١٩١١
٤٢٤٠٠٠ كغ	٤٩٤٠٠٠	٤٥٣٠٠٠	٤٨٠٠٠٠	٤٥٢٠٠٠	٥١٧٠٠٠	٤٧٤٠٠٠	٤٧٢٠٠٠	٥٢٧٠٠٠	٥٢٤٠٠٠

و أغلبية هذه الكميات المنتجة كانت تصدر إلى الخارج، ولاسيما إلى مدينة ليون الفرنسية عن طريق مرفأ بيروت، وقدرت كمية الصادرات حسب السنوات بما يلي:

١٩٠٥	١٩٠٦	١٩٠٧	١٩٠٨	١٩٠٩	١٩١٠
٣٣٤٦٠٠ كغ	٣٥٠٧٠٠ كغ	٣٦٠٥٥٠ كغ	٣٥٧٤٥٠ كغ	٢٢٠٠٠٠ كغ	٢٦٤١٠٠ كغ

ونلاحظ من هذه الإحصائية كيفية تراجع نسبة الصادرات بشكل تدريجي؛ وذلك بسبب مقدمات الحرب العالمية الأولى التي أثرت سلباً في طرق المواصلات .

بلغ سعر الكيلو غرام الواحد نحو ٤٥,٥٠ فرنكاً أي ما يعادل ٢٦٧ قرشاً^(٣) .

وفيما يلي يقدم الجدول الآتي أسعار شرائق الحرير مقدرة بالقرش لكل أقة شرائق^(٤) :

السنة	سعر المنتج	سعر السوق	السنة	سعر المنتج	سعر السوق
١٨٦١	٢٣	٢٥	١٨٦٢-١٨٦٥	٢٧,٧٥	٣٠,٥

١ - حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٨٨ - ٤٨٩.

٢ - عيساوي: مرجع سابق، ص ١٣٨.

٣ - معطي: مرجع سابق، ص ١٤٨ - ١٤٩.

٤ - سعيد: الأرض و الإنتاج، ص ١٨٦.

١٩	١٨	١٨٩٥-١٨٩١	٤٢,٥	٤١	١٨٧٠-١٨٦٦
			٢٣,٣٣	١٩,٥	١٩١٤-١٩١١

ونلاحظ من خلال هذه الإحصائية الارتفاع المتزايد بالأسعار و هذا دليل على زيادة الطلب على شرائق الحرير، ولكن ما لبثت هذه الأسعار أن انخفضت، ولا سيما قبيل الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها، وذلك لعدة أسباب منها: مزاحمة البضائع الأوربية ومنافستها التي تحكمت بالأسعار لحساب بضائعها الخاصة ولقيام السماسرة بالتجارة بهذه المادة الذي أثر سلباً فيها، ولا سيما إذا ما لاحظنا الفرق في السعر بين المنتج وسعر التاجر السمسار .

أما بالنسبة لأجرة العاملة تتراوح بين ثلاثة إلى ستة قروش وفقاً لمهارتها، أما المبتدئة فتأخذ من قرش إلى قرشين^(١)، وكان العمال يعملون في فصل الصيف عشر ساعات في النهار، ومن تسع إلى عشر ساعات في فصل الشتاء تتخللها فترات قصيرة للراحة^(٢).

وعلى الرغم من عدم تقديم وصف لحالة العمال الصحية، لكننا نستطيع أن نستنتج من خلال عدد ساعات العمل الطويلة مدى الاستغلال الذي تعرض له العامل فضلاً عن الإرهاق الشديد الذي رافقه سوء التغذية المقدمة لهم، وتعرضت صناعة الحرير للعديد من المشاكل منها:

١- هجرة أعداد كبيرة من الرجال^(٣).

٢- قضية عمل المرأة، والرجل في معمل واحد: فين سنتي ١٨٥٧-١٨٦٩ حدثت بعض المشكلات من خلال معارضة رجال الدين الموارنة مزاوله النساء للعمل مع الرجال في مصنع واحد، ونتيجة لذلك أصدر المتصرف فرنكو باشا الأوامر بضرورة مراعاة قرارات رجال الدين، حيث أصدر المطران طوبيا أمراً إلى أهل العائلات طالباً منهم منع بناتهم من العمل في معامل الحرير التي يعمل فيها الرجال، فرض أصحاب المعامل لسلطة رجال الدين ووعدهم بأنهم لن يشغلوا في معاملهم سوى النساء^(٤)، ولا سيما بأن أجورهن أقل من أجور الرجال، ولكن أصحاب المعامل الأجانب احتجوا

١- معطي: مرجع سابق، ص ١٤٧.

٢- البواري: مرجع سابق، ص ١٨٨.

٣- معطي: المرجع السابق، ص ١٥١.

٤- نستنتج ذلك من خلال قراءة الوثيقة رقم (٩)، ملحق رقم (٨): وهي عبارة عن معروض مقدم من أصحاب المعامل إلى المتصرف فرنكو باشا ملتصين السماح والتأكيد على عدم مخالفة الأوامر. وهذه ترجمتها محافظاً على صياغة الوثيقة ((إنه لا يخفى على سيادتكم أننا في المتن منذ ١٨٥٤ وفي ابتداء إقامتنا كانت أفكارنا منصبة على تربية بنات المقاطعة وتعليمهم حل الحرير في كرخانتنا، آملين بأن هذا الأمر يساعد عيال البنات وبالوقت نفسه نحصل =

على ذلك بأن العاملة ما أن تصبح بارعة بالعمل حتى يغمر بها من قبل بعض أصحاب المعامل الآخرين، فيضطر صاحب المعمل عندئذ من استخدام الرجال بأجور مضاعفة^(١)، وحسب تقدير القنصل الفرنسي في بيروت (دوكوسو) سنة ١٩١٣ بلغت صناعة الحرير درجة كبيرة في اقتصاد جبل لبنان، وكان المواردية يملكون القسم الأكبر من معامل الحرير والأرض التي تنتجها^(٢).

تأثرت الأراضي الزراعية من هذه الصناعة بشكل فعلي، حيث تحول الكثير من الفلاحين للعمل فيها؛ بالإضافة لقطع الأشجار، والتأثير في الثروة الزراعية لحاجة هذه الصناعة للحطب كوقود لعملها

ب- صناعة الغزل والنسيج: إن هذه الحرفة لم تصمد كثيراً، وفقدت جودتها بسبب الأمراض التي أصابت دودة القز وأشجار التوت^(٣)، ولعدم إقبال السكان على المصنوعات الوطنية، وهجرة أعداد كبيرة من السكان^(٤)، أستاذت بلديات الذوق، ودير القمر، وزحلة، وبعبداء، وبكفيا^(٥) = بهذه الصناعة

= على عمال يعملون في المعامل، ومن ثم سهل الباري عز وجل أشغالنا فتوجهنا إلى أوروبا واطلعنا على كيفية إتقان الحرير، فعندنا، وباشرنا بناء المعامل محتوية على ٧٦ دولاراً مع بناء مكان مخصص لمنامة البنات تحت إشراف ومناظرة القرية، وبعد مشقات عديدة أصبح عندنا ١٣٠ بنتاً معلمة، وكان القصد من ذلك شهرة حريرنا، فمن هنا يتضح لدى سيادتكم كم كنا دائماً سهرانين على حفظ الفتيات بشكل يرضهن، ويرضي العموم، فمعاملنا بنيت خصيصاً من أجل أن تكون البنات عاملات فيها، ويزداد توضيح ذلك جلياً لسيادتكم من خلال معروضنا السابق لدولة داود باشا متصرف جبل لبنان، ومن المعروض المقدم من الأمير خليل لدولتو نصري فرنكو باشا المبني على هذا الخصوص. ولكن وبسبب حسد الحاسدين عملوا على أخذ الفتيات الملمات في الحرير ومعنا قائمة بأسمائهن واسم المعامل التي أخذهم، فإذا شاء خاطر سيادتكم وتنازلتم بمنح البركة وإعادة الفتيات للعمل لدينا، فتصبح معاملنا كلها بنات ولن يكون لدينا ذكر واحد، وعند الفحص إذا وجد عندنا في المعمل رجل واحد فسوف نتقبل بكل عدالة كل قصاص يلحق بنا، ملتسمين من غير سيادتكم إجابة معروضنا هذا، وحصولنا على البنات اللواتي خرجن من معاملنا، والتماس بركات الدعاء مدى الدوام أيها السيد الجزيل الاحترام ((. محفوظات المركز الوطني للمعلومات والدراسات - بعقلين. غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٣٥٨.

١- البواري: مرجع سابق، ص ١٨١.

٢- و في تقرير آخر له سنة ١٣٣٢هـ الموافق لـ ١٩١٤ رأى أن عدد مستوردي المواد المصنعة من أوروبا ومصدري المواد الخام إليها بلغ ٩٠ شخصاً في بيروت منهم ٩ من المسلمين والبقية من المسيحيين، أما في صيدا وصور حيث شكل المسلمون أكثرية السكان، فكان المسيحيون يسيطرون أيضاً على التجارة. تقي الدين: مرجع سابق ص ٢٠٦.

٣ - شلق، حميد: أرض الذكريات ٣٠٠ رحلة رائعة من الماضي سوريا - لبنان - فلسطين - الأردن، رحلة الدكتور لورتيت ١٨٧٥-١٨٨٠، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥، ص ٤٥.

٤ - معطي: مرجع سابق، ص ١٥١.

حيث اقتبس أهل دير القمر، وبعيدا صنعة الأنسجة القطنية، والحريرية الخفيفة عن صناع دمشق^(٢) وفي سنة ١٨٥٤ قلد أهالي دير القمر الحرير الفرنسي، فتم تركيب نولين للأقمشة^(٣).

وفي الثلث الأول من القرن التاسع عشر قدرت أنوال دير القمر بنحو ١٢٠ نولاً لصناعة الحرير والقطنيات استعملت ٦٠ قنطار من المواد المستهلكة، وأربعين نولاً لصناعة العباءات الحريرية والصوفية واستعملت عشرة قناطير من المواد المستهلكة.

بلغ عدد الأنوال في بعيدا أربعين نولاً لصناعة الحرير استعملت عشرين قنطار من المواد المستهلكة، أما بلدة الذوق فقد بلغ عدد أنوالها عشرة أنوال لصناعة عباءات الحرير والصوف، و١٥ الغزل القطن^(٤)، وبلغ مجموع أنوال بلدة الذوق لمختلف صناعات الغزل والنسيج ٣٠٠ نول^(٥).

ج- صناعة حياكة السجاد: لم تكن حرفة لبنانية أصيلة بل هي دخيلة، حيث تركزت في قرية بعقلين التابعة لقضاء الشوف، وفي سنة ١٨٦٥ أنشأ محمود أبو كامل مشغلاً اهتم به المتصرف الأول داوود باشا^(٦)، كما كانت حرفة الصباغة والدباغة بسيطة، ولم تتطور بعض الشيء إلا بين سنتي ١٩٠٠-١٩١٠ ووصل مردود الجبل من هذه الحرفة إلى مليونين و ٧٠٠ ألف قرش^(٧).

راجت في المرحلة الأخيرة لمتصرفية جبل لبنان حياكة شعر الماعز، وخصوصاً في بلدة شحيم التابعة لقضاء الشوف، حيث كانت تصنع الحبال والأكياس التي تستخدم في معاصر الزيتون، كما راجت صناعة السلال في بلدي الدامور^(٨) والجبة^(٩).

د- صناعة الخمر: ازدهرت صناعة تقطير العرق في جبل لبنان، حيث صنعت زحلة وحدها نحو ٣٥ ألف كيلو من الخمر، صدر قسم منه إلى الخارج وخاصة إلى أمريكا، وبلغ ما يكسبه الجبل

١- بكفيا: تابعة لقضاء المتن ترتفع عن البحر ٨٥٠ متراً، وتبعد عن بيروت ٢٥ كيلو متر، أصل الكلمة سريانية وتعني الحجري والصخري. هشي: مراسلات، ص ١٢٥.

٢- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٦٨-٦٩.

٣- عيساوي: مرجع سابق، ص ٥٤٤.

٤- عيساوي: المرجع نفسه، ص ٥٥٩.

٥- حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٤١٢.

٦- شيبوب، أدفيك: الحرف الشعبية في لبنان، بيروت، ١٩٩٤، ص ٨٣.

٧- حقي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧٠.

٨- الدامور: تابعة لقضاء الشوف تبعد عن بيروت ٢٤ كم. هشي: المصدر السابق، ص ١٣٣.

٩- معطي: مرجع سابق، ص ١٥٢.

من هذه الصنعة ما يقدر بـ خمسة ملايين و ٢٠٠ ألف قرش^(١)، حيث إنهم كانوا يستقطرونه من العنب المستخرج من الكرمة، فيستقطرون أولاً مادة السيرتو من عصير العنب، ثم يمزجون هذه المادة باليانسون ويغلوها ليستقطروا منها مادة العرق، كما كانوا يصنعون الزبيب، وبلغ المتوسط السنوي لإنتاج الزبيب بين سنتي ١٨٥٦-١٨٦٤ نحو خمسة آلاف قنطار^(٢).

هـ- صناعة الزيت والصابون: إن صناعة الزيت صنعة قديمة في جبل لبنان، وكانت المعصرة تتكون من حجرة مستديرة تدار بواسطة بغل يجره ضمن حوض، وبعد أن تسحق حبوب الزيتون سحقاً جيداً يستقطر الزيت منه بواسطة مكابس ثقيلة الوزن .

أقام الفرنسيون في طرابلس سنة ١٨٥١ مصفاة لزيت الزيتون^(٣)، ولكن بدائية هذه الصنعة أدت لإعطاء نوع سيء من الزيت، ذات طعنة حادة، وهذا ما كان يحول دون تصديره إلى الخارج^(٤)، أما المادة المتبقية من الزيتون بعد عصره وهي الجفت، فكان القرويون يستعملونه إلى جانب الحطب للتدفئة في أيام الشتاء.

أما بالنسبة لصناعة الصابون وجدت في بيوت الفلاحين؛ نظراً لسهولة تحويل الزيت إلى صابون عن طريق ربطه بمادة القطرون ثم غليه على النار، أطلق على الصابون المحلي تسمية الصابون البلدي^(٥) وقدّر ما صنعه جبل لبنان في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى بـ ٢ مليون آفة، وكانت قيمة الصادرات منه ١٥٠.٠٠٠ قرش^(٦).

و- المطاحن ومعاصر الدبس: انتشرت هذه الصنعة في جبل لبنان، حيث استعملت لطحن القمح والشعير، وغيرها من الحبوب، وكانت المطاحن تدار بواسطة الماء المتساقط على دولاب خشبي يسمى (العنفة)؛ لذا تركزت عند ضفاف الأنهار؛ بالإضافة إلى وجود ما يسمى الجاروش في كل بيت من بيوت الفلاحين، وهو عبارة عن قطعتين مستديرتين من الحجر الخشن مركبتين إحداهما على الأخرى والحجر الأعلى فيه ثقب يسمى الخر لإدخال القمح منه.

١- معطي: مرجع سابق، ص ١٤٦.

٢- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٥٩ .

٣- عيساوي: مرجع سابق، ص ٥٥٣.

٤- حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٣٥.

٥- غنام: المرجع السابق، ص ٥٧ .

٦- معطي: المرجع السابق، ص ١٤٥.

كما انتشرت معاصر الدبس في أغلب مناطق الجبل، واستمر استخدام هذه المعاصر حتى أواسط القرن العشرين، واستخدمت لتحويل العنب والخرنوب إلى دبس، حيث يعصر العنب ويوضع في خواوي فخارية لصنعة النبيذ، أو يحول إلى سببرتو ليصنع منه العرق، و تركزت صنعة النبيذ في بكفيا وبيت شباب وغزير، والكفور، وكان يصنع من العنب أيضاً الزبيب، حيث بلغ الإنتاج السنوي منه بين سنتي ١٨٤٦-١٨٥٦ خمسة آلاف قنطار .

ح- صنعة الأجبان والألبان: ازدهرت هذه الصنعة في المجتمعات الزراعية؛ نظراً لتكاثر الأبقار والأغنام والماعز، حيث أولى الفلاح عناية خاصة بهذه الحيوانات، واستخدم الأبقار في حراثة الأرض واستخدم الباقي من أجل لحومه، وألبانه، وأجبانها، ولم يكن هناك معامل خاصة لصناعة الألبان بل كان الأهالي يصنعون اللبن عن طريق تخمير الحليب، وإذا أرادوا حفظه لعدة أيام أضافوا له الملح ووضعوه في كيس من الخام، فتخرج منه مادة المصل^(١).

وبالإضافة إلى تلك الصناعات والحرف كان هناك حرفة صب الأجراس حيث اشتهرت بها قرية بيت شباب من أعمال المتن، وعرف هذه الحرفة يوسف نفاع في أثناء تواجد رجل أجنبي ليصب جرساً لكنيسة مار عبدا في بكفيا، فعمل بنفسه بتلك الحرفة وصب جرساً يزن ثلاثين آقة، وفيما بعد تم إحضار جرس من روسيا لدير مار إلياس للروم الأرثوذكس يزن مائة آقة، ثم أتقن أولاده من بعده هذه الصنعة^(٢) واشتهرت جزين بصناعة السكاكين، والخناجر، وبما أن الجبل بحاجة ملحة للبارود بسبب الصراعات والمنازعات فيما بينهم فاشتهرت بلدة كفرعقاب في المتن بصنعة البارود فكان فيها ثلاثة معامل، ويعدّ دياب معلوف أول من أدخل هذه الصنعة إلى جبل لبنان^(٣)، كما اشتهرت منطقة بيت شباب بحرفة الفخار، وفيما بعد عرفت ببيت الفاخوري^(٤).

تعرضت الحرف الشعبية في مطلع القرن العشرين للتراجع ثم الانهيار؛ والسبب في ذلك عدم استقرار الأوضاع السياسية، والاقتصادية، ويمكن إيجاز ذلك بالآتي:

١- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٥٨ - ٥٩.

٢- الأسود: دليل لبنان، ص ١٧٠ - ١٧٢ .

٣- غنام: المرجع السابق، ص ٧٤.

٤- الأسود: المصدر السابق، ص ١٧٣.

- كان أهالي الجبل قبل الحرب العالمية الأولى يعانون إرهاباً مادياً ونفسياً فالضغط العثماني المستمر والتدخل بالشؤون الداخلية من جهة، وإرهاب مجلس الإدارة للأهالي بالضرائب من جهة أخرى أدى إلى تراجع أهالي الجبل عن ممارسة الحرف الكمالية إلى الضرورية البحتة، فتقلصت بعض الحرف وانقرض بعضها الآخر .

- إن توسع المعاملات التجارية بين الجبل، والبلدان الأوربية قبل الحرب وبعدها خلق مجالاً للمنافسة القوية؛ مما أدى لانحزامها بصورة طبيعية؛ لعدم وجود من يدعمها بوسائل حديثة كما هو الحال بالنسبة للحرف الفرنسية والإيطالية^(١).

نستنتج مما سبق بأن الحرف اليدوية كافة كانت للاكتفاء الذاتي، ولم تتمكن تلك الحرف من التطور أو تحقيق المنافسة مع الصناعات الأوربية بسبب بدائية الوسائل، وعدم توفر الإمكانيات المادية اللازمة للارتقاء بالمستوى الحرفي، وبقيت تلك الحرف حرفاً محلية؛ أي تعتمد على المواد الزراعية المنتجة في الجبل، فلم تسهم بالوضع الاقتصادي بشكل ايجابي.

ثالثاً - دراسة الوضع التجاري و المواصلات في جبل لبنان.

شكل القطاع الزراعي العمود الفقري لاقتصاد الجبل طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ومع بروز الثورة الصناعية في أوروبا وانعكاساتها، بدأت التجارة تسهم، ولو بنسبة ضئيلة بميزانية الجبل.

١ - التجارة الداخلية.

بعد مرحلة الإنتاج تأتي مرحلة التجارة، حيث مارسها الفلاح عن طريق تصريف إنتاجه في السوق المحلية، فيحمل إنتاجه إلى الأسواق الأسبوعية التي كانت تقام في القرى، واعتمدت طريقة بيع المقايضة - يبيع إنتاجه ويشتري مقابله ما يحتاجه من مواد غذائية و سلع استهلاكية - وذلك بسبب ندرة النقود بين أيدي السكان^(٢)، كما راجت في جبل لبنان تجارة الحيوانات، ومن أكثر المناطق شهرة منطقة زحلة^(٣) التي كانت محطة على طرق المواصلات التجارية بين دمشق وجبل لبنان، وبقي أهالي زحلة يشترون بضائعهم من دمشق حتى سنة ١٨٣٥، وبعد ذلك أخذوا يشترونها من بيروت.

١ - شيبوب: مرجع سابق، ص ٩٧ - ٩٨.

٢ - غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٧٧

٣ - معلوف، عيسى: تاريخ زحلة، منشورات زحلة الفتاة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧، ص ١١٥.

تميزت التجارة في تلك الفترة بالبساطة والعفوية، وكانت المحلات، والدكاكين نادرة، والأسواق والبضائع تنتقل من مكان لآخر حيث سادت الأسواق الشعبية^(١)، في كل منطقة من مناطق الجبل سوق أسبوعي شعبي، يجتمع فيه أهل القرى المجاورة لعرض منتجاتهم لبيعها، وشراء ما ينقصهم من حاجات وكانت تعرض في تلك الأسواق مواد غذائية، ومنتجات زراعية، وآلات زراعية؛ ونظراً لأهمية تلك الأسواق أصدر المتصرف مظفر باشا سنة ١٨٨٢ قراراً حدد فيه مكان انعقاد تلك الأسواق وزمانها على النحو الآتي:

الأحد في رأس المتن، الإثنين في بعقلين وزحلة وتنورين، الثلاثاء في بكفيا وغزير، الأربعاء في برجا وبسكنتا، الخميس في أهدن وبشري، الجمعة في دير القمر وجزين وسوق الغرب، السبت في بعدا وبشمزين^(٢)، فهذا الاهتمام من قبل المتصرف شجع التجارة القروية المحلية مما دفعها إلى تأسيس المحلات التجارية، والدكاكين ففي سنة ١٨٨٩ بلغ عد الدكاكين في متصرفية جبل لبنان حوالي ٣٤١٨ دكاناً موزعة على النحو الآتي^(٣):

الشوف	البترون	المتن	كسروان	جزين	زحلة	الكورة	دير القمر
٧٠٩	٣٦٤	٥٩٩	٨٥٠	١١٦	٤٠٠	٨٦	٢٩٤

ولكن هذه المحلات التجارية لم تحول دون استغلال الفلاحين، فاقترنت المبادلات التجارية فيها على بعض المنتجات الزراعية، حيث كانوا يتاجرون بحاصلات الجبل من الزيت والتبغ والحبوب^(٤) وبالإضافة لذلك كان هناك باعة جوالون ينادون على بضاعتهم (القمح يا عاوزين القمح قبل النفاق) وبائع المرطبات (بارد يا ثلج)، و كان بعضهم يشتريه برغيف خبز أو بيضة دجاجة^(٥).

أما بالنسبة للبضائع التجارية يتم نقلها بين المناطق بواسطة القوافل، فمنتجات جبل لبنان؛ من الخضار و الثمار، والفاكهة يتم نقلها إلى بيروت وضواحيها ثم بيعها^(٦)، ومن الجدير ذكره بأن هناك مصالح تربط التجار المحليين مع الإقطاعيين، حيث وظفت بعض العائلات الإقطاعية في الجبل أموالها في مؤسسات تجارية، وصناعية، أما تجار بيروت فأقاموا صلات تجارية وثيقة مع الشركات التجارية

١- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٧٩.

٢- معطي: مرجع سابق، ص ١٥٤-١٥٥.

٣- سالنامه جبل لبنان سنة ١٣٠٦هـ، ص ٨٧-٩٢. سعيد: الأرض والإنتاج، ص ١٧٠.

٤- الأسود: دليل لبنان، ص ١٧٨.

٥- حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٩١.

٦- القاياتي، محمد عبد الجواد: نفحة البشام في رحلة الشام، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١، ص ٣٣.

الأجنبية^(١)، وكان أصحاب الأموال، وكبار السماسرة، والمرايين يسيطرون على إنتاج الفلاحين قبل نهاية الموسم الزراعي وذلك من خلال إقراضهم بعض الأموال قبل نضوج الإنتاج، بالتالي استغل هؤلاء التجار، والمرابون حاجة الفلاحين إلى الأموال فقاموا بشراء أرزاقهم بأجنس الأثمان، ففي سنة ١٨٥١ تم شراء أقة الشرائق بالدفع المقدم بسعر يتراوح بين ٩-١٢ قرش بينما عند حصاد الموسم باعها التجار بسعر يتراوح بين ١٧-١٨ قرش^(٢).

ونستنج من أسلوب الدفع المقدم الذي اتبعه المرايين، والتجار بأنه أسهم بجمعهم لشروات طائلة وتحقيق ربح كبير، وإفقار الفلاحين، وشعورهم بالاضطهاد، والاستغلال بسبب الفوائد الكبيرة التي كان يفرضها عليهم هؤلاء التجار مقابل إقراضهم مبلغ معين من المال؛ وبالتالي فإن التجارة الداخلية لم تحقق أرباحاً للفلاحين؛ وإنما كانوا يقومون بعملية مبادلة منتجاتهم بمنتجات أخرى هم بحاجة لها .

٢ - التجارة الخارجية:

تميزت التجارة الخارجية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بتنافس الدول الأوروبية على إيجاد قواعد ومحطات تجارية، وعملاء محليين يروجون لهم منتجاتهم الزراعية والحرفية بهدف السيطرة على أكبر عدد من الأسواق، وابتداءً من سنة ١٨٣٥ تحولت بيروت إلى مدينة تجارية ومستقر للكثير من الأوربيين، وسوق تجاري مهم، حيث بلغ عدد البيوتات التجارية فيها تسعة وعشرين بيتاً، ولم يكن في هذه البيوتات التجارية سنة ١٨٤٨ سوى ثلاثة من المسلمين، وهذا ما يؤكد تفوق المسيحيين في التجارة الخارجية، وأدى التطور الاقتصادي في بيروت من خلال علاقته مع المجتمع الريفي في جبل لبنان إلى ظهور طبقة برجوازية فيه تشكلت من المرايين، والتجار، والسماسرة الذين عملوا في تجارة الحرير، والأراضي.

اعتمد الجبل في تجارته الخارجية بشكل أساسي على تجارة الحرير، والشرانق ويتم تصديرها باتجاه أوروبا عامة، وفرنسا بشكل خاص، ومما يؤكد على ذلك تقديرات سنة ١٨٦١ التي أشارت إلى أن أكثر من ثلثي مبيعات حرير الجبل تتجه إلى فرنسا^(٣)، وأيضاً قامت فرنسا بشراء المواد الأولية

١ - باتيشينكوفا، مارينا: تاريخ سورية ولبنان في عام واحد ١٨٦٠-١٨٦١، ترجمة زياد الملاط، أطلس للنشر دمشق، ٢٠٠٦، ص ١٨.

٢ - غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٨٠-٨١.

٣ - غنام: المرجع نفسه، ص ٨٢-٨٧.

كمنتجات الصباغة، والجلود^(١)، وعدت متصرفية جبل لبنان من أكثر المناطق ارتباطاً بالسوق العالمية، وساعدها على ذلك تمتعها بموقع جغرافي مميز، ووجود مرفأ بيروت الذي تحيط به أراضي المتصرفية من ثلاث جهات الشمال، والشرق، والجنوب الذي زاد من النشاط التجاري للمتصرفية وخصوصاً بعد أن توسع مركزه التجاري، وعن طريقه كانت تصدر خيوط وشرانق الحرير المنتجة في الجبل^(٢) وفيما بعد أصبح جبل لبنان أكبر مصدر لمادة الحرير، ومستورداً للمواد الغذائية والمنتجات الأوربية المصنعة^(٣).

أدى غزو المنتجات الأوربية إلى:

١- تراجع الإنتاج الحرقي .

٢- استنزاف النقد المعدني من ذهب وفضة.

٣- حدوث خلل في الميزان التجاري الذي دل عليه الفارق الكبير بين قيمة الصادرات والواردات، ففي سنة ١٨٥٠ بلغت قيمة صادرات مرفأ بيروت ١٧٩٧٨٤٨٢ فرنكاً بينما بلغت قيمة الواردات ٢٤٩٢٥٧٠ فرنك^(٤)، في هذا الصدد يقول (جب وبوين):

(إن التجارة الخارجية كانت لا تعود عليه إلا بفائدة طفيفة، وما دامت الواردات تتكون من المواد المصنعة والبضائع الكمالية للأغنياء، على حين أن الصادرات كانت تتكون من مواد خام وغير مصنعة فإن هذه التجارة كانت تعود بالضرر على صناعيتها ورخائها الاقتصادي يضاف إلى ذلك أنها أرهقت توازنها النقدي^(٥) .

ازدادت حاجة فرنسا في منتصف القرن التاسع عشر إلى خيوط وشرانق الحرير، فتم تأسيس خمسة محلات فرنسية في جبل لبنان بين سنتي ١٨٤٠-١٨٥٠، وازدادت مساحة الأراضي المزروعة بالتوت على حساب الزراعات الأخرى^(٦)؛ بالإضافة إلى ذلك سيطرت الأقمشة الفرنسية على السوق المحلية

١- سميليا نسكايا: سورية ولبنان، ص ٣٥٠.

٢- معطي: مرجع سابق، ص ١٥٥-١٥٦.

٣- حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٧٠.

٤- كوثراني: من المتصرفية العثمانية إلى دولة لبنان الكبير، ص ٤٥.

٥- هاملتون، جب- بوين، هارولد: المجتمع الإسلامي والغرب، ج ٢، ترجمة عبد المجيد القيسي، دار المدى للثقافة والنشر، القاهرة، ١٩٩٧، ج ١، ص ٣٣٨.

٦- كوثراني: المرجع السابق، ص ٤٧.

في الجبل بسهولة فائقة، وتحول أصحاب الحرف المحلية إلى بائعي شرانق وبالرغم من المردود المالي من وراء هذه التجارة إلا أن تجار بيروت الذين أدّوا دور الوسيط بين الفلاح والمستوردين الأوروبيين الذين وقفوا في وجه احتمالات الربح التي كان من الممكن أن يحصل عليها الفلاحون^(١).

ومن خلال الدور التجاري الذي قام به تجار بيروت أصبحوا أصحاب ثروات كبيرة، فعملوا على ربط اقتصاد الجبل بشبكة مالية، حيث شكلت رؤوس أموالهم المدعومة برؤوس الأموال الأجنبية الحلقة الرئيسة في هذا الاقتصاد، حيث إن القروض التي يقدمها تجار أوروبا للمراي المحلي هي التي تجعله يعمل في هذا المجال، حيث عدّهم مصرفاً يستطيع أن يقترض منهم كل ما يحتاجه من الأموال ولكن بالمقابل كانوا يأخذون منه فوائد كبيرة مقابل ذلك.

وبالتالي؛ كان أمام الفلاح الذي دخل السوق كمنتج، ومستهلك؛ خيارين للتخلص من الاستغلال الاقتصادي، إما تملك الأرض وهي على الأغلب ملكيات صغيرة لا تثمن عن جوع، أو القضاء على سلطة الإقطاعي، وعلى هذا الأساس تم تشكيل التناقضات الناتجة عن التغلغل الرأسمالي الأوربي في جبل لبنان، ما أسفر عن بناء قاعدة للانتفاضة الفلاحية التي انطلقت في كسروان^(٢)، وبذلك خضع الفلاح لعلاقة تبعية مرتبطة برأس المال الأجنبي؛ مثلاً بالتاجر المحلي، أو المراي في المدينة.

ونستنتج من كل ما سبق ما يلي:

- ١- بروز الوجه الطائفي التجاري، حيث كان أغلب تجار الحرير هم من المسيحيين، وذلك لأن معظم المغتربين كانوا من المسيحيين، الذين يرسلون الأموال من المهجر لأقاربهم للعمل بالتجارة .
- ٢- إن الأموال الأجنبية التي تدفقت إلى السوق، وعمل المرايين، والسماسرة، مع التجار الأجانب وإقراض الفلاحين، والعمال بعض المال أسفر عنه تدمير بعض الصناعات الحرفية، وأثرت تلك الأموال في الزراعة، حيث ترك الكثير من الفلاحين العمل في الأرض .

١ - حقي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٩٠

٢ - كوثراني: من المتصرفية العثمانية إلى دولة لبنان الكبير، ص ٤٧-٤٩.

وعلى الرغم من عدم وجود إحصائية دقيقة للواردات والصادرات، وبحسب الأرقام المتوفرة تم تشكيل الجدول الآتي^(١):

الواردات	بالقروش	نسبة مئوية	الصادرات	بالقروش	نسبة مئوية
القمح	٢٠٠٠٠٠٠	١٢,٨٨	شرانق الحرير	٤٠٠٠٠٠٠	٣٨,١٧
شعير وحبوب أخرى	٤٥٠٠٠٠٠	٢٩,٦٣	خيوط الحرير	٢٥٠٠٠٠٠	٢٣,٨٦
بغال حمير بقر	٢٥٠٠٠٠٠	١,٦١	معادن	٥٥٠٠٠٠٠	٥,٢٥
حيوانات للذبح	٣٥٠٠٠٠٠	٢,٣٢	صابون	١٥٠٠٠٠٠	١,٤٣
زبدة و سكر و بن	٨٠٠٠٠٠٠	٥,٢٣	جلد	٢٧٠٠٠٠٠	٢,٥٨
خيوط قطن	٩٠٠٠٠٠٠	٠,٥٧	مشروبات كحولية	٥٢٠٠٠٠٠	٤,٩٦
منتجات أوروبية مصنعة	٦٥٠٠٠٠٠٠	٤١,٨٥	تبغ و سحائر	٢١٠٠٠٠٠	٢

نلاحظ من الإحصائية السابقة أن أكثر المواد المستوردة للجبل هي مادة الحبوب بأنواعها، مما يدل على عدم قدرة الجبل على إنتاج المواد الغذائية الضرورية؛ وبالإضافة لذلك نسبة المنتجات الأوروبية المصنعة التي شكلت ٤١,٨٥% من قيمة الواردات، تركت أثراً سلبياً في تقدم الحرف اليدوية في الجبل أما بالنسبة للصادرات فنلاحظ اعتماد الجبل بشكل رئيس على شرانق الحرير و خيوطه حيث بلغت ٦٢,٠٣% من قيمة الصادرات للجبل .

٣- البنوك ودورها الاقتصادي :

كانت البنوك في جبل لبنان معدومة قبل سنة ١٨٦٠، باستثناء البنك الزراعي الحكومي الذي كان يهتم بأمور الزراعة، لكنه لم يسهم بشكل جدي بتطوير الزراعة في جبل لبنان^(٢) وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين وجدت مجموعة من المؤسسات المصرفية الأجنبية في بلاد الشام، أسهمت في تسهيل عملية التبادل التجاري بين المتصرفية والدول الأوروبية وخصوصاً فرنسا، وبالرغم من أنها لم تفتح فروع لها في متصرفية جبل لبنان، لكنها اكتفت بفتح فروع لها في المدن الرئيسة كبيروت، وطرابلس، ودمشق، وذلك من خلال تجار جبل لبنان، ونشاطهم التجاري والاقتصادي في مدينة بيروت^(٣). ومن أهم البنوك الموجودة في تلك الفترة:

١ - حيث يقول سعيد شقير في تقريره إلى المتصرف أو هانس باشا (إن حكومة جبل لبنان و اللبنانيين مع ما هم عليه من الذكاء الفطري والتقدم، لا يعرفون عدد سكان جبلهم على قلتهم ولا قيمة وارداته وصادراته معرفة حقيقية). معطي: مرجع سابق، ص ١٥٦ - ١٥٧.

٢ - معطي: المرجع نفسه، ص ١٥٩.

٣ - الصليبي: مرجع سابق، ص ٥٥.

أ- البنك الإمبراطوري العثماني: تأسس سنة ١٨٦٣ بفرمان سلطاني وبأموال فرنسية وبريطانية بلغت سنة ١٨٧٤ حوالي ٢٥٠ مليون فرنك فرنسي^(١)، وعمل هذا البنك على احتكار إصدار الأوراق النقدية العثمانية، وعمل على إقراض الحكومة بفوائد باهظة^(٢) حيث اهتم هذا المصرف بالأعمال التجارية، والأشغال العامة، وكان يتصرف بأموال الدولة كما يشاء، ويودع الأموال لديه دون أن يدفع فائدة لصاحبها^(٣)، فتحت له فروع في بيروت، ودمشق وطرابلس، وحلب، والقدس^(٤) وبموجب نظام البنك العثماني كان يحق للدولة العثمانية أن تعلن فسخ امتياز البنك قبل سنة واحدة من انتهاء الامتياز، وعليها أن تدفع جميع ديونها التي اقترضتها من البنك، وتشجيعاً من الدولة العثمانية لهذا البنك قامت بإعفائه من كل أنواع الضرائب، وطلبت مقابل ذلك من البنك أن يقدم سند كفالة بعشرين ألف جنيه إسترليني، وتصادر الدولة العثمانية سند الكفالة في حال لم يقيم البنك بأعماله بعد ستة أشهر من تاريخ صدور قرار إنشائه^(٥).

ب- بنك الشركة الإنكليزية الفلسطينية: تأسس في بريطانيا سنة ١٩١٢ برأسمال قدره ١٠٠ ألف جنيه إسترليني، وفتح له فروع في بيروت ويافا والقدس.

ج- بنك (الكريدي ليوني) البنك الفرنسي: المنافس الكبير للبنك الإمبراطوري العثماني، وكان له فرعان في بيروت والقدس، وأدى دوراً مهماً في ربط صنّعة الحرير في بلاد الشام بمدينة ليون، وأسهم في نشر النفوذ الفرنسي في المنطقة^(٦).

د- بنك (دوتشت بنك) البنك الألماني: تأسس سنة ١٨٨٩ برأسمال ألماني بلغ قدره سنة ١٩١٠ حوالي ١٠ ملايين مارك، وفتحت له عدة فروع في بيروت ودمشق، وطرابلس، وكانت مهمته تسهيل العمليات التجارية بين بلاد الشام، وألمانيا^(٧).

١- معطي: مرجع سابق، ص ١٦١.

٢- السباعي، بدر الدين: أضواء على الرأسمال الأجنبي في سوريا ١٨٥٠-١٩٥٨، دمشق، ١٩٦٧، ص ٢٣.

٣- معطي: المرجع السابق، ص ١٦١.

٤- Charles Issawi , P 279

٥- عوض: مرجع سابق، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

٦- السباعي: المرجع السابق، ص ٢٣.

٧- معطي: المرجع السابق، ص ١٦٤.

نستنتج من كل ما ذكر بأن هدف تلك البنوك هو التغلغل الاقتصادي في بلاد الشام بشكل عام والمتصرفية بشكل خاص، وإحكام قبضتها على قطاعاتها الاقتصادية من زراعية وصناعية وتجارية وللأسف ومن دون وعي تمت الاستدانة من هذه البنوك بمبالغ كبيرة؛ مما أدى لخضوع قطاعاتها الاقتصادية جميعها تحت السيطرة الأوربية؛ وخاصة إذا ما علمنا بأنه تم إقراض الأموال بفوائد باهظة لا يستطيع التجار تحملها؛ فجعلت من أسواق بلاد الشام أسواقاً لتصريف المنتجات الأوربية .

٤- العملات النقدية: عرفت الدولة العثمانية العملات النقدية قبل سيطرتها على المنطقة العربية وكانت الأقجة أقدم النقود الفضية العثمانية^(١)، ومع الغزو الأوربي الاقتصادي للسلطنة في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بدأت العملات الأجنبية تخرق الاقتصاد العثماني لتصبح بعد فترة أساس الحركة النقدية في السلطنة، ومما زاد الأمر سوءاً هو إدخال الأوربيين لعملاتهم من خلال السلع التجارية التي روجوها وتلاعبوا بقيمتها النقدية^(٢)، حيث لم يكن التداول بالعملة العثمانية أو المحلية هو سيد الموقف في الجبل.

كانت الدولة العثمانية تصدر نشرة دورية سنوية تحدد فيها عيار، و وزن، وسعر العملات الأجنبية والعثمانية^(٣)، ولم تعرف السلطنة العثمانية النقد الورقي إلا في فترات متقطعة في سنوات ١٨٣٩-١٨٥٤ وباستثناء ذلك كانت نقودها طوال حكمها لبلاد الشام نقوداً معدنية من ذهب وفضة ونحاس^(٤) من النقود الذهبية^(٥):

مجيديية	نصف مجيديية	يرميلك	أونلوك	بشلك
١٠٠ قرش	٥٠ قرشاً	٢٠ قرشاً	١٠ قروش	٥ قروش

ومن العملات التي كانت رائجة في جبل لبنان السكين وتساوي أربعة قروش، وعدت الأقجة أول عملة فضية عثمانية تصدر؛ لأن الفضة شكلت القاعدة النقدية في السلطنة^(٦)، وفي سنة ١٨٤١ كان كل ١٢٠ أقجة تساوي قرشاً واحداً^(٧)، ونظراً لانخفاض قيمة الأقجة فقد تخلت السلطنة عنها

١- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٩٣.

٢- سميليا نساكيا: سورية ولبنان، ص ٣٢٠.

٣- سالنامه دولة عثمانية: سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨، ص ٢٥١-٢٥٦. سعيد: الأرض والإنتاج، ص ١٩١.

٤- غنام: المرجع السابق، ص ٩٤.

٥- سويد: فرنسا والموارثة ولبنان، ص ٤٨٤. ملحق رقم (٩).

٦- غنام: المرجع السابق، ص ٩٥.

٧- حلاق، حسان: بيروت المحروسة في العهد العثماني، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٧٦.

واستعملت عوضاً عنها القرش العثماني الذي كان على نوعين: الصاغ؛ يساوي أربعين بارة، والرائج يساوي عشر بارات، وكان الكيس يساوي ٥٠٠ قرش، ومن العملات الفضية الأخرى الزلطة التي سكت في مطلع القرن الثامن عشر، وكانت قيمتها تساوي ثلاثين بارة^(١).

٥- المواصلات: عدّت المواصلات في البلاد بمثابة الشرايين التي تربط أجزاء الجسد الواحد، وأي بلد تنعدم فيه الطرق ووسائل الاتصال يعيش في عزلة وانغلاق، وهذه هي الحالة التي كانت سائدة في المجتمعات العشائرية جميعها حتى أواسط القرن التاسع عشر، ولم تبد الدولة العثمانية حتى ذلك الوقت أية أهمية بوسائل المواصلات وشق الطرق؛ نظراً للتكاليف الباهظة^(٢)، وقبل سنة ١٨٦٠ لم يكن في جبل لبنان طرق بالمعنى الذي نفهمه اليوم، لذا أغلب الطرق عبارة عن معابر متعرجة غير ممهدة يستعملها الناس بحكم الضرورة والعادة^(٣)، ومن وسائل النقل التي كانت شائعة الدواب من بغال وحمير ونظراً لفقدان الأمن على تلك الطرق، انتظر المسافرون قيام قافلة تجارية بالسفر حتى يسافروا معها^(٤) أصدرت الدولة العثمانية نظام الطرق والمعايير سنة ١٨٦٩، وبموجبه جرى تصنيف الطرق في الدولة العثمانية إلى أربعة أصناف، وهي:

- الطرق التي تصل إستانبول بمركز الولايات أو الموانئ أو الخطوط الحديدية.

- الطرق التي تصل مراكز الولايات بمراكز الألوية.

- الطرق التي تصل مراكز الأقضية في الولاية.

- الطرق التي لا تستعملها العربات بصورة دائمة^(٥).

كانت للمواصلات أهمية بالغة من الناحية التجارية؛ ولذا اهتم المتصرفون بطرق المواصلات التي ساعدت الفلاحين على نقل منتجاتهم إلى الأسواق الداخلية، كما جعلت تلك الطرق من المتصرفية نقطة عبور لتجارة الجبل عبر بيروت مع الخارج^(٦)، ومن أهم هذه الطرق:

١- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٩٦.

٢- عوض: مرجع سابق، ص ٢٧.

٣- سميليا نساكيا: سورية ولبنان، ص ٢٠٩-٢١٠.

٤- غرايبة، عبد الكريم: سوريا في القرن التاسع عشر، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٥٤.

٥- الدستور: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٦١ - ٢٧٤.

٦- معطى: مرجع سابق، ص ١٦٥.

أ - طرق العربات: ومن أهمها: طريق دمشق بيروت سنة ١٨٥٧، حيث حصلت شركة فرنسية على امتياز إنشائه، وكانت تسمى شركة طريق الشام العثمانية، وأشرف على هذا الطريق المهندس (ديمان)^(١)، بلغ طوله ١١٢ كم وعرضه ٧ أمتار^(٢)، وبدأ العمل به سنة ١٨٥٩، وترأس أعماله (الكونت دي توبري)، وكانت حافلات السفر تقطع المسافة بين دمشق وبيروت في ثلاث عشرة ساعة وبلغت أرباح هذا الطريق للشركة الفرنسية ٥٠٠ ألف فرنك سنوياً، واستمر العمل بهذا الطريق لمدة ثلاثين عاماً، ومن ثم انحلت سنة ١٨٩٢ وعندئذ أصبحت ملكية هذا الطريق للدولة العثمانية، ولكن ما لبث أن أصبح العبور على هذا الطريق صعباً بسبب إهمال الدولة العثمانية، ولكنها اضطرت وأصلحته في أثناء الحرب العالمية الأولى^(٣) ولكن الفقراء بقوا محرومين من السفر على هذا الطريق بسبب المبلغ الكبير الذي يجب دفعه للشركة لذلك استمروا في استخدام الطرق، والممرات الضيقة والوعرة^(٤).

كما شق طريق آخر سنة ١٨٦٣ في عهد المتصرف داود باشا - من قبل (المسيو بور تاليس)؛ وهو تاجر فرنسي - من محطة بجمدون إلى معاملة بطول ٧ كيلو متر، وبإشراف مهندسين فرنسيين، وعدّ هذا الطريق من أملاكه الخاصة؛ لأنه اشترى الأرض التي مر بها هذا الطريق^(٥)، وبعد وفاته سنة ١٨٨١ انتقلت ملكيته إلى حكومة متصرفية جبل لبنان^(٦).

وفي عهد يوسف فرنكو باشا قام مجلس إدارة المتصرفية بإصلاح الطرقات والجسور التي تعرضت للتدمير بفعل العوامل الطبيعية، وشق مجموعة من الطرق الجديدة بلغ طولها ما يقارب ١١٨ كيلو متر^(٧)، ومنها طريق يصل بين بيت الدين، وبعقلين بطول ثلاثة كيلو مترات، وطريق آخر يربط دير القمر ببيت الدين بطول ثلاثة كيلو مترات^(٨).

١- عوض: مرجع سابق، ص ٢٧٣.

٢- حقي: مصدر سابق، ج ٥، ص ٤٩٣.

٣- كرد علي: مصدر سابق، ج ٥، ص ٢٢٩.

٤- بتكوفيتش: مصدر سابق، ص ١٨١.

٥- خاطر، لحد: العادات والتقاليد اللبنانية، دار لحد خاطر، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧، ص ٢٤٦.

٦- حقي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٠.

٧- خاطر: المرجع السابق، ص ١٨٧ - ١٨٨.

٨- حقي: المصدر السابق، ص ٢٢٠.

وفي عهد أوهانس باشا بلغ طول الطرقات المحفورة ٦ كيلو مترات^(١)، وفي سنة ١٩١٤ شقت السلطنة العثمانية شبكة من الطرق كان نصيب المتصرفية منها ٢٠٨ كم^(٢)، وتم فرض رسم ربع مجيدي مجيدي (خمسة قروش) من أجل إنشاء الطرق وتصليحها جميعها التي كانت تربط مناطق الجبل.

وفي عهد رستم باشا ١٨٧٣ - ١٨٨٣ أرادت حكومة المتصرفية إنشاء طريق سالكة للعربات بين بيروت، وطرابلس، وفرضت ضريبة على السكان للعمل عدة أيام في إنشائه على سبيل السخرة^(٣) ولما ولما أراد نعوم باشا سنة ١٩٠٠ فتح طريق من الجمهور إلى بعبداء فرض على أهل الساحل ضريبة للاشتراك في دفع نفقات هذا الطريق، فاحتجوا على ذلك؛ لأن الطريق لا يخدمهم، كما أقامت حكومة المتصرفية بما يسمى الخانات التي كان يلجأ إليها المسافرون والتجار ومن هذه الخانات: انطلياس جونية، البترون، وكان فيها مكان مخصص للعناية بالحيوانات^(٤).

ب- الجسور: إن قلة وجود الطرق ليس السبب الوحيد الذي يعيق تحرك السكان؛ بل إن غياب الجسور عن الأهمار شكل سبباً آخر، وتأثير الدوافع الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية قام المتصرفون ببناء الجسور^(٥)، ومن أهم تلك الجسور:

- **جسر جديدة الشوف:** أنشئ في زمن واصا باشا على نهر الدامور على الطريق الواصل بين المختارة^(٦) وبيت الدين، وهو بارتفاع اثني عشر متراً من سطح النهر.

- **جسر القاضي:** أنشئ في عصر واصا باشا سنة ١٨٨٥ طوله ثلاثون متراً على نهر الدامور على الطريق الواصل بين بيت الدين، وسوق الغرب.

- **جسر رستم باشا:** أنشئ في زمن واصا باشا على نهر بيروت على الطريق الممتد من بعبداء على طريق الحازمية إلى الجديدة^(٧).

١ - حقي: مصدر سابق، ص ٦٠٧.

٢ - معطى: مرجع سابق، ص ١٦٣.

٣ - سعيد: تطور الملكية، ص ٢٠٠.

٤ - معطى: المرجع السابق، ص ١٦٣.

٥ - غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٩١.

٦ - المختارة: تابعة لقضاء الشوف، وترتفع عن البحر ٨٥٠ م، وتبعد عن بيروت ٥٦ كم. هشي: مراسلات، ص ١٤٤

ص ١٤٤

٧ - حقي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣١.

ج- السكك الحديدية: بدأت الدولة العثمانية بمنح امتياز مد السكك الحديدية للشركات الأجنبية منذ عهد السلطان عبد العزيز ١٨٦١ - ١٨٧٦^(١)، ومنها:

- خط دمشق - بيروت: ففي سنة ١٨٩٠ منحت الدولة العثمانية امتياز مد خط السكة الحديدية بين دمشق وبيروت؛ ليوسف أفندي مطران، وبسبب تأخره عن تقديم المصورات للمشروع خلال المدة المعينة، أُعطيَ الامتياز إلى حسن بيهم في سنة ١٨٩١، وسمى شركته الشركة المساهمة العثمانية لخط بيروت دمشق الاقتصادي، ولكن ما لبث أن استعاد يوسف مطران امتيازَه السابق، وأنشأ شركة باسم شركة ترامواي دمشق برأسمال قدره أربعة ملايين فرنك ذهبي قسمت على ثمانية آلاف سهم، سعر كل سهم منها ٥٠٠ فرنك^(٢)، ومن ثم تم دمج الشركتين باسم شركة الخطوط الحديدية العثمانية الاقتصادية لبيروت ودمشق^(٣)، وبلغ طول الخط ١٤٧ كم ويحتوي على أربعة أنفاق فكان قطار الركاب يقطع هذه المسافة بتسع ساعات، أما قطار البضائع والشحن يقطعها في إحدى عشرة ساعة^(٤)، ومن محطات هذا الخط: بيروت، الحدث، بعدا، عالية، بمحمدون^(٥).

- خط بيروت - المعاملتين: يسير هذا الطريق على شاطئ البحر، ويمر على بعض القرى الساحلية وأهمها بلدة جونبة، وكان الهدف منه وصل مدينة طرابلس ببيروت، ولكنه لم ينفذ منه سوى ١٩ كيلو متراً عند قرية المعاملتين^(٦).

د- الموانئ: اتخذ مجلس إدارة جبل لبنان في عهد أوهانس باشا قراراً بفتح ثلاثة موانئ في شكا وجونية، والجبية، وفي سنة ١٩١٣ دخلت أول باخرة إلى مرفأً جونبة، وقدرت عدد المراكب التي دخلت للمرفأ ٤٥١ مركباً، وقدرت حمولتها بـ ٥٨٧٠ طن^(٧)، ولم يكن بمقدور تلك المرافئ استيعاب استيعاب السفن الكبيرة ذات الحمولة الثقيلة^(٨)؛ لذا اتجه التجار في جبل لبنان إلى المرافئ الساحلية

١- عوض: مرجع سابق، ص ٢٧٥.

٢- كرد علي: مصدر سابق، ج ٥، ص ١٧٨.

٣- عوض: المرجع السابق، ص ٢٧٦.

٤- كرد علي: المصدر السابق، ص ١٧٩.

٥- عوض: المرجع السابق، ص ٢٧٧.

٦- كرد علي: المصدر السابق، ص ١٨١.

٧- خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٩٦ - ١٩٧.

٨- خاطر: المرجع نفسه، ص ٢٠٠.

الأخرى كمرفأ بيروت وطرابلس، وصيدا، وفي سنة ١٩١٠ وصلت حركة الاستيراد والتصدير في مرفأ بيروت إلى ٢٨٤.٢٣٢ طناً^(١).

هـ - التلغراف: وضع نظام التلغراف سنة ١٨٦٩^(٢)، وتمركزت مراكز التلغراف في جبل لبنان في جزين، وزحلة، وجونية، والبترون، وبرمانا صيفاً وشتاءً، وفي بعدا والشويفات، والجديدة في مدة الشتاء، وفي عالية، وبعقلين في فصل الصيف.

- أجوره: من كلمة إلى عشرين كلمة ضمن ولاية بيروت خمسة قروش، وكل كلمة زائدة يؤخذ عليها عشر بارات، أما بين الولايات والمتصرفات فمن كلمة إلى عشرين كلمة يؤخذ قرش ونصف وما زاد عن ذلك يؤخذ عن كل كلمة عشرون بارة.

- مأمورو التلغراف: كان مدير تلغراف مركز المتصرفية قيصر أفندي، ومدير تلغراف برمانا ممدوح أفندي الصلح، ومدير تلغراف قضاء المتن عزيز أفندي نحول، ومدير تلغراف جونيه المير قيصر شهاب ومدير تلغراف زحلة رشيد بك فارس، ومدير تلغراف جزين فتحي أفندي حكيمان، ومدير تلغراف الشوف محمد أفندي جلول، ومدير الكورة بشارة أفندي نحول، ومدير البترون سليم أفندي عيسى^(٣).

٦- الطرق وأثرها الاجتماعي: عدّت الطرقات من الأملاك العامة، حيث خصصت لها مجلة الأحكام العدلية فصلاً مستقلاً من ٢٢ مادة (١٢١٣ - ١٢٣٣)، وحددت هذه المواد طريقة الاستفادة من الطرق العامة، والفرعية، والمسالك، والممرات^(٤)، كما حددت المادة ١٢١٦ ضرورة الاستملاك للطريق العام والفرعي بأمر سلطاني، أما على صعيد الممرات، والطرق الزراعية، فنصت المادة ١٣ من قانون الأراضي على الآتي: (للمرء أن يمنع الآخرين من المرور بغير حق في الأراضي الكائنة بتصرفه بالطابو؛ وإنما ليس له الحق أن يمنع من كان له حق المرور قديماً في تلك الأراضي)^(٥).

١- معطى: مرجع سابق، ص ١٦٧-١٦٨.

٢- كرد علي: مصدر سابق، ج ٥، ص ٢٣٥.

٣- الأسود: دليل لبنان، ص ٦٤-٦٦.

٤- سعيد: أشكال الملكية، ص ١٢٤.

٥- الدستور: مصدر سابق، ص ١٧.

سهلت الطرقات عملية التبادل التجاري للمنتجات الزراعية الريفية بين القرى الجبلية من جهة وبينها وبين المدن الساحلية من جهة أخرى، وإمكانية تصديرها إلى الخارج^(١).

كما أسهمت الطرقات، والسكك الحديدية في زيادة موارد مالية السلطنة العثمانية حيث بلغ مردود حاصلات خط بيروت - دمشق سنة ١٩٠٤ حوالي ١٧١٢٩٤٧^(٢)، وبلغ طول طرق جبل لبنان العمومية حوالي ٩٠٠ كم في سنة ١٩٠٧، و ٩٥٠ م في سنة ١٩٠٩، و ١١٠٤ كم في سنة ١٩١٣^(٣)، وهذه الإحصائية تدل على مدى اهتمام المتصرفين بإنشاء الطرق.

٧- الكهرباء: سمحت السلطنة العثمانية باستعمال الطاقة الكهربائية في جبل لبنان بموجب فرمان الصادر في سنة ١٨٨١، وفي السنة التالية منحت السلطنة السيد ألكسندر دي جيراردان الفرنسي امتياز إنارة مد بغاز الفحم، واستلم هذا المشروع شركة عثمانية معظم أموالها فرنسية ونصت المادة ٣٢ من دفتر شروط إنشاء هذه الشركة بأن الدولة العثمانية تعلم صاحب الامتياز وتقترح عليه شروط قبول الطلبات الموجهة من مدينة بيروت جزئياً أو كلياً بالكهرباء أو بأية وسيلة أخرى، ولكن السيد جيراردان لم يقيم بأي عمل من هذا الامتياز .

وفي سنة ١٩٠٦ منحت السلطنة العثمانية سليم أفندي امتياز إنشاء واستثمار شبكة نقل بالقطار الكهربائي في بيروت، حيث أنشئت شركة عثمانية معظم أموالها بلجيكية لاستثمار هذا الامتياز وطالبت شركة غاز بيروت بامتياز توزيع الطاقة الكهربائية للعموم، وأنشأت هذه الشركة في بيروت معملًا بخارياً بقدرة ٢٤٠ كيلو واط، وتوصلت لإنارة أول مصباح كهربائي سنة ١٩١٠، وعشية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ استقر هذا الامتياز على شركتين الشركة العثمانية لغاز بيروت، والشركة المغفلة للقطار، ولكهرباء بيروت، وفي زحلة جهزت مجموعة من الزحليين سنة ١٩٠٩ مولداً كهربائياً داخل طاحونة وادي العرايش مستعملين مياه نهر البردوني فأناروا مدينة زحلة بتيار مستمر ٢٢٠ فولتاً، أما بالنسبة للشركتين فقد أصيبتا بالإفلاس؛ فاضطرتا إلى الاستدانة بالعملية الذهبية على أمل إنقاذ الوضع باستثمار بعض الأموال الإضافية، حيث استدانَت شركة الغاز ٨,٧ مليون فرنك ذهبي، وشركة القطار ١٣,٢ مليون فرنك ذهبي، ولكن تلك الاستدانة لم تقدم أي نفع بالنسبة للامتياز^(٤).

١- سعيد: أشكال الملكية، ص ١٢٧.

٢- سعيد: المرجع نفسه، ص ١١.

٣- سعيد: المرجع نفسه، ص ١٣١.

٤- مؤسسة كهرباء لبنان: الكهرباء في لبنان تاريخ قرن ونصف ١٨٨٥ - ١٩٩٤، بيروت، ١٩٩٦، ص ٢٥-٢٦.

خلاصة الفصل الثاني

نستنتج من كل ما سبق ما يلي:

- شكلت الأرض المصدر الأساسي للعيش لسكان الجبل، حيث احتلت الزراعة المرتبة الأولى في حياة السكان ومعيشتهم، والسبب في ذلك هو النظام الإقطاعي الذي كان سائداً في الجبل الذي كان يتألف من الفلاح العامل الذي يجاهد من أجل لقمة العيش، ومن البيوت الارستقراطية التي كانت تقوم باستغلال الفلاحين إلى أقصى درجة ممكنة، وهذا ما يؤكد سيطرة النظام الإقطاعي الزراعي على الجبل .
- عدم تطور الإنتاج الزراعي بالشكل المطلوب بسبب بدائية نمط الإنتاج، واستعمال الأدوات الزراعية التقليدية، وعدم استخدام الأسمدة اللازمة لذلك التطور؛ بالإضافة إلى خضوع الزراعة إلى عدة عوامل طبيعية أخرى، مثل: انتشار الأمراض، والأوبئة، وموجات البرد، والصقيع .
- استغلال كبار الملاكين لعدم قدرة الفلاحين على دفع الضرائب المفروضة عليهم، فسيطروا بذلك على مساحات واسعة من الأراضي من خلال عقود الشراكة المتنوعة، منها: المزارعة، والمساقاة والمغارسة.
- نشوء بعض الملكيات الزراعية الصغيرة من خلال الأموال التي كان يرسلها المهاجرون إلى أهاليهم، وعن طريق بعض أنواع استثمار الأراضي.
- اهتمام الفلاحين بالزراعات المرتبطة بالصناعات، والحرف اليدوية .
- سيطرة التجار المسيحيين على التجارة الخارجية بفضل أموال المغتربين منهم وعلاقتهم مع الدول الأوروبية، فضلاً عن الوكلاء، والوسطاء الذين ارتبطوا بالتجارة الخارجية، في حين اكتفى المسلمون بالتجارة الداخلية وأسواقها، واعتمد الجبل بشكل رئيس على تجارة الحرير من خلال زيادة الطلب الأوروبي على هذه المادة الخام، و لاسيما فرنسا التي كانت تقوم بتصنيعه وإعادةه إلى سوق الجبل؛ مما أدى إلى تراجع بعض الحرف اليدوية نتيجة مزاحمة البضائع الأوروبية.
- إن ربط جبل لبنان اقتصادياً بالدول الاستعمارية أعطى الزراعة طابع السيطرة الاستعمارية، واقتصادها على إنتاج الحرير الذي كان يباع خاماً؛ مما سهل تغلغل الرأسمال الأجنبي في صناعته.



الفصل الثالث

أولاً - الملكية العقارية في جبل لبنان خلال الحرب العالمية الأولى:

لقد وجدت عدة أنواع للملكيات الزراعية في الجبل^(١)، ولكن من أكثر هذه الأنواع انتشاراً هي الملكية الزراعية الصغيرة، ويعود ذلك لعدة أسباب منها:

١- الوضع الجغرافي للجبل، حيث وجدت مساحات واسعة من الأراضي غير صالحة للزراعة بسبب بدائية الأدوات الزراعية.

٢- كان لثورة طانيوس شاهين دورٌ مهمٌ في تفتيت سيطرة الإقطاعيين في الجبل.

٣- أدت الهجرة دوراً آخر بانتقال قسم من الإقطاعيين إلى بيروت، أو حتى إلى دول الاغتراب وهذا ما ساعد الفلاحين على الاستفادة من الثورة الفلاحية من جهة، وقلة الأيدي العاملة من جهة أخرى^(٢)، وبالرغم من ذلك فإن ما جمعه الفلاحون الصغار في الجبل لا يمكن مقارنته بما كانت تملكه الكنيسة المارونية، فاعتباراً من منتصف القرن التاسع عشر أصبحت الكنيسة المارونية أكبر قوة عقارية في الجبل، حيث استغلت ظروف الثورة، وما تبعها استغلالاً واسعاً بغية السيطرة على مساحات واسعة من الأراضي المسماة بالموات، والسبب في زيادتها الهجرة، والتزوح، والوفاة، ومن الجدير ذكره أن الأراضي الموقوفة كانت أساس الملكية العقارية الكنسية في الجبل.

قضت الحرب العالمية الأولى على العديد من الفلاحين الصغار، والمتوسطين من سكان الجبل حيث اضطر العديد منهم إلى بيع أراضيهم إلى رؤساليي بيروت، وطرابلس، وحلب بأسعار منخفضة جداً، فاستولى هؤلاء الرؤساليون على أجزاء واسعة من الأراضي؛ في المتن، والشوف، وكسروان وبيروت، وعلى الرغم من عدّ الملكية الزراعية الصغيرة أكثر الأنواع انتشاراً، إلا أنها كانت عرضة لتقلبات، وأزمات شديدة، ولم يكن بمقدور الفلاح بمفرده تحمل السنين العجاف، وتقلبات المردود الزراعي، فاضطر للتوجه إلى المرابين ليستدين منهم الأموال؛ مما زاد وضعه سوءاً^(٣).

وبالتالي اتسمت الملكية العقارية بسمتين متناقضتين؛ إما ملكية صغيرة فقيرة متمثلة بملكية بعض الفلاحين، أو ملكية كبيرة غنية متمثلة بملكية الكنيسة المارونية.

١- تم ذكرها في الفصل الثاني بالتفصيل من ص ٦٧-٧٢.

٢- ضاهر: تاريخ لبنان الاجتماعي، ص ١٩٤-١٩٥.

٣- ضاهر: المرجع نفسه، ص ١٩٩.

ثانياً: الوضع الاقتصادي في جبل لبنان أثناء الحرب:

عاش جبل لبنان قبيل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨، أصعب فترة اقتصادية من خلال انخفاض دخله من تجارة الحرير، وعدم دفع الأهالي للضرائب؛ مما أدى إلى عجز في ميزانيته، وهذا بدوره دفع مجلس إدارة جبل لبنان إلى طلب المساعدة المالية من السلطنة العثمانية^(١)، كما طالب الاتحاد اللبناني الذي أسسه يوسف السودا^(٢)، وأنطوان الجميل^(٣)، وإسكندر عمون^(٤) في القاهرة في شباط سنة ١٩٠٩ بانتخابات لمجلس الإدارة في جبل لبنان كما طالبت اللجنة اللبنانية في باريس عن طريق خير الله خير الله^(٥) بالحد من صلاحيات المتصرف وزيادة عدد أعضاء مجلس الإدارة إلى ١٨ عضواً، والسماح بفتح مرافئ على الساحل، وتحصيل الرسوم الجمركية.

أصدرت الدولة العثمانية بروتوكولاً سنة ١٩١٢ الذي نص على توسيع القاعدة الانتخابية لمجلس الإدارة، وإشراكه في القرار بوضع الموازنة، حيث أعطيت قرية دير القمر مقعداً مارونياً ثانياً، مقابل

- ١- طرابلسي، فوز: تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٨٦.
- ٢- يوسف بن حنا السودا ١٨٩١-١٩٦٩: محام لبناني من أهل بكفيا، حصل على شهادة الحقوق من مصر، وعمل في المحاماة، وعاد إلى جبل لبنان سنة ١٩٢١. الكيالي: مرجع سابق، ج ٧، ص ٤٥٧.
- ٣- أنطوان الجميل ١٨٨٧-١٩٤٣: أديب، وصحفي. اشترك في تحرير جريدة البشير البيروتية، أصدر سنة ١٩١٠ مجلة الزهور الشهرية الأدبية في القاهرة مع أمين تقي الدين، كما تسلم تحرير جريدة الأهرام، وعمل في وزارة المالية ثم في جريدة الأهرام إلى أن تولى رئاسة تحريرها، وانتخب عضواً في مجلس الشيوخ المصري وبالجمع العلمي العربي بدمشق وبالجمع اللغوي بالقاهرة، وبكثير من الجمعيات، وتوفي في القاهرة ومن آثاره: شوقي شاعر الأمراء، رواية السموع وفداء العرب، مسرحية أبطال الحرية، البحر المتوسط والتمدن مختارات الزهور. كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠٩.
- العودات: مرجع سابق، ص ٧٨.
- ٤- إسكندر عمون ١٨٥٧-١٩٢٠: ابن أنطوان بن يوسف عمون، ولد في دير القمر عالم بالحقوق عمل بالأدب شارك في ترجمة تاريخ الجبرتي من العربية إلى الفرنسية، وترجم عن الفرنسية كتاب الرحلة العلمية في قلب الكرة الأرضية. الزركلي: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٠٣.
- ٥- خير الله خير الله ١٨٨٢-١٩٣٠: من مواليد قرية جران بمنطقة البترون، تلقى دروسه في مدرسة القرية، ومن ثم انتقل إلى مدرسة مار يوحنا مارون في كفرحيا، ثم التحق بمدرسة الآباء اللعازاريين في عينطورة سنة ١٨٩٥، وفي سنة ١٩٠١ أرسله البطريك إلياس الحويك إلى بلجيكا لمتابعة دروسه الفلسفية اللاهوتية فدخل معهد سان ترون اللاهوتي ولكنه رفض الانضمام في سلك الكهنوت، فعاد إلى جبل لبنان وبين سنتي ١٩٠٧-١٩١١ عمل كمدرس، وصحفي في بيروت فكتب بالفرنسية في المجلة السورية، وجريدة الحرية التي عطلت عدة مرات؛ بسبب آرائه التحريرية، ونشر في سنة ١٩٠٨ بالفرنسية كتاباً حول المسألة الاجتماعية، والمدرسية في سوريا، وسافر في سنة ١٩١١ إلى باريس فعمل بالصحافة وفي سنة ١٩١٢ نشر مؤلفاً بعنوان (سوريا). الكيالي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٣٧.

إضافة مقعد درزي في الشوف للتعويض عن مقعد جزين الذي أعطي للموارنة كما فُتح مرفأً جونية أمام تجارة جبل لبنان^(١).

إن مشاركة الدولة العثمانية لألمانيا في الحرب أسفر عن أزمات اقتصادية خانقة في جبل لبنان حيث لحقت أضرار فادحة بالقطاعات الاقتصادية جميعها، ولم يكن بمقدور الأهالي تفاديها؛ فالإنتاج الزراعي وصل إلى أدنى مستوى له، وقلّ إنتاج الجبل من شرانق الحرير^(٢)؛ وقُطعت العلاقات التجارية مع فرنسا؛ مما أدى إلى ندرة بذور القز؛ لأن فرنسا عدّت المصدر الرئيس لتلك البذور؛ مما أدى لانخفاض الإنتاج، وقلة جودته^(٣)، كما أدت المجاعة التي حدثت بين سنتي ١٩١٧-١٩١٨ إلى هلاك ٤٠% من الأيدي العاملة من الفلاحين، والتي انعكست سلباً على أعدادهم بشكل واضح^(٤)، كما أن قطع أشجار التوت لزراعة أنواع زراعية غذائية أخرى لاستخدامها كوقود خشبي للقطارات كان سبباً لتدهور زراعته^(٥).

بالإضافة إلى ذلك تم إغلاق الأسواق الخارجية لفقدان الأمن، والاستقرار، وتأثرت الطرق، وتم تخريبها بفعل الحرب، أما الأسواق الداخلية، فتعرضت للضرر نفسه بسبب الفقر المنتشر؛ مما أثر في القوة الشرائية للمواطنين^(٦)، كما أدت إلى توقف السفن التجارية الأوربية (البريطانية، والفرنسية والروسية) من ارتياد الموانئ العثمانية، ومنها ميناء بيروت^(٧)، وهذا ما أسفر عن عدم قدرة السياح الأجانب من الوصول إلى الجبل، وخسارة مورد اقتصادي مهم كانت تعتمد عليه بعض العائلات في عيشها^(٨)، وأيضاً توقف استيراد بعض الحاجات الضرورية في الحياة كالأدوية، والسكر، والأقمشة ارتفعت الرسوم الجمركية بنسبة مئة بالمئة^(٩)، كما شهد الجبل تراجعاً في أغلب الصناعات والحرف

١- طرابلسي: مرجع سابق، ص ٨٧-٨٨.

٢- معطي: مرجع سابق، ص ٢٢١.

٣- طرابلسي: المرجع السابق، ص ٢٢٢.

٤- حمادة، سعيد: النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٦، ص ١٢٨.

٥- لوتسكي، فلاديمير: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١ ص ٢٣٨.

٦- مزهر: مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٦٤.

٧- معطي: المرجع السابق، ص ٢٢٣.

٨- حمادة: المرجع السابق، ص ١٢٨.

٩- معطي: المرجع السابق، ص ٢٢٣.

ولا سيما تلك الحرف التي تعتمد على المواد الأولية المستوردة، حيث كانت صناعة حل شرانق الحرير من أكثر الصناعات ضرراً من جراء الحرب^(١).

اعتمد النظام الاقتصادي للجبل في عهده الأول على المشاريع الصغيرة البسيطة، وعدت الزراعة العمل الاقتصادي الذي مارسه أكثرية السكان، ولكنها لم تكن من النوع التجاري الذي يحقق أرباحاً ويكسب ثروات طائلة؛ أما كانت من نوع يسد حاجة الإنسان الأساسية؛ لأنها كانت على مستوى بدائي، في شكل الإنتاج، وأدواته، وأغلب الصناعات فردية لا تتعدى استهلاك أبناء القرية، حيث وجد في كل بيت نول لحياكة ما يحتاجه من ألبسة، وكانت التجارة و الأعمال التجارية تقوم على أساس شخصي، كما أن وجود البضائع الأجنبية في الأسواق الداخلية شكل عامل منافسة للصناعات المحلية، ولا سيما الصناعات التي اعتمدت على الأقمشة القطنية، والصوفية؛ مما أدى إلى تراجع الكثير من الحرف والصناعات؛ بسبب تخلف وسائلها الإنتاجية البدائية، مقارنة بالبضائع الأجنبية، وهناك بعض الحرف التي انقرضت: كالحياكة، والصباغة، وصناعة السلال، والخزف، ويجب ألا ننسى الدور المهم الذي أداه المغتربون في الاقتصاد في الجبل اللبناني من خلال إرسال الأموال إلى أهاليهم، وأقاربهم من المهجر؛ مما ساعد أهاليهم نوعاً ما في تحسين مستوى معيشتهم^(٢)، وقدرت الأموال التي وصلت إلى الأهالي من المغتربين في أول سني الحرب ٢٥٩ مليون دولار^(٣)، ومثال على هول الفاجعة في أثناء الحرب أن بلدة مثل البترون كان عدد سكانها عند نشوب الحرب خمسة آلاف نسمة، وعند انتهاء الحرب بلغ عددهم ألفين فقط، وهذا دليل على المأساة الاجتماعية التي عانى منها الجبل في أثناء الحرب ...

و عليه يمكن اختصار ويلات الحرب العالمية الأولى على الجبل بالآتي:

أ- زوال موسم الاصطياف والسياحة.

ب- عدم وصول الأموال التي كان يرسلها المغتربون إلى أهاليهم.

ج- قطع طريق البحر.

د- التأثير في الزراعة بشكل سلبي؛ لاستخدام الأشجار وقوداً للقطارات الحديدية.

١- الحكيم: مرجع سابق، ص ١٢٨.

٢- حنّ: مرجع سابق، ص ٥٧٢-٥٧٦.

٣- حنّ: المرجع نفسه، ص ٥٩١.

ه- ندرة المواد الغذائية، وارتفاع الأسعار ارتفاعاً جنونياً؛ مما أسهم بالركود الاقتصادي.

و- فرض السلطات العثمانية (سفر بلك) نظام التجنيد الإجباري.

ز- وضع السلطات العثمانية يدها على التجارة، ومصادرتها للمواد الغذائية^(١).

ومن الجدير ذكره أن أحد أساتذة الجامعة الأميركية دوّن الأوضاع التي وصل إليها جبل لبنان خلال سنوات الحرب بما يأتي: ((أما المعسرون فبعد أن فرغوا من بيع أشياءهم، قصد قسم منهم الداخلية لتحصيل الأقوات من مخالب الآفات، وقسم ظلوا في قراهم يستقبلون الموت تحت سقوف منازلهم وقسم هبط إلى الساحل فأصاب بيروت منهم نصيب كبير، فانضموا إلى متسوليهما، وأصبحوا جيشاً كبيراً، وقد كانوا طبقتين، الأولى: هم الذين كانوا لم يزل فيهم شيء من النشاط مكّنهم من أن يطوفوا على أبواب المخازن والمنازل للاستعطاء، وكانوا يبحثون في الدمن والمزابل لعلهم يعثرون على ما يشغلون به المعد الفارغة من قشور الموز والبطاطا والليمون وألواح الصببر وغير ذلك، وكان بعضهم يقصدون الجيف المنتنة للالتهايم منها .

أما القسم الثاني: فهم الذين خارت قواهم من شدة ما عانوا من سوء المعيشة والجوع، فانطرحوا على جوانب الشوارع يستنجدون بكلمات تفتت الأكباد، بل بعضهم لم يبق فيهم الضعف قوة لرفع أصواتهم، فكانوا يستغيثون بعيونهم الدليلة، وهم منطرحون في الطرقات على أن أشد منظر على النفس كان منظر الأطفال))^(٢).

وأيضاً هناك وثيقة أخرى دوّنها الكاهن الماروني أنطوان يمين عن الأوضاع القاسية التي وصل إليها الجبل خلال سنوات الحرب بالآتي: ((كان البشر يلتمسون لحوم البشر في بيروت، وجبل لبنان وطرابلس، وجبل عامل، وفي بيروت كان ضحايا المجاعة المتكدسون في الطرقات تجمعهم عربات البلدية، و تكبهم في مقابر جماعية، وبعضهم لا يزالون أحياء يرزقون))^(٣).

من خلال قراءة التوصيف الذي قدمه كل من الأب أنطوان يمين، والتقرير الذي قدمه أحد أساتذة الجامعة الأمريكية، نلاحظ وجود بعض العبارات، والجمل القاسية على الصعيد الإنساني، وهذا دليل على المأساة، والمعاناة التي وصل إليها الجبل في الحرب .

١- طرابلسي: مرجع سابق، ص ١٢٣.

٢- حنّ: مرجع سابق، ص ٥٩٠ - ٥٩١.

٣- طرابلسي: المرجع السابق، ص ١٢٤.

١- دور جمال باشا في الأحداث، وتأثيره في الاقتصاد اللبناني :

بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى بعشرة أيام، كُلف جمال باشا وزير البحرية، بمهمة عسكرية في سورية^(١)، وفور وصوله إلى دمشق اتخذ إجراءات عديدة ألغيت بموجبها الامتيازات السياسية لجبل لبنان^(٢)، ومع تسلمه قيادة الجيش الرابع أخذ يعد العدة للهجوم على مصر، فأنشأ ما يسمى بـ لجنة التكاليف الحربية التي كانت مهمتها مصادرة كل المواد الضرورية خلال مدة الحرب مقابل سندات تسلم إلى أصحاب تلك المواد^(٣)، ولكنها قامت بمصادرة أشياء كثيرة من المواطنين البعض منها لم يكن الجيش بحاجة لها^(٤)، ومن الأشياء المصادرة: الأرز المطحون، والحبوب، وحتى الأغذية الموجودة في المنازل، والأحذية^(٥)، ومما سبق نستنتج بأن أعضاء اللجنة استغلوا عملهم للمنفعة الشخصية، والدليل على ذلك هو مصادرتهم لأشياء لا يحتاجها الجيش.

ومن الأشياء الأخرى التي صودرت أيضاً: العربات، والخيل، والحمير، والجمال، والبغال، والغنم والماعز، وكل ذلك أدى إلى ارتفاع هائل في الأسعار؛ وبالإضافة إلى ذلك ارتفعت أسعار علف الحيوانات؛ فبلغ ثمن رطل الشعير ست ليرات عثمانية، ورطل التبن ليرتين^(٦).

١- كوثرائي: مساهمة في دراسة أصول، ص ٢٥٩.

٢- ونتيجة تدخل جمال باشا في أمور الجبل توجه المتصرف أوهانس إلى الصدارة العظمى يشكو ذلك، فتلقى برقية جوابية موقعة من رئيس الصدر الأعظم يقول فيها: ((إن عليه من الآن و صاعداً أن يتقيد بالأوامر الواردة إليه من وزارتي الحربية والداخلية، وأنه لما كان جمال باشا يمثل هاتين السلطتين فعليه أن يساعده في سائر الأمور التي تتطلبها منه، كما أن جمال باشا لدى وصوله إلى مركز القيادة في دمشق وجه برقية إلى أوهانس باشا يدعو فيه للمثول بين يديه، وكان نصها: (متصرف جبل لبنان - تعالوا غداً لمقابلتي في دمشق). الحكيم : مرجع سابق. ص ١٦٠. بك: مصدر سابق، ص ١٣١.

٣- معطي: مرجع سابق، ص ٢٢٤.

٤- يذكر شاكر الخوري بأنه ذهب يوماً إلى سرايا بعيدا لزيارة والده، وكانت الدولة العثمانية قد دخلت الحرب إلى جانب ألمانيا، وعندما حانت ساعة الانصراف طلبنا عربة توصلنا إلى بيتنا في فرن الشباك فلم نجد فذهبنا مشياً وعندما وصلنا إلى مركز المتصرفية وقف والدي، والتفت إلى السرايا وقال لي حزينا: ((يا بشارة هذه آخر أيام امتيازات جبل لبنان، فإذا انتصرت السلطنة زال النظام، وإذا انكسرت جاءنا الاحتلال الأجنبي!)).. بشارة الخوري: مرجع سابق، ص ٧٥.

٥- غصن، فؤاد : مذكراتي خلال قرن، بيروت، ١٩٦٧، ص ٥١ - ٥٢.

٦- غصن: المرجع نفسه، ص ٧٦.

وبالتالي إن مصادرة الحيوانات الخاصة بالنقل، والحراثة في الأرض، أثرت في حركة النقل بين القرى وإلى تراجع العمل، والإنتاج في الأرض من خلال فقدانها لعنصر مهم للعمل بها، فالبغال كانت تستخدم للفلاحة، والحمير، والجمال تستخدم للنقل .

على المستوى الصحي: كان الصيادلة في بيروت، والجبل يشتررون الأدوية بأسعار مرتفعة جداً من جراء ويلات الحرب، كما قام جمال باشا بالاستيلاء على طرق المواصلات، ووسائل النقل من أجل تسهيل نقل الجنود، حيث منع المواطنين من التنقل بين قراهم، ونقل أرزاقهم من قرية إلى أخرى إلا بإذن خاص من القيادة العليا^(١).

ومن الأسباب التي أدت إلى تدهور الأوضاع الزراعية؛ قطع أشجار الغابات، والزيتون من جبل لبنان و بيروت، ودمشق لاستخدامها كوقود للقطارات بأمر من جمال باشا، ولا سيما بعد نفاذ الفحم الحجري^(٢)؛ لذا أخذت الأوضاع الاقتصادية بالتراجع أكثر فأكثر؛ بسبب نفاذ المواد الغذائية من الأسواق، ومنع القيادة العسكرية العثمانية من استيرادها من المدن الداخلية، كدمشق، وحصص بحجة تموين الجيش الذي يدافع عن السلطنة^(٣)، ومما زاد الأزمة الاقتصادية تعقيداً هي الإجراءات التي اتخذها جمال باشا ويمكن إجمالها بالآتي:

١- أمر جمال باشا في ١١ آذار سنة ١٩١٥ بنقل البضائع والحيوانات، والعربات جميعها بعيداً عن الشاطئ؛ لأنه كان يخشى من عملية إنزال على الشاطئ السوري من قبل الحلفاء وإضرار النار بكل ما لا يمكن نقله؛ ما أدى لخسارة الكثير من العائلات لمنازلها وممتلكاتها فشكل ذلك كارثة كبيرة.

٢- عمل على تسخير الرجال، والنساء، وإجبارهم على الأعمال الشاقة، كشق الطرق، وبناء الجسور، وحفر القنوات.

٣- صدور نظام السخرة: وهو قانون أصدرته السلطنة العثمانية في ٢٤ تموز سنة ١٩١٦، حوّلته سلطة استخدام العثمانيين، وغير العثمانيين في السلطنة الذين لم يؤدوا الخدمة العسكرية للقيام بالأعمال الزراعية .

١- معطي: مرجع سابق، ص ٢٢٥.

٢- لوتسكي: مرجع سابق، ص ٤٣٨ - ٤٣٩.

٣- الحكيم: مرجع سابق، ص ٢٤٩.

وبعد فشل هجوم جمال باشا على مصر، أخذ يعدّ العدة لحملة ثانية، فأمر بتجنيد الرجال القادرين على حمل السلاح، وفرض ضريبة جديدة على المخازن التجارية المستأجرة بنسبة ٢,٥ % في السنة وأصدر بعض القوانين التي زادت الأمر سوءاً؛ فزادت أسعار المواد الأولية بنسبة ١٥٠%^(١)، وعليه يمكن القول: إن السياسة التي اتبعها جمال باشا في بلاد الشام، شكّلت الضربة القاضية التي أسفرت عن عدم قدرة أهالي الجبل على الإنتاج، والاتجار، بحيث لم يعد بمقدور السكان تأمين متطلبات الحياة الأساسية والضرورية من غذاء، وكساء إلا بصعوبة بالغة .

٢- الدور الدولي في الأزمة الاقتصادية :

إنّ الحصار البحري الذي فرضه الحلفاء على سواحل بلاد الشام أثر بشكل كبير في الأزمة الاقتصادية التي حلّت في بلاد الشام بشكل عام، وبشكل خاص في جبل لبنان، حيث قام الأسطول الفرنسي بمراقبة السواحل السورية اللبنانية، وساعدته بذلك السفن الحربية الروسية التي أطلقت قنابلها في كانون الأول سنة ١٩١٤ على باحرتين صغيرتين كانتا في مرفأ بيروت فأحدث ذلك خوفاً بين سكان المدينة فاضطروا لمغادرتها^(٢).

كما أن قوات الحلفاء لم تمنع السفن التجارية من الوصول إلى موانئ سوريا ولبنان فقط؛ بل منعت البواخر التي تحمل المواد الغذائية والأدوية، وهذا ما أكدّه الكتاب الذي وجهه الحبر الأعظم إلى القاصد الرسولي^(٣) من ميونيخ جواباً على التقرير الذي قدمه الأمير شكيب أرسلان إلى البابا يصف فيه الحالة التي آلت إليها الأوضاع في بلاد الشام، ويطلب من البابا إغاثة أهالي سوريا، ولبنان وخاصة المسيحيين منهم. وجاء في الكتاب الآتي: ((إن الحبر الأعظم لم ينسَ ولن ينسى مسيحيو سوريا وأنه قد سعى مراراً لإغاثتهم، ولأجل إرسال الأرزاق التي تخفف من أزمته، ولكن إنكلترا حالت دون إجراء رغبته هذه، ولذلك قلب قداسته مجروح من عمل إنكلترا هذا، وسيعلم المسيحيون في الشرق فيما بعد أن الحبر الأعظم لم يهملهم))^(٤).

١- معطي: مرجع سابق، ص ٢٢٦.

٢- غصن: مرجع سابق، ص ٥١.

٣- القاصد الرسولي: وهو وكيل البابا على كل الطوائف الكاثوليكية في الشرق، ومركزه بيروت .

طربين: لبنان منذ عهد المتصرفية، ص ٣١٧.

٤- أرسلان: مصدر سابق، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

كما منعت بريطانيا باخترتين مشحونتين بمواد غذائية وملابس مرسلة من قبل السوريين الموجودين في أمريكا لمساعدة فقراء أهل الشام؛ وخاصة أهل الجبل من الوصول إلى مرفأ بيروت، ولم ينفع تدخل الحكومة الاتحادية في الأمر^(١)، كما منعت بريطانيا وصول بعض المساعدات والإعانات التي جمعها اللبنانيون، والسوريون في مصر، ولم يسمح لهم بتوزيع تلك المساعدات إلا عند انتهاء الحرب حيث جاء رفيق العظم^(٢)، وميشيل لطف الله إلى سوريا ولبنان، ووزّعا الإعانات على الأهالي^(٣).

مما سبق نستنتج أن الحلفاء اتبعوا سياسة تجويع منظمة تجاه المواطنين في بلاد الشام بشكل عام وخصوصاً في جبل لبنان، من خلال منعهم للمواد الغذائية المرسلة من قبل الجاليات الموجودة في أمريكا ومصر، وهذا لا ينفصل عما نشاهده اليوم من عملية فرض الحصار الاقتصادي على المنطقة وكل ذلك من أجل إخضاع الشعوب العربية للإرادات الاستعمارية الصهيونية.

تحت ضغط الرأي العام في داخل البلاد، وخارجها، قام جمال باشا على تأمين بعض المواد الغذائية للمواطنين، فشكّل اللجان؛ للإشراف على عمليات البيع، والشراء، ولكن هذه اللجان أساءت العمل وقامت بالمتاجرة من خلال توزيع كمية قليلة من تلك المواد، وبيع الكمية الباقية إلى التجار بأسعار مرتفعة، حيث إن أحد موظفي هذه اللجان - ويدعى جورج مزهر^(٤)، وهو من قرية بصاليم كان مسؤولاً عن لجنة قضاء المتن - استطاع في عدة شهور أن يجمع ثروة كبيرة قدرت بمئة ألف فرنك من الذهب على حساب الشعب^(٥).

١ - بك: مصدر سابق، ص ٩٢.

٢ - رفيق العظم ١٨٦٧-١٩٢٥: ولد في دمشق، سياسي، وكاتب سوري، والده الأديب والشاعر محمود العظم صاحبه نسيبه شريف باشا والي سورية معه إلى مصر عندما أحيل إلى المعاش سنة ١٨٩٣، كان محباً للمطالعة، إلا أن مرضه اضطره في مصر إلى الابتعاد عنها فسافر إلى الآستانة ودمشق طلباً للراحة، ثم عاد إلى مصر وأخذ يعمل في الصحافة والتأليف ومن أهم مؤلفاته: الدروس الحكيمة للناشئة الإسلامية، كيفية انتشار الأديان، الجامعة الإسلامية وأوروبا، أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، البيان في أسباب التمدن والعمران. الكيالي: مرجع سابق، ج ٢ ص ٨٢٦-٨٢٧.

٣ - أرسلان: مصدر سابق، ص ٢٣٤.

٤ - آل مزهر: أسرة قديمة تعود في نسبها إلى عشيرة فوارس، وهي ممن قدموا إلى السواحل الشامية بأمر من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور نحو ١٤٢هـ الموافق ٧٥٩م، سكنوا في كفرسلوان في بداية الأمر ثم انتقلوا إلى حمانا وأصبحوا أصحابها، اشتهر منهم المقدم حسين، والمقدم زين الدين، نازع اللمعيون آل مزهر، وسيطروا على إقطاعهم، فترح بعضهم إلى السويداء، ومنهم من بقي في حمانا. اليازجي: مرجع سابق، ص ٢١.

٥ - خاطر: عهد المتصرفين، ص ٢٠٣.

وبالإضافة إلى ذلك قدم جمال باشا بعض الإعانات للهيئات الدينية لمدة سنة كاملة، وذلك من أجل تهدئة الأمور بشكل نسبي مقابل أن يدفعوا ثمن نصف الكمية التي يأخذونها^(١)، فتسلمت البطيركية المارونية ٣٠٠ ألف كيلو من الحبوب في تموز سنة ١٩١٧^(٢).
في أثناء الحرب تم تحويل عدد من المدارس إلى ملاجئ، ففي تشرين الأول سنة ١٩١٦ أسس مجلس إدارة جبل لبنان العديد من الملاجئ، ومنها في مدرسة الآباء العازاريين في عينطورة، وفي دير الآباء اليسوعيين في غزير، ودير مار أنطونيوس، وسلمت إدارة تلك الملاجئ إلى القيمين عليها من رجال الدين.

ثم أنشأ المتصرف علي منيف شركة القمح وتولى إدارتها الطبيب نجيب صقر، وكان مركزها في بعبداء ولها مستودعات كبيرة في أنحاء مختلفة من الجبل، ومن أكبر هذه المستودعات مستودعا عالية والحدث، لوقوعهما على خط القطار الحديدي بين بيروت ودمشق^(٣)، وفي ١١ آذار سنة ١٩١٦ أقام عزمي بك والي بيروت؛ مؤسسة الأعمال اليدوية، وعمل فيها ٧٨ عاملاً وكانت الأجور متوسطة، كما تأسس في ٢٣ تموز سنة ١٩١٧ نادٍ للفتيات المسلمات، وكان مركزه في منزل بشارة الخوري خلف مدرسة البطيركية، وعُين للنادي معلمة لغة عربية وفرنسية وأخرى لتعليم العزف على البيانو، كما ألحق بالنادي مدرسة تسلم إدارتها محمد عمر منيمنة تساعده معلمات لقاء معاشات شهرية، وخصصت المدرسة لتعليم أولاد العائلات التي تأثرت بمصائب الحرب^(٤).

٣- النقد وأثره في الاقتصاد :

عند إنشاء متصرفية جبل لبنان سنة ١٨٦١ تعهدت الدول الست الضامنة للمتصرفية (السلطنة العثمانية، بريطانيا، فرنسا، روسيا، بروسيا، النمسا)، بدفع مبلغ ٦٠ ألف ليرة ذهبية عثمانية كمعونة مالية، على أن تدفع كل دولة عشرة آلاف ليرة ذهبية، ولكن لم تدفع الدول الأوربية من ذلك المبلغ إلا جزءاً بسيطاً، وفي سنة ١٩٠٥ كان جبل لبنان لديه دين بقيمة مليون وستمائة ألف ليرة ذهبية عثمانية، وفي سنة ١٩١٢ وضع بروتوكول أوهانس باشا من أجل حسم نصف ذلك الدين، ولكن نشوب الحرب العالمية الأولى حال دون ذلك^(٥).

١- بك: مصدر سابق، ص ٦٢.

٢- معطي: مرجع سابق، ص ٢٣٥.

٣- غصن: مرجع سابق، ص ٨٥.

٤- معطي: المرجع السابق، ص ٢٣٧.

٥- جرمانوس، أسعد: أصول المارونية السياسية، منشورات دار المراد، بيروت، ط ١، ١٩٩٦، ص ١٢٨.

عمل الكثير من التجار خلال فترة الحرب بالمتجارة بأوراق النقد الدولي على اختلاف أنواعها^(١) حيث انخفضت أسعار العملات خلال الحرب بنسبة تتراوح بين ٢٥ إلى ٥٠ %، فسعر الروبل الروسي انخفضت قيمته بنسبة ١٠ %، فعملوا على استغلال تلك الفرصة، وقاموا بادخار الأوراق النقدية على أن يقوموا ببيعها بأسعار مضاعفة، وتحقيق ربح كبير بعد انتهاء الحرب.

بلغ قيمة ما ادخره التجار، وأصحاب الأملاك من الأوراق النقدية ما يقارب خمسة ملايين ليرة ذهبية عثمانية، وبعد انتهاء الحرب كانت الأسعار مرتفعة جداً؛ بسبب قلة الأيدي العاملة، وغلاء المواد الأولية للصناعات، وارتفاع أسعار الفحم، وأجور المواصلات، فانخفضت قيمة النقد بنسبة كبيرة ما أدى إلى خسارة اقتصادية هائلة، والسبب في ذلك ادخار التجار كميات كبيرة منه^(٢). قبيل الحرب العالمية الأولى قدر المخزون الذهبي في الدولة العثمانية بأربعين مليون ليرة ذهبية، وكان هناك ثلاثون مليون من الليرات الذهبية في التداول، ونلاحظ من خلال هذا الرقم مدى الغنى الذي تتمتع به الدولة العثمانية، ولكن الناس كانوا يعيشون في حالة من الفقر ما يدل على وجود الفساد المالي حيث كان على أي شخص يريد استلام منصب أن يدفع الأموال من أجل ذلك، وعند استلامه المنصب يعرض ما دفعه، ولذلك لم ينعكس ذلك الغنى على الناس.

ويقدم الجدول الآتي إحصاء بالمبالغ التي تم إصدارها^(٣).

تاريخ الإصدار	قيمة الإصدار	في عهد
١٨٤٤	١٤٤٨٠٠٠٠	السلطان عبد المجيد
١٨٧٧	١٤٩٧٠٠٠٠	السلطان عبد العزيز
١٩٠٩	١٦٠٣٦٠٠٠	السلطان عبد الحميد الثاني
١٩١٤	٢٣٨٠٠٠٠٠	السلطان محمد رشاد

ومن خلال هذه الإحصائية يتبين لنا بأن مجموع ما تم إصداره من الليرات الذهبية في الفترة بين سنتي ١٨٤٤ - ١٩١٤ يبلغ ٦٩٢٨٦٠٠ ليرة ذهبية، ونلاحظ أيضاً ازدياد المبالغ التي تم إصدارها قبيل الحرب وبعدها بشكل ملحوظ، ما يدل على انخفاض قيمة العملة المتداولة.

١- منها (الكورون النمساوي، المارك الألماني، الشلن البريطاني، الفرنك الفرنسي، الروبل الروسي).

٢- كرد علي: مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٧٧-٢٧٨.

٣- ضاهر: تاريخ لبنان الاجتماعي، ص ١٩٩.

وفي ٣ آب سنة ١٩١٤ أصدرت السلطنة العثمانية قانوناً حولت بموجبه البنك العثماني حق إصدار أوراق نقدية على ألا تتعدى قيمة هذا النقد أربع ملايين ليرة ذهبية عثمانية، ومن أهم الأمور التي ركز عليها هذا القانون:

- يجب على العثمانيين جميعهم قبول العملة الورقية الجديدة التي يصدرها البنك .
 - كل مواطن عثماني يرفض التعامل بالعملة الجديدة يدفع غرامة مالية تتراوح ما بين ١-١٥ ليرة أو يحكم بالسجن من يوم إلى شهر.
 - يحق للبنك إصدار العملة ما دام القانون سارياً^(١).
- ونلاحظ من خلال هذا القرار حصول تراجع كبير في الوضع الاقتصادي، وفقدان قيمة العملة بنسبة كبيرة، فاضطرت الدولة العثمانية لإصدار مثل ذلك القرار .

أصدر الباب العالي نقداً ورقياً على عدة مراحل، كما هو موضح في الجدول الآتي^(٢):

رقم الإصدار	تاريخ الإصدار	قيمة الإصدار المتوقعة	القيمة المصدرة	القيمة المتداولة
١	٣ تموز ١٩١٥	٦٥٨٣٠٩٥	٦٥٨٣٠٩٤	٣١٤٧٩١٩
٢	٤ تشرين ١٩١٥	٨١٤٠٠٠٠	١٦٥٣٢٥٢٤	١٠٣٤٢١٠٦
٣	٢٥ تموز ١٩١٦	١١٧١٠٠٠٠	٣١٠٦٨٤٨	٢٨٧٧١٠٣
٤	٢١ آب ١٩١٦	٧٧٩٨١٤٠٠	٧٤٨٤٥٩٧٧	٧٤١٧٠٩٢٢
٥	٢٢ شباط ١٩١٧	٣٢٠٠٠٠٠٠	٣٢٠٠٠٠٠٠	٣١٩٦٩٠٠٠
٦	٤ تشرين الأول ١٩١٧	٣٢٠٠٠٠٠٠	٣٢٠٠٠٠٠٠	٣٢٠٠٠٠٠٠
٧	٢٥ أيلول ١٩١٨	٢٤٠٠٠٠٠٠	٢٤٩٩٩٢٥	٢٤٩٩٩٢٥

وتشير تلك الإصدارات إلى مدى العجز المستمر في ميزانية الدولة العثمانية، وعدم قدرتها على فرض العملة الجديدة كأساس للتداول النقدي .

ربطت السلطنة العثمانية الليرة العثمانية بسعر الليرة الذهبية بمعدل ١٠٠ قرش لليرة الورقية، ورغم ذلك استمرت الليرة الذهبية أساس النقد المتداول بين الناس^(٣)، لكن هذا الإجراء الذي اتخذته الدولة العثمانية أثارت المخاوف، والقلق بين المواطنين في بلاد الشام، ولاسيما عندما حاول جمال باشا فرض العملة الورقية الجديدة بالقوة حيث وجّه إلى السكان تهديداً جاء فيه: ((إذا لم تقبل الليرة الورقية بسعر معادل للعملة الذهبية فسأنفي إلى الأناضول والرومللي عشرة من الأغنياء، والشخصيات

١- معطي: مرجع سابق، ص ٢٢٩.

٢- معطي: المرجع نفسه، ص ٢٣٠.

٣- حمادة، سعيد: النظام النقدي والصيرفي في سوريا ولبنان، ترجمة شبل بك داموس، بيروت، ١٩٣٠، ص ٣٦.

البارزة، والتجار، والصناعيين يختارون بالقرعة وألفت الانتباه هنا إلى اسمي المديرين للبنك العثماني والبنك الألماني سيكونان في عداد الأسماء التي ستلقى في صندوق القرعة، و بعد ستة أسابيع من نفي الدفعة الأولى ستأخذ دفعة ثانية الطريق نفسه إلى الأناضول والرومللي، ثم دفعة ثالثة وهكذا بانتظام حسابي إلى أن تصبح الليرة الورقية عملة التداول الطبيعية في المنطقة ((^(١) .

وبالتالي إن هذا التهديد الموجه للأهالي في سوريا، وجبل لبنان ناتج عن عدم قبولهم التعامل بالليرة الورقية العثمانية الجديدة.

وبالمقابل فإن استصدار هذه العملة الجديدة دفع الأهالي، والتجار إلى ادخار ما لديهم من نقود ذهبية، وفضية ما أدى إلى إضعاف السيولة النقدية في الجبل، وعلى الرغم من التهديدات الموجهة من جمال باشا للتعامل بالعملة النقدية الجديدة، إلا أن الأهالي رفضوا التعامل بها، كما أن الصيارفة رفضوا إبدال هذه العملة بأي قطع نقدية أخرى^(٢)، فنتج عن ذلك تكديس مبالغ كبيرة من الذهب في بيوت السوريين واللبنانيين^(٣)، ولاسيما بعد رفض السكان التداول بالعملة الورقية، والاعتماد على المقايضة في تبادل السلع^(٤).

انخفضت قيمة الليرة العثمانية من ١٠٠ قرش ذهبي يوم صدورها سنة ١٩١٥ إلى تسعة قروش في كانون الأول سنة ١٩١٨^(٥).

على الرغم من كل محاولات الدولة العثمانية فرض التعامل بالعملة الجديدة، إلا أن الذهب بقي عملة التداول الأساسية؛ لذا كان من السهل على إدارة الحلفاء بعد انتهاء الحرب مباشرة من تصفية العملة الورقية العثمانية، وعدّ استخدامها غير قانوني، لذا أصدر الجنرال اللبي في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ قراراً عدّ التعامل النقدي بالعملة العثمانية غير قانوني وأصدر ما يسمى بالورق المصري، وخص القرار النقد المصري بامتياز السعر القانوني على أساس معادلته بالذهب، وصدر بعد ذلك قراراً من أجل الضرائب، ورواتب الموظفين على أساس الورق المصري ونتيجة لذلك أدرك الأهالي والسكان أن استخدام الأوراق العثمانية غير مضمون، وبسبب الانخفاض المتسارع لهذه العملة

١- معطي: مرجع سابق، ص ٢٣٠. ملحق رقم (١٠)

٢- معطي: المرجع نفسه، ص ٢٣١.

٣- السباعي: مرجع سابق، ص ١٠٨.

٤- ضاهر: تاريخ لبنان الاجتماعي، ص ١٢٠.

٥- حمادة: مرجع سابق، ص ٤٥.

الورقية، خسر قسم كبير من الناس ثروتهم من جراء تخزينهم لليرة الورقية العثمانية وما لبث أن احتفت من التداول في مطلع سنة ١٩١٩^(١).

ولمعرفة مدى قيمة العملة الورقية بالنسبة للعملة الذهبية، نعرض الجدول التالي الذي يحدد أسعار بعض المواد الغذائية بالنقد الورقي والنقد الذهبي بين سنتي ١٩١٤ - ١٩١٨^(٢).

السلع الغذائية	سعر الرطل بالذهب لسنة ١٩١٤	سعر الرطل بالذهب لسنة ١٩١٨	سعر الرطل بالنقد الورقي لسنة ١٩١٨	السلع الغذائية	سعر الرطل بالذهب لسنة ١٩١٤	سعر الرطل بالذهب لسنة ١٩١٨	سعر الرطل بالنقد الورقي لسنة ١٩١٨
رز	٧,٢	٣٥,٦	١٩٢	بطاطا	٣,٢	٨,٩	٤٧
زيت	١٥,٣	٥٣,٧	٢٨٧	صابون	١٥,٧	٣٨,٩	٢٠٢
حليب	٤,٢	١٩,٤	١٠٩	ملح	٣,٧	٣,٧	١١

ونستنتج من الجدول السابق بأن قيمة العملة الورقية كانت متدنية جداً مقارنة بقيمة النقد الذهبي، فعندما نقول: إن سعر رطل الرز في سنة ١٩١٤ (٧,٢) ثم أصبح في سنة ١٩١٨ (٣٥,٦) بالنقد الذهبي، فهذا يدل على ارتفاع الأسعار، أما عندما نقول: أن سعر رطل الرز في سنة ١٩١٨ (٣٥,٦) بالنقد الذهبي و١٩٢ بالنقد الورقي، فهذا يدل على تدني المستوى النقدي لهذه العملة، وقلة التعامل بها.

وما يدعو للدهشة؛ هو وفرة القطع الذهبية المتداولة في مدخرات الأهالي من جراء بيع الحبوب^(٣) وأسفرت الأزمة الاقتصادية الناجمة عن الحرب حاجة أوروبا للذهب، فبدأت حملة واسعة لجمع مدخرات كل من سوريا وجبل لبنان من الذهب، وبدأ بالحملة الجنرال اللنبي سنة ١٩١٨^(٤). ونتيجة لكل ما تقدم؛ فإن تغييراً جذرياً قد طرأ على توزيع الذهب في العالم عما كان عليه قبل الحرب العالمية الأولى، إنَّ الخسائر الاقتصادية الفادحة التي منيت بها الدول الأوروبية بسبب توقف نشاطها الاقتصادي من جراء الحرب، حيث أتاحت الفرصة للولايات المتحدة الأمريكية من تحقيق تقدم اقتصادي ملحوظ على حساب أوروبا، حيث تحوّلت أمريكا إلى دولة تقدم القروض والاستثمارات لتلك الدول

١ - حمادة: النظام النقدي، ص ١٢٣.

٢ - معطي: مرجع سابق، ص ٢٣٢.

٣ - حمادة: المرجع السابق، ص ٥٤.

٤ - ضاهر: تاريخ لبنان الاجتماعي، ص ١٢٤.

أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية مصدراً أساسياً لرؤوس الأموال بعد الحرب مباشرة، حيث زاد دخلها الإجمالي ثلاثة أضعاف عما كان عليه سنة ١٩١٠؛ بسبب وفرة مواردها الأولية، كما تمكنت من السيطرة على الذهب الأوروبي الذي أدى لزيادة حجم مدخراتها المصرفية وبدأ النظام المالي الأوروبي يعاني أزمة اقتصادية، ولم يستطع مواجهة التطور المستمر، والمتصاعد للاقتصاد الأمريكي، وخاصة بعد ارتفاع الأسعار بشكل جنوني، الذي أدى إلى شلّ القوة الاستهلاكية للمواطن الأوروبي، فهبطت الليرة الإسترلينية بمقدار الخمس عن سعرها السابق مقارنة بالدولار، وهبط الفرنك الفرنسي بمقدار النصف، في حين تعززت مكانة الدولار كأول عملة عالمية مستقرة ثابتة على أساس مبادلتها بالذهب^(١).

هذه التحولات الاقتصادية في العالم، أثرت بشكل كبير على الاقتصاد في جبل لبنان، وأدت إلى ظهور نظام عالمي جديد، وبداية سيطرة القطب الواحد على العالم والذي نعيش آثاره إلى يومنا هذا من خلال سيطرة أمريكا على القرار السياسي، والاقتصادي العربي والعالمي، واعتمادها على سياسة ضرب الدول بعضها ببعض لتحقيق مصالحها في السيطرة على منابع الطاقة.

٤ - سياسة الاحتكار وأثرها في الأزمة الاقتصادية :

شكل الاحتكار أحد أهم الأسباب التي أدت إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية ، وممارسه العديد من الموظفين، والتجار المحليين؛ مما أدى إلى جمعهم ثروات طائلة^(٢)، حيث احتكر التجار كل ما وقعت عليه أيديهم حتى أصبحت كل المؤن الاحتياطية بحوزتهم .

أ- احتكار الصوف: في بداية الحرب احتكر التجار اليهود البضائع الصوفية، والقطنية في بلاد الشام، وأرسلوها إلى بغداد والآستانة، تاركين الأسواق الشامية خالية من هذه البضائع الضرورية لصنعة الألبسة.

ب- احتكار القمح: كان محصول القمح في بلاد الشام معرضاً لأمرين: إما مصادرته من قبل السلطة العسكرية أو شراؤه من قبل التجار المحتكرين، وكانت إجازات استيراد، وشراء القمح تعطى لتجار معينين، وهذا أسفر بدوره عن سيطرة عدد قليل من التجار على تجارة القمح، وبالتالي فرض الأسعار التي يريدونها والدليل على ذلك ما قاله السيد وديع كرم الذي كان مسؤولاً عن مستودع

١- ضاهر: تاريخ لبنان الاجتماعي، ص ١٢١.

٢- لوتسكي: مرجع سابق، ص ٤٣٩.

توزيع القمح في صوفر أيام الحرب حيث قال: إن الحكومة كانت تباع كيلو القمح بـ ٦ قروش، بينما كان التجار يبيعون الكيلو بليرة عثمانية ذهبية ، حيث إن رطل القمح الواحد الذي يقدر بحوالي ٣ كيلوغرام، كان يباع بـ ٢٠ قرشاً ذهبياً خلال الحرب، بينما كان يباع بقرشين ذهبيين في الأيام العادية^(١)، وكانت هناك عمليات تخاذل بين الموظفين والتجار لتهرب القمح من المستودعات و الاتجار به^(٢).

ج- احتكار الكاز: لم تقتصر عملية الاحتكار على القمح فقط؛ بل شملت مواد غذائية أخرى حتى أصبح السكان بحالة يرثى لها من الفقر، والجوع، وقبيل وقوع الحرب قام التجار باحتكار مادة الكاز وعند نشوب الحرب واشتداد الحصار توقف استيراد الكاز، فاستغل المحتكرون ذلك، وقاموا ببيعه بأسعار مرتفعة مما دفع الناس لاستخدام سراج صغير^(٣).

ونلاحظ مما سبق بأن أغلبية التجار، والسماسرة الذين اعتمدوا أسلوب الاحتكار؛ هم من أبناء الجبل حيث استغل هؤلاء التجار و السماسرة أخوتهم في الوطن الواحد بلقمة عيشهم في ظل وجود ظروف قاسية، وتكالب الدول الاستعمارية عليهم ، حيث ظنوا بأنهم أذكاء من خلال ذلك التصرف وإذ بهم يساهمون في المشروع الاستعماري بشكل مباشر من خلال التأثير على المواطنين وضرهم في جانب مهم من معيشتهم.

٥- تأثير الحرب العالمية الأولى في الأقطار العربية.

علقت ألمانيا الأمل على اشتراك العثمانيين في الحرب إلى جانبها ضد دول الوفاق (فرنسا - بريطانيا - إيطاليا - روسيا) لمضايقتهم لها من خلال إغلاق الطرق البحرية (مضائق البوسفور و الدردنيل) أمام سفنهم، وكانت دول الوفاق تخشى من استخدام العثمانيين سلاح الحرب الدينية^(٤)، وفور دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، أعلن السلطان العثماني محمد رشاد بوصفه خليفة للمسلمين بياناً بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٤^(٥) دعا فيه المسلمين إلى الجهاد، جاء فيه:

١- معطي: مرجع سابق، ص ٢٢٧.

٢- كوثراني: مساهمة في دراسة أصول، ص ٢٨٩.

٣- غصن: مرجع سابق، ص ٧٧-٧٨.

٤- الشيخ، رأفت: تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٦، ص ٣٣.

٥- في ٢٣ تموز سنة ١٩١٤ وبمناسبة الاحتفال بذكرى إعلان دستور سنة ١٩٠٨ أقدم موظف البلدية في سوق الغرب على رفع العلم العثماني أمام حانوت السيد نجيب الشويفاني الذي بادر لترعه و وضعه في مكان آخر، ولما اعترض =

(الواجب بذل الواسع في إنقاذ أي شعب من شعوب المسلمين فكيف إذا ألب الكفار الظالمون بعدوانهم على مركز الخلافة وناصروا خليفة رسول الله ﷺ) العداوة، لا ريب أنه يفترض في هذه الحالة فرض عين على كافة أهل الإيمان أن يبادروا إلى نصرته بما يستطيعون من حول وقوة^(١).

اتجهت بريطانيا إلى الجزيرة العربية، بقصد ضرب الدعوة للجهاد، فاتصلت بالشريف حسين بن علي أمير مكة تحرضه لإعلان الثورة على العثمانيين؛ وخاصة بأنه كان على خلاف مع الاتحاديين حول مركزه وصلاحياته في الحجاز، ثم ما لبث أن اتصل القوميون العرب في بلاد الشام بالحسين سنة ١٩١٥، واتفقا؛ مقابل قيامهم بالثورة تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية ثم قامت المفاوضات بين الشريف حسين، والمعتمد البريطاني في مصر هنري مكماهون، وعرفت تلك المفاوضات بمراسلات الحسين مكماهون.

سعت بريطانيا من خلال ذلك لدرء خطر الحرب الدينية التي أعلنها السلطان العثماني، والعمل على امتصاص فورة المسلمين في بريطانيا، ولكن ما لبث أن صدم الحسين صدمة كبيرة من خلال اتفاقية سايكس بيكو في ١٦ أيار سنة ١٩١٦، ثم ما لبث أن أعلن الشريف الثورة في حزيران سنة ١٩١٦ وطرده العثمانيون من الحجاز، ولكن الخداع البريطاني تمثل أيضاً ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ عندما أعلن بلفور وزير خارجية بريطانيا وعده المشؤم^(٢)، ولم يأت خريف سنة ١٩١٨ حتى دخل فيصل بن الحسين إلى دمشق^(٣)، ثم ما لبث أن شكل فيصل حكومة عربية في دمشق في تشرين الأول سنة ١٩١٨^(٤).

=موظف البلدية على هذا التصرف حصلت مشادة بين الجانبين، وسقط العلم في أثنائها على الأرض فأسرع دركي ورفع العلم في مكان مناسب وانتهى الأمر بسلام، واستغل والي بيروت هذه الحادثة ووجه إلى حاكم جبل لبنان البرقية الآتية: ((إن العلم العثماني المبجل في كل مكان قد أصبح عرضة للاحتقار في جبل لبنان حيث رماه أحد اللبنانيين أرضاً في سوق الغرب أرجو تسليم الجاني إلى حكومة بيروت ليلقى عقابه الصارم))، فأجابه الحاكم أوهانس: ((إن العلم العثماني المفدى مكرم في جبل لبنان، لقد أثبت التحقيق أن عمل نجيب لم يقصد به مس كرامة العلم بل إزاحته عن مدخل حانوته، ومع ذلك فقد سيق إلى محكمة الشوف ذات الصلاحية لينال ما يستحقه من العقاب، أما الدركي الذي قام بواجبه فقد كوفئ بإجازة يومين مع التقدير. معطي: مرجع سابق ص ١٩٩.

١- منسي، محمود صالح: حركة اليقظة العربية في الشرق العربي، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٢٠٤.

٢- وعد بلفور: اعترفت فيه بريطانيا بأنها ستعمل على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. طربين، أحمد: الوحدة العربية، دمشق، ١٩٨٠، ص ٢٧٥ - ٢٧٧.

٣- إسماعيل ياغي: مرجع سابق، ص ٩-١٢.

٤- إسماعيل ياغي: المرجع نفسه، ص ١٦.

تحملت المنطقة العربية ومن ضمنها جبل لبنان، ويلات الحرب من عمليات تدمير للبيوت من جراء العمليات العسكرية، وما سببته هذه الحرب من ارتفاع في أسعار المواد الغذائية، وقيام الدولة العثمانية بتجنيد الشباب العربي في الجندية،^(١) وأدى الحصار البحري دوراً بارزاً في ضرب حركة مرفأ بيروت، فأغلق بوجه المواصلات البحرية، حيث احتلت بريطانيا مركز الصدارة في التصدير إلى مرفأ بيروت؛ لأنها كانت تحتكر توريد المنسوجات القطنية إلى بيروت، والجبل، وتراوحت قيمة إيراداتها من ٧٠-٨٠ مليون فرنك، وبالمقابل فقد احتكرت فرنسا توريد المنسوجات الحريرية، أما صادرات هذا المرفأ فكانت بمعظمها إلى مصر، وكانت تقتصر على القمح والشعير، ولكن قيمة الصادرات لم تصل إلى نصف قيمة الواردات في هذا المرفأ طيلة فترة الحرب وأسفر عن ذلك حدوث خلل بالميزان التجاري لجبل لبنان.

ومنذ تشرين الأول سنة ١٩١٦، سيطرت الشركات الألمانية على حركة التصدير والاستيراد في بيروت، فسبب هذا الحصار البحري الذي فرضه الحلفاء ارتفاعاً كبيراً في الأسعار بنسبة ٣٠٠% في نهاية سنة ١٩١٦^(٢).

وعند نهاية الحرب العالمية الأولى سارعت المفوضية العليا إلى دعم شركة مرفأ بيروت بمبلغ ١٢٧٦٦٠٠ فرنك فرنسي لجرف الرمال التي تجمعت في المرفأ، وتأهيله لاستقبال السفن، وشركة المرفأ هي الشركة العثمانية التي تأسست سنة ١٨٨٣ برأسمال فرنسي قدره خمسة ملايين فرنك فرنسي وسرعان ما ارتفع سنة ١٩١١ إلى ١١ مليون فرنك فرنسي وللتغطية على جنسية هذه الشركة منح امتيازها باسم يوسف المطران.

أشارت الإحصائيات أن الجبل قبل الحرب كان يشتري سنوياً ضعف ما كان يبيع؛ أي بنسبة ١ إلى ٢%، ولكن الذي ساعد على تعديل الميزان التجاري ولو بشكل نسبي، الأموال التي كان يرسلها المهاجرون إلى أقاربهم في الجبل التي قدرت بثلاثين مليون فرنك، ولكن ما لبث أن أصبحت النسبة ١ إلى ٥ بفعل الحرب، مما أدى لحدوث خلل في الميزان التجاري نتيجة لتوقف تدفق تلك الأموال التي فصلت المهاجر عن أرضه وأهله^(٣).

١- الشيخ: تاريخ العرب المعاصر، ص ٣٣.

٢- ضاهر: تاريخ لبنان الاجتماعي، ص ٩٣.

٣- ضاهر: المرجع نفسه، ص ٩٤-٩٨.

ثالثاً- العلاقات الرأسمالية في الجبل:

حدثت تغيرات أساسية في اقتصاد الجبل في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، حيث تمكن الرأسماليون الفرنسيون من إنشاء شركات استثمارية، والحصول على العديد من الامتيازات من خلال علاقاتهم، ومصالحهم مع الوسطاء الرأسماليين في جبل لبنان أصحاب النفوذ لدى الباب العالي، ومن هذه الامتيازات؛ حصول أحد الرأسماليين الفرنسيين في سنة ١٨٥٧ على امتياز إنشاء طريق معبد بين بيروت، ودمشق مع حق استثماره لمدة خمسين سنة وبدأت الشركة الخاصة بشق الطريق سنة ١٨٥٩، وانتهت سنة ١٨٦٣ كما حصل السيد يوسف المطران أحد وجهاء بيروت على امتياز لإنشاء مرفأ بيروت، وباعه لشركة فرنسية، كما تمكن السيد حسن بيهم في سنة ١٨٩١ من الحصول على امتياز لإنشاء خط للسكة الحديدية بين بيروت، ودمشق، وباعه لشركة فرنسية (شركة الخطوط الحديدية العثمانية الاقتصادية)^(١)، وكانت تلك الشركة، وغيرها من الشركات الأخرى تمثل المركز الأساسي لتجمع العمال في ذلك الحين، وفي سنة ١٩٠٩ أصدرت الدولة العثمانية أول قانون يتعلق بالجمعيات، وفي سنة ١٩١٢ صدر قانون آخر يتعلق بإنشاء الجمعيات المهنية والحرفية^(٢).

إن تشكل المنظمات النقابية في جبل لبنان لم يكن منفصلاً عن نشوء الحركة العمالية في أوروبا حيث إن أكبر التجمعات العمالية وجدت في الشركات الفرنسية صاحبة الامتيازات ولها العديد من المشاريع في مدينة بيروت، وكذلك في معامل التبغ والحرير، وحتى سنة ١٩٠٨ لم يكن هناك وجود للجمعيات العمالية في جبل لبنان، حيث قام عمال أوروبيون كانوا يعملون في إحدى الشركات الفرنسية الموجودة في جبل لبنان بتأسيس أول جمعية تعاونية تحمل اسم ((تعاونية مستخدمي سكة حديد الشام - حماه))^(٣)، وفي سنة ١٩١٢ وبسبب الأزمات المعيشية وتعبيراً عن الأزمة العامة للرأسمالية التي سبقت الحرب العالمية الأولى؛ تأسست أول منظمة نقابية (شركة سكة الحديد في مدينة بيروت)، كما تأسست جمعية لعمال المطبعة الأمريكية في بيروت.

١- البواري: مرجع سابق، ص ٩٢

٢- كولان، جاك: الحركة النقابية في لبنان، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٤، ص ٦٧.

٣- البواري: المرجع السابق، ص ٩٣.

في سنة ١٩١٤ تأسست جمعية لعمال المطابع في بيروت، وبعد فترة قصيرة من تأسيس هذه الجمعيات، تم إعلان الحرب العالمية الأولى، وقام العثمانيون باحتلال جبل لبنان عسكرياً وأُعتقل عدد من الشخصيات السياسية البارزة، ومنهم من اشترك في مؤتمر باريس سنة ١٩١٣، وحكم عليهم بالإعدام، ونفذ هذا الحكم في القافلة الأولى في ١٥ آب سنة ١٩١٥، وفي القافلة الثانية ١٦ أيار سنة ١٩١٦ وخلال الحرب احتدم الصراع بين البريطانيين، والفرنسيين من أجل السيطرة على جبل لبنان حيث أراد الفرنسيون السيطرة على الجبل لاتخاذ مركزاً لهم معتمدين في ذلك على ما يملكونه من مواقع اقتصادية، وثقافية كانت تشتمل حسب تقرير رسمي لجنة الموازنة الفرنسية على الآتي: ((إنها شركة فرنسية رأسمالها ١٤ مليون فرنك تلك التي بنت مرفأ بيروت، إن إدارة استثمار الماء والكهرباء، مشاريع فرنسية، إن خطوط السكك الحديدية: يافا-القدس ١٨٨٩، دمشق- بيروت ١٨٩١، حلب- رفاق ١٨٩٣، دمشق- حمص ١٩٠٩ التي اندمجت في شركة دمشق-حلب برأسمال ١٢٥ مليوناً كلها مشاريع فرنسية)).

وفي مجال التجارة بلغت صادرات مرفأ بيروت وحده ما يعادل ١٣ مليون فرنك فرنسي، وكانت معظم تلك الصادرات في مجال صناعة الحرير^(١).

ويقول وجيه كوثراني استناداً إلى مصادر أطلع عليها: ((وعلى صعيد التغلغل الثقافي والفلسفي احتلت فرنسا قبل الحرب العالمية الأولى مركزاً مهيمناً في جبل لبنان، فقد كان لديها أكثر من ١٠٠ مؤسسة للخدمات الاجتماعية من مستشفيات، مصحات دور لليتامى والعجزة، وأكثر من ٢٢٠ مؤسسة تعليمية سنة ١٩١٣، ضمت حوالي ٥٢ ألف طالب))^(٢).

نلاحظ مما سبق مدى سيطرة الفرنسيين على جبل لبنان في مختلف المجالات الاقتصادية، والثقافية من خلال سيطرتهم على رؤوس الأموال الموجودة فيه عبر إقراضهم للتجار المحليين المال، أو من خلال المشاريع التي قاموا بها

١- البواري: مرجع سابق، ص ٩٤.

٢- كوثراني: مساهمة في دراسة أصول، ص ٢٧.

رابعاً- الامتيازات الأجنبية و التبشير في جبل لبنان.

لم تكن فكرة التسهيلات التجارية و الحماية الشخصية للممتلكات مرتبطة بالسلطنة العثمانية، بل تعود إلى سنوات طويلة من حكم الخلفاء المسلمين، وبخاصة هارون الرشيد والمأمون، لتستمر فيما بعد إبان حكم المماليك وأوائل حكم العثمانيين مع السلطان سليم الأول^(١).

كانت جمهورية البندقية من أوائل الدول صاحبة النشاط التجاري في المشرق العربي في بدايات العهد العثماني، وأدت دور الوسيط بين الشرق والغرب، إلا أن تحول طرق التجارة العالمية حال دون استمرار تفوق البندقية التجاري؛ مما أدى إلى فقدانها للكثير من جزرها في شرقي البحر المتوسط، وبعد صراع عنيف مع الدولة العثمانية اعترفت البندقية بتفوق الدولة العثمانية عليها في هذا الجزء من البحر المتوسط.

مع دخول السلطان سليم الأول مصر سنة ١٥١٧ عقد مع ممثلي البندقية معاهدة تجارية منحتهم الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها أيام المماليك، ومنها؛ عدّ قنصل البندقية صاحب الحق في النظر في شؤون رعاياه، ومنازعاتهم الشخصية طبقاً لقوانين البندقية، وتقديم تسهيلات خاصة لرسو سفن جمهورية البندقية في الموانئ المصرية مقابل تعهد ممثلي البندقية بحماية رعايا الدولة العثمانية جميعهم، ثم ما لبث أن وُقّع بين الطرفين معاهدة سنة ١٥٢١ تقرر فيها إعطاء جمهورية البندقية امتيازات شبيهة بمعاهدة سنة ١٥١٧، ولكن في جميع أنحاء الدولة العثمانية.

ومما تقدم نستنتج أن البندقية هي من أول الدول التي حصلت على الامتيازات من الدولة العثمانية ومنذ ذلك التاريخ بدأت الامتيازات تعطى بشكل أوسع وأكبر، ومن خلال تلك الامتيازات سلاحظ فيما بعد مدى التدخل الأوربي، وما خلفته من آثار سلبية على الدولة العثمانية.

وفي سنة ١٥٣٥ عقد تحالف بين السلطان سليمان القانوني، وبين الملك الفرنسي فرانسوا الأول وحصلت فرنسا بموجبها على حق حماية الرعايا الكاثوليك في أراضي الدولة العثمانية^(٢)، ومن جراء ذلك تمتع الرعايا الفرنسيون في أراضي الدولة العثمانية بالامتيازات الآتية:

١- السماح لهم بالإقامة في أي منطقة داخل الدولة العثمانية بهدف التجارة.

١- ضاهر: الجذور التاريخية، ص ١٢٩.

٢- إسماعيل ياغي: مرجع سابق، ص ١٧٩-١٨٠.

٢- حرية المعتقد والدين، والمحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم، وعدم تعرض العثمانيين لأموالهم الموتى منهم.

٣- عدم النظر بأمورهم و معاملاتهم الشخصية إلا من قبل قناصلهم.

٤- إن قيمة ما يدفعونه من الرسوم الجمركية لا يتجاوز ٣% عن تجارتهم من صادرات و واردات. مهد لتلك الامتيازات (فرانسوا الأول) ملك فرنسا من سجنه عند شارلمان بعد سقوطه أسيراً بيد (شارلمان) بعد معركة بافي التي حدثت سنة ١٥٢٥، برسائل متعددة منذ سنة ١٥٢٦ إلى صديقه السلطان سليمان القانوني، وطلب منه إقامة تحالف قوي ضد شارلمان، وفي جواب للسلطان سليمان الثاني على إحدى رسائل (فرانسوا الأول) سنة ١٥٢٦ قال فيه: ((أنا عضد السلاطين وملك الملوك .. وأنت يا فرانسوا ملك بلاد الفرنج أرسلت إلى بابنا العالي ملجأ الملوك تطلب عبر خادملك أن نستجيب، ولو شفويًا، لرغباتك. إنك تقول إنك في السجن، وأن العدو يحيط ببلادك ولذلك تطلب مساعدتنا لإنقاذك، فكل ما طلبت قد عرض على أقدم عرشنا، ملجأ العالم، ونظرت إليه إرادتنا الشاهانية بعطف، فليس غريباً أن يهزم الملوك في المعارك وأن يسجنوا، فلتشتد عزيمتك، وأما نحن فإننا دوماً ساهرون، وسيفنا بيدنا قد شهرناه، وجوادنا سرجناه فليقدم الله كل ما فيه الخير...))^(١).

وفيما بعد أصبح تحديد تلك معاهدة ١٥٣٥ بحكم العادة، وفي كل مرة تجدد فيها يتم إضافة امتيازات جديدة فتم تحديدها في أعوام ١٥٦٩-١٦٠٤-١٦٧٣-١٧٤٠^(٢)، ولقد كانت فرنسا حتى بداية القرن السابع عشر الدولة الأكثر حصولاً على الامتيازات والدليل على ذلك هو المادة الرابعة من اتفاقية سنة ١٦٠٤ التي نصت على: ((أن البنادق والإنكليز والإسبان والبرتغاليين ورعايا كل الشعوب الأخرى على اختلاف جنسياتها الأوروبية يستطيعون القيام بالأعمال التجارية في بلادنا شرط أن يستظلوا الراية الفرنسية التي تشكل لهم درع الحماية))^(٣).

بعد انسحاب الفرنسيين من مصر جدد (نابليون بونابرت الأول) العلاقات مع الدولة العثمانية سنة ١٨٠٢، كما جددتها (لويس فيليب) سنة ١٨٣٨ حيث عدّ أن كل امتياز يمنح للأجانب، ولم

١- ضاهر: الجذور التاريخية، ص ٣٣٠.

٢- قواف، عدنان: العلاقات التقليدية بين سوريا وفرنسا ولبنان قبل الحرب العالمية الأولى، بيروت ١٩٥١ ص ٥.

٣- ضاهر: المرجع السابق، ص ٣٣٤.

يذكر في الامتيازات الفرنسية يصبح من حق فرنسا التمتع به، ثم أعاد تجديدها (نابليون الثالث) سنة ١٨٦١^(١).

حصل كل من التجار البريطانيين، والهولنديين على امتيازات مشابهة للامتيازات التي حصل عليها التجار الفرنسيون، فحصل البريطانيون على امتياز سنة ١٥٨٣، والهولنديون على امتياز سنة ١٦٠٩^(٢) ونالت بروسيا في سنة ١٧٦١ أول معاهدة تجارية وصداقة مع السلطنة العثمانية^(٣)، وبالمجمل إن إعطاء هذه الامتيازات بهدف تنشيط التجارة، ولكن من الملاحظ فيما بعد، ولا سيما في بدايات القرن التاسع عشر بأنها أصبحت مجالاً للتدخل في شؤون الأقليات الدينية، والاستعلاء، والتكبر على السكان المحليين، حيث أخذ هؤلاء الأوروبيون أصحاب تلك الامتيازات بالتوافد بأعداد كبيرة، وصاروا يقيمون أينما يريدون، ويعملون بالعمل الذي يرغبون به، فأصبحت هذه الامتيازات نعمة للأجانب، ونقمة على أبناء البلاد.

ولكن بعد كل ما تقدم، فإنه من الملاحظ عدم المعاملة بالمثل في الامتيازات، أي أن رعايا الدولة العثمانية في تلك الدول الأوروبية لم يتمتعوا بمثل تلك الامتيازات، ومن الأمور الخطيرة في هذه الامتيازات هو عدم قدرة الدولة العثمانية على تعديل الرسوم الجمركية التي يدفعها تجار الدول الأوروبية إلا بعد موافقتهم، فاضطرت في سنة ١٩٠٧ إلى عقد اتفاق مع الدول الأوروبية من أجل ذلك، حيث إن معظم الرعايا الأجانب كانوا معفيين من الضرائب الجمركية.

وصلت الأمور إلى حد تملك الأجانب للعقارات في الدولة العثمانية مقابل دفع الرسوم التي يدفعها العثمانيون على عقاراتهم، وكان ذلك في سنة ١٨٦٧^(٤).

ويمكن تقسيم الامتيازات إلى قسمين:

١- القسم الأول: يخص الأحكام المتعارفة بين الدول: كرفع القناصل رايات دولهم، وعدم خضوع أمتعة السفراء الأجانب للتفتيش، والرسوم الجمركية.

١- قواف: مرجع سابق، ص ٦.

٢- إسماعيل ياغي: مرجع سابق، ص ١٨١.

٣- ضاهر: الجذور التاريخية، ص ٣٣٤.

٤- هاردي، انكه: تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، نقله إلى العثمانية علي رشاد، إلى العربية

محمود علي عامر، دار الزمان، ص ٤٧

٢- القسم الثاني: يخص رعايا الدول الأوربية في الدولة العثمانية، ومن تلك الامتيازات: عدم التدخل من قبل الدولة العثمانية بأي نوع من أنواع الدعاوى الحقوقية الجزائية بين الأجانب الموجودين في الدولة العثمانية، ويكون النظر في تلك الدعاوى من قبل قناصل الأطراف المتنازعة وكذلك الأمر بالنسبة إلى أمور تركة المتوفى، حيث يقوم القناصل بالإشراف على عملية توزيعها على الورثة^(١).

ادّعى الفرنسيون حماية الموارنة، وادّعت روسيا حماية الروم الأرثوذكس، وادّعت بريطانيا حمايتها للدروز، وتلك الامتيازات، والادعاءات كانت مجالاً لفرض سيطرة تلك الدول على جبل لبنان والتدخل في شؤونه الداخلية من خلال السيطرة على بعض رجال الدين^(٢). أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية لم تكن في بادئ الأمر حائزة على أي امتياز، ولكن عندما قويت شوكتها طالبت بتزويد رعاياها بمثل تلك الامتيازات التي يتمتع بها الأوربيين، فوافقت الدولة العثمانية على ذلك في أواخر القرن التاسع عشر.

والامتيازات التي حصلت عليها الدول الأوربية أيضاً؛ امتياز سنة ١٨٥٦ الذي تضمن المساواة بين المواطنين كافة في البيع، والفراغ، والملكية، وعندما راجع السفراء الأجانب السلطنة العثمانية وطالبوا بإعطائهم موعداً نهائياً لتنفيذ هذه الفقرة، رد وزير الخارجية العثماني عالي باشا بقوله: ((إن هذا من ضمن الشروط القديمة، ونحن نحاول قدر الإمكان الترويج لمثل هذا الأمر قبل الإقدام عليه))، وعلى أثر ذلك وجه وزير الخارجية للسفراء الأجانب خطاباً قال فيه: ((إن وضع الدولة التي كانت عليه عندما بدأت الاتصالات مع أوروبا لا يخفى على أحد، حيث كان في الموانئ الشرقية عدد قليل من التجار الأجانب، وكانوا بمعزل عن الأهالي، ويتاجرون بالجملة بيعاً وشراءً ولقد قدمت الدولة الإعفاءات اللازمة، ولكن كل شيء قد تغير، وبقيت العهود القديمة، وبموجبها فإنهم تابعون للدولة التي هم منها بالأصل ويأتمرون بأمر موظفيها، وعلى هذا تكون النتيجة أن يكون في كل ولاية من الولايات سفراء للدول الأجنبية كافة ومحاكم خاصة بهم، وإذا بقي الحال على هذا المنوال، فإن السلطنة العثمانية لن تستطيع أن تدخل الطريق الذي تطلبه الدول العظمى؛ لأنهم لا يعترفون بالقوانين المحلية، ومعفون من التكاليف بالنسبة للسكان، ولهم المحاكم الخاصة بهم يراجعون بها شؤنهم وهي مخصصة للأجانب، ولا يريدون أن يستقروا في المملكة، فكيف يمكن أن يكون للأجنبي أملاك تحت

١- الأسود: دليل لبنان، ص ٣٨٦.

٢- غريب: مرجع سابق، ص ٤٢.

تصرفه وهو لا يريد مساعدة الدولة ؟ إن مثل هذا المطلب غير معقول، وعلى هذا فإنه يجب تعديل الوثائق القديمة^(١).

وبناء على ما تقدم صدر في ١٨ حزيران سنة ١٨٦٧ قانونٌ يحق للأجانب شراء الأراضي في الدولة العثمانية، ومنحهم حق الملكية، والتصرف المطلق بهذه الأراضي^(٢).

نستنتج مما سبق مدى التغلغل الأوربي، وكيفية حصولهم على تلك الامتيازات بالقوة. كان لتلك الامتيازات أكبر الأثر على التجارة، حيث إن من أهم الأسباب التي جعلت الدول الأوربية تتسابق لعقد أية اتفاقية مع السلطنة العثمانية هو التنافس التجاري فيما بينها، والحصول على امتيازات وتسهيلات لهم في السلطنة، واتسعت المنافسة بين الدول الأوربية للحصول على الامتيازات طمعاً في الاحتكار، وتحقيق ثروات طائلة، ومن أكثر الأمور التي أثرت سلباً في التجار المحليين هو التفاوت بنسبة الضرائب الجمركية التي يدفعها كل من التاجر المحلي، والتاجر الأجنبي، فالتاجر الأجنبي يدفع ٣% فقط عن البضائع العائدة له، أما التاجر المحلي يدفع ١٠%؛ مما أثار نقمة التجار المحليين وأدى إلى تجمع الثروات بيد التجار الأجانب على حساب التجار المحليين، وتحكمهم بالأسواق بسبب سياسة الاحتكار التي اتبعوها.

ونظراً للضائقة الاقتصادية، والحروب الأهلية المتكررة؛ أصيبت التجارة المحلية بضربات قاسية أدت إلى إفلاس الكثير من التجار المحليين، وسيطرة البضائع الأوربية على الأسواق المحلية في الجبل مما أدى إلى تراجع الكثير من الحرف الصناعية^(٣)، وأسهم كل ذلك في تكريس تفوق وتمييز التاجر الأجنبي على التاجر المحلي .

كما شهد الجبل في النصف الأول من القرن التاسع عشر تزايداً كبيراً للحركة التبشيرية، وتوسعاً في عملية جذب السكان نحو بعض الطوائف المسيحية، وعمدت تلك الإرساليات والبعثات التبشيرية التابعة لها إلى اتباع مختلف الطرق، والوسائل التي من شأنها أن تؤثر في السكان، وتجذبهم مذهبياً وسياسياً مستغلين حاجاته الصحية، والتعليمية^(٤).

١- هارد: مرجع سابق، ص ١٤٩.

٢- هارد: المرجع نفسه، ص ١٤٧.

٣- ضاهر: الجذور التاريخية، ص ٣٣٨.

٤- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٢٣٨.

وبالتالي فإن الحركة التبشيرية التي غزت الجبل هي جزء من عمل سياسي كبير ناتج عن محاربة فرنسا للنفوذ البريطاني المتزايد في بلاد الشام بشكل عام، وجبل لبنان بشكل خاص، ومن الممكن إرجاع بداية التبشير إلى الفترة التي أعقبت نهاية الحروب الصليبية، حيث بدأت الإرساليات الكاثوليكية الكرملية، والفرنسيسكانية، والدومينكانية بالتوافد إلى الشرق^(١)، ومن ثم أعقبتها إرساليات القديس يوسف، وانتشرت الرهبنة الفرنسية في جبل لبنان منذ القرن التاسع عشر، حيث اهتمت فرنسا بشؤون التبشير، وبناء الكنائس، والأديرة، واستقبال رجال الدين الموارنة^(٢).

أقامت روما البابوية علاقات خاصة مع أمراء جبل لبنان، ووطدتها مع الأمراء أمثال: فخر الدين المعني الثاني، ومنصور ويوسف من آل شهاب^(٣)، وحيدر إسماعيل أبي اللمع، وبعض مشايخ آل جنبلاط ومنهم علي، وقاسم، وبشير^(٤)، وأسهمت في إرسال البعثات الدينية؛ فأُسست المدرسة المارونية في روما سنة ١٥٨٤ لتخريج الرهبان، والكهنة^(٥).

أدى تواصل العلاقات بين روما، والموارنة وانعقاد نحو تسعة مجامع دينية^(٦) بين سنتي ١٧٤٤ - ١٨٥٦ في جبل لبنان إلى ترسيخ تلك العلاقة لدرجة أن تثبيت البطريرك بعد انتخابه من قبل المطارنة الموارنة لا يعدّ هائلاً إلا بعد تلقي البطريرك درع التثبيت من الحبر الأعظم^(٧).

١ - حَتَّى: مرجع سابق، ص ٣٩٤

٢ - صايغ، أنيس: لبنان الطائفي، دار الصراع الفكري، بيروت، ١٩٥٥، ص ١٠٨.

٣ - آل شهاب: الشهابيون من قبيلة بني مخزوم القرشية، شاركوا في الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام، وهم ينتسبون إلى الأمير مالك بن الحارث الملقب بشهاب الذي ولاه الخليفة عمر بن الخطاب على بلاد حوران ١٤هـ الموافق ٦٣٥م فانت إليها مع أهله وبعد وفاته تولى أولاده الحكم في تلك البلاد، وفي سنة ٥٦٥هـ الموافق ١١٧٠م انتقل الأمير منقذ الشهابي من حوران إلى وادي التيم، وتحالف الشهابيون مع المعنيين ضد الفرنجة. اليازجي: مرجع سابق، ص ١٦

٤ - خاطر، لحد: لبنان والفاثيكان العلاقات المتبادلة بينهما من صدر النصرانية حتى اليوم، منشورات مجلة الرسالة المخلصية، ١٩٦٦، ص ١٧٣ - ٢٠٩.

٥ - غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٢٤٠.

٦ - مجامع دينية: هي المجامع التي تضم أساقفة يمثلون مجموع الكنائس الكاثوليكية، وتعتقد بدعوة من البابا لأخذ قرارات بشأن العقيدة المسيحية وبشأن القوانين الإدارية الكنسية. الكيالي: مرجع سابق، ج ٧، ص ٣٠.

٧ - وبعد انتخاب البطريرك ميخائيل الرزي في ٣١ آذار سنة ١٥٦٧ توجه وفد إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر، ليطلبوا منه صك التثبيت ودرع الرئاسة. خاطر: المرجع السابق، ص ٦٤.

وعلى أثر انتخاب البطريرك بولس مسعد في ١١ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ تم توجيه الخطاب الآتي للحبر الأعظم: ((وبحسب الواجب والمفروض كمألوف عادة البطارقة قدمنا إلى الكرسي الرسولي المقدس الذي هو مركز الوحدة الكاثوليكية الأعراضات اللازمة عما تم ملتسمين منه الإنعام بتثبيتنا بطريركاً أنطاكياً، وبالبايون المقدس^(١) الدال على ملء الوظيفة الحبرية، ولا يخافكم بأننا منذ آذار سنة ١٨٥٥ قد حزنا من لدن عواطف قداسته سيدنا البابا بيوس التاسع الحبر الروماني الأعظم المالك والتمسنا من كرسية الرسولي المقدس تثبيت انتخابنا بطريركاً أنطاكياً والإنعام بالبايون المقدس الذي إذا توشحناه بالاحتفال الواجب المعتاد في كنيسة القديس يوحنا مارون الكائنة في الديمان في اليوم التاسع والعشرين من شهر حزيران الماضي))^(٢).

إن كثرة الاتفاقيات التجارية أسفر عن ازدياد الدور السياسي، والتجاري الأوروبي، ورافقه عدد كبير من رجال الدين المرسلين المبشرين، وكثرت مجالات الصدام بين رعايا الدول الأوروبية ورعايا السلطنة^(٣)، حيث شكل جبل لبنان نقطة ارتكاز أساسية في النشاط التبشيري، كما أدت المعاهدات والاتفاقات الدولية مع السلطنة العثمانية دورها السلي في إحكام السيطرة على جبل لبنان بشكل خاص والأقطار العربية بشكل عام، حيث عبر الأستاذ محمد جميل بيهم^(٤) عن هذا الواقع بقوله:

١- الباليون: أو درع الرئاسة وهو نسيج من صوف أبيض يرسله الحبر الأعظم إلى البطارقة، ورؤساء الأساقفة والقصاد الرسوليين دلالة على ملء السلطة التي لهم في كنائسهم. خاطر: لبنان والفايكان، ص ٦٤ - ١٠٤.

٢- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٢٤١. ملحق رقم (١٢).

٣- ضاهر: الجذور التاريخية، ص ٣٤.

٤- محمد جميل بيهم ١٨٨٧-١٩٧٨: محمد جميل بن محمد بن مصطفى بن جميل بيهم، ولد في بيروت، مؤرخ باحث اجتماعي، يرجح أن يكون أصل أسرته من مهاجرة المغرب، وتلقى دراسته الأولى في مدرسة الشيخ أحمد عباس، ثم تابع ذلك في مدرسة أوليفا الفرنسية، ثم سافر إلى فرنسا حيث قدم رسالة الدكتوراه إلى معهد الآداب في جامعة باريس، وكان موضوعها عن الانتداب، ومن ثم عاد إلى بيروت، وباشر نشاطه الثقافي والاجتماعي والسياسي، فتسلم رئاسة الجمع العلمي اللبناني، ومثل بيروت في المؤتمر السوري الأول سنة ١٩١٩، واختير رئيساً للوفد العربي الفلسطيني إلى الولايات المتحدة وكوبا والمكسيك سنة ١٩٣٨-١٩٣٩، وكان ممثلاً للحكومة اللبنانية أمام لجنة موريسون للتحقيق في القضية الفلسطينية سنة ١٩٤٦ من آثاره فلسفة التاريخ العثماني، الانتدابان في العراق وسورية الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، العهد المحضرم في سورية ولبنان، المرأة في التاريخ والشرائع، المرأة في حضارة العرب دراسة وتحليل للعهد العربي الأصيل، النزاعات السياسية بلبنان في عهد الانتداب والاحتلال. كحالة: مرجع سابق، ج ٣، ص ١٩٧.

((كانت السلطنة على غرورها بنفسها، كريمة في عقد هذه المعاهدات، ومنح هذه الامتيازات دون النظر إلى المستقبل البعيد إلى أن وجدت نفسها فيما بعد أمام معاهدات، وامتيازات كانت قد تقيدت بها إبان قوتها السابقة، ثم تحولت إلى سلاسل وأغلال طوقت عنقها، ويديها، وجدت نفسها أنها ليست عاجزة عن التخلص منها فحسب، بل ما إن ضعفت عزائمها واسترخت قواها، حتى فرضت عليها الدول الأوروبية معاهدات وامتيازات أخرى أثقل من سابقاتها، وأشد تقييداً لحريتها، فإذا بالدولة التي كانت تحسب نفسها بالأمس مرجع العالم، وتتوهم أن هذه العقود التي كانت تعقدها منحة وسماحة تصبح كدودة الحرير في شرنقة من عمل يدها ما إن اكتملت حتى جعلتها سجيناً لا تستطيع حراكاً))^(١).

نستنتج من خلال هذا الوصف بأن الدولة العثمانية كانت تقوم بإعطاء تلك الامتيازات من باب القوة والكرم، والمنح، ومن خلال طلب الدول الأوروبية ذلك، ولم تكن تفكر في طريقة إعطائها لها في المستقبل، ولكن ما لبث أن تغير الأمر في فترة ضعفها، وأصبحت تفرض عليها بالقوة، وكانت سبباً في تقييدها.

إن كثرة الطوائف في جبل لبنان، شكل مجالاً للتغلغل الأوربي متسترًا باللباس الديني، بحيث ادعت كل دولة أوربية حمايتها لإحدى الطوائف الموجودة هناك، والهدف من ذلك تحقيق مصالحها السياسية إذ ((بلا ريب أن المبشرين يمزجون الدين بالسياسة، وأن الدين كان الوسيلة، أما السياسة فكانت الهدف الحقيقي، والسياسة هنا معناها استعباد الغرب للشرق))^(٢).

كان اليسوعيون من أوائل المبشرين في جبل لبنان، وذلك بسبب أهمية جبل لبنان، إذ إن القديس أغناطيوس، مؤسس الرهبانية اليسوعية سنة ١٥١٥ يعطي الأهمية الكبرى للمناطق الأكثر حساسية في العالم، ومنها جبل لبنان، فكثيراً ما صور القديس أغناطيوس وهو منكب على خريطة العالم ليتبين النقاط الاستراتيجية التي يجب أن يرسل إليها الرهبان التابعين له.

أسس اليسوعيون الأديرة في جبل لبنان، ومنها أديرة طرابلس، وصيدا سنة ١٦٤٤ ودير عينطورة سنة ١٦٥٧^(٣)، وفي أوائل القرن التاسع عشر دخلت إلى جبل لبنان بعثات تبشيرية كثيرة، وكانت

١- بينهم، محمد جميل: فلسفة التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٥٤، ص ٩٩.

٢- زهر الدين، صالح: التبشير وأثره في جبل لبنان، منشورات دار الجهاد، طرابلس، ط ١، ١٩٨٦، ص ١٠.

٣- زهر الدين: المرجع نفسه، ص ١١-١٣.

على نوعين؛ الأولى: بعثات كاثوليكية فرنسية، والثانية: بعثات تبشيرية بروتستانتية أمريكية^(١) حيث امتدت تلك البعثات من جبل لبنان إلى بيروت، وافتتحت الكلية البريطانية السورية سنة ١٨٦١ وجامعة القديس يوسف سنة ١٨٧٤، وكان للإرساليات الروسية، والإيطالية، والألمانية دورٌ كبيرٌ في تأسيس عدد من المدارس، حيث شكلت تلك البعثات عاملاً تنافسياً بين علماء الدين المسلمين والمسيحيين على حد سواء فأقبل المسلمين على إنشاء عدد من المدارس؛ منطلقين من دافعين: أحدهما دافع ديني خيري والآخر: دافع ثقافي تعليمي^(٢).

وفي الوقت الذي كان يمر فيه الجبل بمرحلة خطيرة من خلال الفتن والحروب الأهلية، وتقسيمه إلى قائممقامتين (درزية ومسيحية)، كان المبشرون اليسوعيون قد أسسوا في غزير مدرسة لهم، في حين قام المرسلون الأمريكيون في الوقت نفسه بإنشاء مدرسة في بلدة عبية^(٣).

وإذا أمعنا النظر قليلاً فيما سبق نستنتج: بأنه لم يكن من باب المصادفة اختيار منطقة غزير المسيحية، وعبية الدرزية كمركز لانطلاق نشاط المبشرين في ظل وجود فتن طائفية؛ إنما كان من باب التخطيط على أن يكونا مركزي انطلاق لترسيخ روح الطائفية، ولإحداث المزيد من الشرخ الاجتماعي بين الطوائف، وما قيام الفتن المتتالية إلا دليل على ذلك، ويدخل ذلك كله ضمن نطاق المخطط الاستعماري الهادف لتحقيق السيطرة السياسية، والاقتصادية للجبل آنذاك، وإذا قمنا بعملية إسقاط لما حدث آنذاك، بما يحدث اليوم، وكأن التاريخ يعيد ذاته، ولكن ما يثير الغضب والنقد الشديد على كل شخص لم يستفد من أخطاء الماضي، وتدارك، وتجاوز ما مر من أخطاء، وهفوات ولكن من الملاحظ هو تعميق الخلافات، واتخاذها أشكالاً طائفية تكاد تكون أسوأ مما مضى، على اعتبار مرور تجربة سابقة، ولم يتم الاستفادة منها.

وعلى الرغم من قدم عمل المؤسسات التبشيرية في الجبل، فلم يتخذ نشاطها الطابع الحاد والصراع المعلن إلا منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر، وكان ذلك في سنة ١٨١٩ في أعقاب مبادرة لجنة

١- زيادة، نقولاً: أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٢، ص ١٩١.

٢- طربين، أحمد: تاريخ المشرق العربي المعاصر، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٨٥، ص ٣٧٥. سيتم التوسع في هذه الفكرة في الفصل الرابع.

٣- زهر الدين: مرجع سابق، ص ٢٤.

الإشراف على الإرساليات التبشيرية الأمريكية التي قامت بإرسال جماعة من المبشرين إلى بيروت لتفعيل دور المؤسسات التبشيرية^(١).

ويعزو قنصل روسيا في بيروت بيكوفيتش ظهور البروتستانت في جبل لبنان إلى البعثات التبشيرية الأمريكية، والبريطانية التي تمكنت من التغلغل عن طريق المدارس، وتوزيع المساعدات المالية ابتداءً من سنة ١٨٣٦، كما يضيف قائلاً: ((إنه رغم الأموال الباهظة والمكائد لم يحقق البروتستانت إلا نتائج ضئيلة، إذ لا يضم جبل لبنان أكثر من ٦٠٠ نسمة من طائفة البروتستانت وأكثرتهم من المرتدين عن الطائفة الأرثوذكسية))^(٢).

حيث عمل هؤلاء المبشرون على استغلال احتياجات السكان في المجالات شتى، فاستغلوا حاجتهم للتعليم والمدارس، ولذلك اقتصر التعليم في النصف الأول من القرن التاسع عشر على التعليم الديني وكان المبشر الأمريكي هنري جيب^(٣) يقول: ((إن المدارس شرط أساسي لنجاح التبشير، وهي بعد هذا واسطة لا غاية في نفسها))^(٤)، وهذا ما يدل على أن التعليم لم يكن إلا ستاراً.

كما استغلوا الأوضاع الصحية السيئة للسكان، وحاجتهم للتداوي، والدواء، فاتخذوا من الطب ستاراً يتقربون به من خلاله من عامة الناس، والزعماء.

وبذلك نستنتج أن أعمال التعليم، والطبابة التي اتبعها المبشرون لم تكن من باب أعمال البر والإحسان؛ وإنما من منطلق الغاية تسوُّغ الوسيلة.

إنَّ شدة التنافس بين الإرساليات الأجنبية في زمن القائممقامتين، دفع شكيب أفندي على اتخاذ إجراءات تقضي بترحيل المبشرين من الجبل؛ الأمر الذي دفع البريطانيين بالضغط على السلطنة العثمانية لعزله، وبالفعل تم عزله بناء على ذلك^(٥)، وهذا ما يشير إلى الدور الذي أدته الإرساليات التبشيرية وقوة تأثيرها في القرارات الصادرة في الجبل، وهذا ما أكدته القنصل الفرنسي في بيروت سنة ١٨٦١ قائلاً:

١- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٢٤٢.

٢- بتكوفيتش: مصدر سابق، ص ١٦١.

٣- هنري جيب: واعظ، مبشر. من آثاره: جلاء اللحظ في علم الوعظ مع مصابيح الدعاة في واجبات الرعاة.

كحالة: مرجع سابق، ج ٤، ص ٦٧.

٤- غنام: المرجع السابق، ص ٢٤٥.

٥- زهر الدين: مرجع سابق، ص ٣٢.

((لقد التقيت الآباء اليسوعيين في غزير وهم يتمتعون بنفوذ كبير في البلاد، كما التقيت البطريرك الماروني والبطريرك الأرمني، ووجدت لدى الجميع إخلاصاً شديداً لفرنسا))^(١).

ويتوضح من ذلك أن العلاقة كانت وثيقة جداً بين الإرساليات، والقنصليات من خلال ملاحظتها ومتابعتها لأعمال مبشريها للاطلاع عن كثب على جهودهم، ونشاطاتهم، حتى أن القنصل الفرنسي كان يشرف بنفسه على نشاط مبشريه^(٢)، ويشير أحد تقارير الأب بلانشيه رئيس الآباء اليسوعيين في سوريا ولبنان سنة ١٨٤٤ ارتباط اليسوعيين الدائم بالقنصليات الفرنسية وأن ((المرسلين الإنكليز والأمريكيين على اتصال دائم بالقنصليات الإنكليزية والأمريكية التي تقدمهم بكامل الدعم))^(٣).

كما أكد السلطان عبد الحميد الثاني على الأثر السلبي للمدارس العائدة للإرساليات الأجنبية قائلاً: ((إن المدارس الخاصة تشكل خطراً كبيراً على بلادنا، وقد كان خطؤنا جسيماً؛ إذ سمحنا لكل دولة في كل زمان ومكان بإنشاء المدارس التي يرغبوها، والآن نجني ضرر ما زرعنا، سمحنا لهم بفتح هذه المدارس، فقاموا يعلمون الطلاب أفكاراً معادية لبلادنا، فسأحاسب وزير المعارف على إهماله وقد يكون السبب في هذا الإهمال افتقاره إلى جرأة التصدي، أينتظر هذا الوزير أن أقوم شخصياً بهذا العمل، الحقيقة أن التصدي لهذه المدارس ليس بالأمر الهين؛ إذ يظهر أماننا قنصل دولة فيحميها من أن تطالها أيدينا))^(٤).

تساءل أحد أساتذة التاريخ الأمريكي في التبشير قائلاً: ((ماذا يمكن أن يقال الآن عن أعمال التبشير الأمريكي في الشرق الأدنى بعد قرن كامل؟ يمكننا أن نحشد إحصاءات هائلة تتعلق بملايين الدولارات وبآلاف النفوس التي ضحت في هذا السبيل، ولكن هذه ليست هبة كافية توازي النتائج التي تحققت على أيدي الإرساليات الأمريكية والمبشرين الأمريكيين في هذا المركز المهم من الشرق))^(٥) (الشرق) ونظراً للأهمية التي كان يمثلها التبشير الديني، فقد عمدت الدول الاستعمارية إلى تكريس ذلك عبر اتفاقيات سياسية فيما بينها تضمن استمرارية العملية التبشيرية الرامية إلى هدف مركزي يتمحور حول استعباد الغرب للشرق.

١- ضاهر: الجذور التاريخية، ص ٣٠٠.

٢- زهر الدين: مرجع سابق، ص ٣٣.

٣- ضاهر: المرجع السابق، ص ٢٩٨.

٤- وهي: مرجع سابق، ص ١٨٧.

٥- زهر الدين: المرجع السابق، ص ٣٦.

خامساً - الهجرة وأثرها على مجتمع جبل لبنان.

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما ضاقت سبل العيش على الفلاح في جبل لبنان وحرمانه من الأراضي الصالحة للزراعة، بدأ أهالي الجبل بالهجرة إلى الساحل للعمل في التجارة، كما هاجر قسم آخر إلى أمريكا، وأستراليا، وغيرها من البلدان، ووصل عدد المهاجرين في المتن الأعلى وحده سنة ١٩١٣ إلى ما يقارب أربعة آلاف وأربعمائة وتسعة أشخاص، ومن خلال عملهم بالمهجر كانوا يرسلون الأموال إلى أهاليهم الذين قاموا بشراء بعض الأراضي، ولكنهم اصطدموا بطمع الإقطاعيين، ومعارضتهم، وبسطوة الكنيسة المارونية فاقتصرت أملاكهم على ملكيات صغيرة^(١) وجاء في التقرير العائد للدكتور كارسلو أحد المبشرين الأسكتلنديين الذين أقاموا في قرية الشوير بين سنتي ١٨٩٣-١٨٩٤ الآتي: ((في طريقنا إلى الجبل لاحظنا تحسناً ملموساً في معالم القرى التي مررنا فيها، فقد كانت أعمال البناء في قرى كثيرة على قدم وساق، وكانت السقوف الترابية تزال ويوضع مكانها سقوف من قرميد مرسيليا الأحمر، وكانت النوافذ تدهن بالدهان الأخضر، وكان كل شيء يدل على الرخاء والسعة، وللشوير الآن بلدية تقوم بأعمال في البلدة تدعو إلى الإعجاب، والإكبار فقد عبدت الشوارع، وأنشئت عيون الماء ونظفت مغاورها، وجهزت جميعها بمواسير من حديد. ومنذ زمن قصير جداً وضعت البلدية أربعة مصابيح تضاء بالكاز لإنارة الشوارع الرئيسية، ولا يرضى العمال الآن بالأجور التي كانت تدفع لهم منذ سنوات، ويبدو أيضاً أن مظاهر هذا الغنى والازدهار مرده إلى رجوع عدد غفير من الذين كانوا قد هاجروا إلى البرازيل، والولايات المتحدة، وأستراليا لسنوات خلت، وبعد أن جمعوا ثروات عظيمة بشق الطرق عادوا إلى أوطانهم ليتمتعوا بالعيش الهانئ))^(٢).

ونستنتج من هذا التقرير أن الهجرة أصبحت مصدراً اقتصادياً مهماً للكثير من العائلات، ولكن ما لبث الوضع أن تغير بسبب صعوبة وصول أموال المهاجرين إلى أهاليهم من جراء الحرب العالمية الأولى وقطع وسائل الاتصالات، والمواصلات.

كما قدّم سكان الجبل مذكرة للمتصرف أوهانس باشا سنة ١٩١٣ يصفون الحالة التي وصلوا إليها، جاء فيها الآتي: ((إن إجبار الجبل على طلب الانضمام إلى ولاية بيروت متنازلاً بذلك عن

١- سعيد: تطور الملكية، ص ١٠٤.

٢- كوثراني: مساهمة في دراسة أصول، ص ٨٧.

جميع امتيازاته، قامت بحرمان الجبل من منفذ إلى البحر وإلى السهول الداخلية)) وأضافت المذكورة: ((ها نحن اليوم تحت ضغط الجوع والفقر، نغادر جبلنا الحبيب الذي أصبح قاحلاً لا اخضرار فيه))^(١).

١- أسباب الهجرة:

أ- الصراعات الطائفية: أدت الصراعات الطائفية المتكررة التي وقعت في سنوات ١٨٤٠ - ١٨٤٥ - ١٨٥٩ - ١٨٦٠، والحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ وما رافقها من أعمال قتل وسلب، ونهب، وتهجير إلى تشكيل حالة من الرعب، والخوف والذعر في نفوس أبناء الجبل ما أدى إلى تفكك نسيج المجتمع روحياً، ونفسياً، كما شكّل عدم الإحساس بالأمان وترقب الأمور إلى ما سوف تؤول إليه عاملاً إضافياً، ومشجعاً على الهجرة بحثاً عن الأمن والاستقرار، والعمل، كما أن تخوف الشباب من تجنيدهم للخدمة العسكرية، وخصوصاً بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى شكل عاملاً إضافياً آخر للهجرة^(٢).

ب- أسباب اقتصادية: عدّت الزراعة المورد الرئيس لسكان الجبل، حيث شكلت الأرض الزراعية جزءاً مهماً من حياة الفلاح، وأسرته، وأساساً لوجوده، واستمراره في الحياة، ولكن وبسبب الحروب الطائفية وتهجير السكان وخسارتهم لأراضيهم، وقلة الإنتاج بسبب مواسم القحط والجفاف المتتالية، وموجة الجراد التي قضت على الكثير من المحاصيل^(٣)، وتعرض بعض المنتجات الزراعية للمنافسة من قبل المنتجات الأوروبية أسفر عن تراجعها، فمادة زيت الزيتون المحلي تدنت أسعارها على حساب زيت السمسم الأوربي، كما تعرض إنتاج التبغ لمزاحمة التبغ العثماني^(٤)، أدى ذلك كله إلى ضائقة مالية كبيرة هددت حياة هذا الفلاح؛ مما اضطره للهجرة بحثاً عن عوامل استمراره، ولم يكن الوضع الحرفي بأفضل حال، حيث أصيبت بعض الحرف بالركود، والجمود بسبب قلة الأيدي العاملة من جهة، وندرة المواد الأولية اللازمة لمثل تلك الصناعات اليدوية، والمحلية من جهة أخرى^(٥)، ومثال

١- ضاهر: تاريخ لبنان الاجتماعي، ص ٤٩.

٢- العقل، جهاد نصري: الهجرة الحديثة من لبنان وتعاطي المؤسسات الرسمية والأهلية معها ١٨٦٠ - ٢٠٠٠ دار ومكتبة التراث الأدبي، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٦٤.

٣- العقل: المرجع نفسه، ص ٦٠.

٤- معطي: مرجع سابق، ص ١٧٠.

٥- العقل: المرجع السابق، ص ٦٠ - ٦١.

على ذلك تراجع صناعة خيوط الحرير أمام منافسة المصانع الأوربية^(١)، كما أن سوء الأوضاع الزراعية والحرفية انعكست سلباً على التجارة، فاضطر الأهالي لاستيراد الخنطة وتحمل ما ترتب على ذلك من تكاليف باهظة، كما أصيب تصدير الحرير الطبيعي بخسارة فادحة.

ونستنتج من كل ما سبق أن تلك العوامل، والأسباب مجتمعة شكلت عامل ضغط اقتصادي ضربت معيشة السكان، وخصوصاً في فترة الحرب العالمية الأولى، وتعرض السكان لخطر المجاعة والأمراض والأوبئة، مما دفعهم لاتخاذ قرار الهجرة هرباً من هذا الواقع المخيف والمؤلم.

ج- أموال المهاجرين: شكلت الأموال التي كانت ترسل من قبل المهاجرين إلى أهاليهم عاملاً دعائياً يحفزهم على الهجرة، حيث إن بعض الرسائل التي كانت ترسل من هؤلاء كانت تحمل عبارات تشير إلى حالتهم المادية الجيدة، وأسلوب حياتهم الرغيدة، وكان بعضهم يرسل صوراً فوتوغرافية وتظهر عليهم علامات الغنى والأناقة، كما أدت الصحافة في المهجر دوراً كبيراً في تشجيع السكان على السفر من خلال نقلها للأخبار المتعلقة بنشاطات الجاليات وأعمالها، ونجاحاتهم التي يحققونها هناك.

د- الدافع الخارجي: من الأسباب الأخرى الدافعة للهجرة، الوضع الاقتصادي المزدهر في كل من الأمريكيتين، وأستراليا، وتقديم تلك الدول كل التسهيلات؛ لاستقبال المهاجرين بغرض حاجاتهم إليهم في مجالات النمو الاقتصادي.

وليس بالإمكان إغفال عامل آخر وهو دور السماسرة الذين كانوا يحثون الشباب على السفر حيث كانوا يقدمون وصفاً مبالغاً فيه عن رغد العيش في الخارج، وكانوا يقدمون لهم التسهيلات حتى يتمكنوا من السفر، من أجل الحصول على المال مقابل ذلك^(٢).

قدر عدد المهاجرين في الفترة الواقعة بين سنتي ١٨٦٠ - ١٩٠٠ بـ ١٢٠ ألف مهاجر^(٣)، في حين بلغ عددهم في سنة ١٩١١ (١٤) ألف مهاجر وكان أغلبية المهاجرين من الفلاحين الفقراء الذين يجهلون لغة البلاد التي كانوا يهاجرون إليها، ففي الفترة الأولى من إقامتهم لاقوا الكثير من المصاعب

١- حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٥٢.

٢- العقل: مرجع سابق، ص ٦١-٦٥.

٣- معطي: مرجع سابق، ص ١٧٢.

ولكن بعد فترة من وجودهم هناك أخذوا بالاندماج بالمجتمع الجديد، والكثير منهم من بدأ حياته في بلاد المغرب كبائعين جوالين^(١).

٢- أماكن الهجرة:

أ- مصر: عدت من الدول الأولى التي هاجر إليها سكان الجبل، والسبب في ذلك وفرة العوامل الجغرافية والتاريخية، والثقافية التي شكلت قاسماً مشتركاً بين المهاجرين وأهل مصر^(٢)؛ فضلاً عن ذلك كانت الحكومة المصرية في عهد الخديوي إسماعيل ١٨٦٣-١٨٧٩ بحاجة إلى موظفين أكفيا لإعادة تنظيم الإدارة، فوجدت هؤلاء المهجرين الأمل المرجو في إنقاذ البلاد^(٣)، ولم يقتصر عمل هؤلاء على الوظائف الإدارية فقط؛ بل عملوا في مجالات الطب، والصيدلة والتجارة، والصحافة^(٤).

ب- القارة الأمريكية: لقد تدفقت الهجرة نحوها في عهد المتصرفية، وكان غالبية المهاجرين من المسيحيين، وبلغ عدد المهاجرين بين سنتي ١٨٩٨-١٩١٥ إلى الولايات المتحدة الأمريكية ١٠٠ ألف مهاجر، مقابل ٩٢ ألف للأرجنتين، و ٣٩ ألف للبرازيل، وتؤكد المصادر على أن طانيوس البشعلاني من صليما هو أول عربي هاجر إلى أمريكا سنة ١٨٥٤ وموسى بن مزيارة للبرازيل سنة ١٨٨٠ وإبراهيم أبو تاد إلى كندا سنة ١٨٨٢^(٥)، وبدأت طلائع الهجرة إلى استراليا سنة ١٨٧٦^(٦)، ومن الأسماء التي هاجرت إلى بريطانيا عبد الله طراد^(٧) سنة ١٨٦٢ وإلى الأرجنتين حبيب النشاي من بشري بشري سنة ١٨٦٨ وتبعه أنطونيو عواد وإسكندر عواد سنة ١٨٨٠، وإلى كندا سليم الياس الأشقر سنة ١٨٨٢، وتبعهم أديب فرح الله، وحنا مظلوم^(٨) ١٨٩٠، وإلى المكسيك رشيد كامل من بكفيا سنة ١٨٨٠، وإلى تشيلي ميشال شيخا من بكفيا، وإلى كولومبيا عقل سكر، وفريد شاكر سنة

١- حَتّي: مرجع سابق، ص ٥٧٨.

٢- العقل: مرجع سابق، ص ٩٣.

٣- العقل: المرجع نفسه، ص ١٧١.

٤- حَتّي: المرجع السابق، ص ٥٧٧.

٥- العقل: المرجع السابق، ص ٩٥.

٦- العقل: المرجع نفسه، ص ٩٧.

٧- عبد الله طراد: مؤرخ، أديب، من آثاره: تاريخ أساقفة بيروت فرغ من تأليفه سنة ١٢٣٩هـ الموافق لـ

١٨٢٤ وله كتاب أدبيات فلاسفة اليونان. كحالة: مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٩٦.

٨- العقل: المرجع السابق، ص ٧٠.

١٨٨٠ وإلى كوبا أنطوان فرح^(١) من الكورة سنة ١٨٧٩، وفي استراليا حنا عبود من راشيا، و طانيوس أبو خطار من زحلة سنة ١٨٧٦.

بلغ عدد الذين هاجروا إلى أمريكا في الفترة الممتدة بين سنتي ١٨٨٤-١٩٠٢ ما يقارب ١٧٨٩٤ وإلى الأرجنتين ٢١٧٠٦، وإلى البرازيل ٧٣١٠، وإلى السنغال ١٠٨، وإلى غينيا ١٦١^(٢)، ونستنتج من الإحصاء السابق مدى إقبال سكان الجبل للهجرة إلى القارة الأمريكية مقارنة بالقارة الإفريقية.

استخدم المتصرف مظفر باشا كل الوسائل لمنع الهجرة حتى أنه كتب إلى البطريرك الماروني الياس الحايك^(٣) الأمر التالي ليلغيه إلى الرعايا جميعهم يقول فيه:

((إن كل من يقدم على السفر من دون أن يكون لديه ما يقوم بأسباب معيشته يصادف الكثير من الصعوبات، والإهانات، ويتعرض للطرد))^(٤).

إن الهجرة في مطلع عهد المتصرفية كانت بأعداد قليلة، لذا لم يبادر المتصرفون خلال تلك الفترة إلى تنظيم الهجرة ضمن قوانين إلى أن جاء عهد المتصرف مظفر باشا الذي قام بجولة على مناطق الجبل اطلع فيها على أحوال السكان، وعلى واقع الهجرة، ونتائجها، وألقى خطاباً في بلدة العاقورة مبدئاً رؤيته لواقع الهجرة حيث قال:

((والحالة بأنه بالنظر إلى الامتيازات الممنوحة لجبل لبنان كان بالأحرى به أن يكون قد سار مراحل في سبيل التقدم، والفلاح، أما شواهد الحال فتشهد بالعكس على تقهقره يوماً فيوم حتى لم

١- أنطوان فرح ١٨٧٤-١٩٢٢: ولد في طرابلس، أديب وصحفي، وعمل في الصحافة، وكان يكتب بالفرنسية والعربية بأسماء مستعارة، جاء إلى الإسكندرية سنة ١٨٩٧ وأصدر مجلة الجامعة العثمانية سنة ١٨٩٩، أنشأ مجلة السيدات بالتعاون مع شقيقته روز وأصدر في نيويورك مع نقولا النقاش جريدة الجامعة. العودات: مرجع سابق ص ١٠٠.

٢- العقل: مرجع سابق، ص ٧١-٧٢.

٣- الياس الحايك ١٨٤٣-١٩٣١: زعيم ديني ماروني تعلم في مدرسة مار يوحنا مارون في كفرحيا، وفي مدرسة غزير للآباء اليسوعيين، ثم تابع دراسته العليا في إيطاليا، عاد إلى جبل لبنان في سنة ١٨٧٠ بعد نيله شهادة الدكتوراه في اللاهوت، ودرّس في مدرسة مار يوحنا مارون انتدب في سنة ١٨٧٢ إلى الديوان البطريركي ليكون أمين سر البطريركية المارونية، ومحامي الزواج الكنسي قرابة ١٧ سنة، وفي أثناء الصراع بين المتصرف رستم باشا، والمطران بطرس البستاني تم نفيه إلى القدس، كتب العرائض وجمع توقيعات الموحدين والموارنة فأسهم بعودة المطران إلى كرسية في بتدين، استدعي من روما على أثر وفاة البطريرك يوحنا الحاج، لينتخب بطريكاً في بداية سنة ١٨٨٩ بتأييد من فرنسا. الكيالي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٩٣.

٤- العقل: المرجع السابق، ص ٧٥.

يعد في وسعه القيام بعيالة بنيه فيهجرونه، وهذا مما يزيده افتقاراً وسوء حال، نعم إننا قد رأينا في جبل لبنان دوراً أشبه بالقصور وبذخاً طافحاً في كل مكان، لكننا لم نر ينبوع الثروة المستفيض منه ذلك البذخ إلا فضلة من فضلات المال، نرى الفضلة ولا ترى الأصل، نرى الوجه السليبي للاقتصاد، فأين وجهه الإيجابي؟ على أن المال الذي يكتسبه بعض اللبنانيين من الخارج لا يصدق عليه القول بأنه مورد ثروة حقيقية لجبل لبنان، لأنه وقتي وعرضي ومحصور في بعض الأفراد، فلا يجعل البلاد غنية في ذاتها^(١).

ونستنتج مما سبق أن البذخ، والترف حتى ولو وجد في مكان ما، ولم يكن منبعه من المكان نفسه فإن ذلك الترف والبذخ إلى زوال سريع، ومن هنا عدّ المتصرف مظفر باشا بأن الأموال التي تأتي للجبل من الخارج عن طريق المهاجرين لا يمكن الاعتماد عليها من أجل تشكيل اقتصاد قوي؛ لأن تلك الأموال ليست ثابتة، وتلعب بها عدة عوامل داخلية وخارجية.

كتب سليمان البستاني واصفاً تعرض المهاجرين للاستغلال على يد السماسرة في مرفأ بيروت الآتي: ((إنه لو حوكم ولاية بيروت على ما كانوا يؤلمون به أولئك المهاجرين البؤساء، وما يبتزونه منهم من أموال بواسطة أو بأخرى يوم سفرهم أو يوم عودتهم، لحكم عليهم بالسجن المؤبد))^(٢) نلاحظ من خلال هذا الوصف الذي قدمه سليمان البستاني مدى فداحة ذلك الاستغلال الذي كان يتعرض له أهالي الجبل الراغبون بالهجرة، وعدم وجود من يراقب ويحاسب، ونقدم فيما يلي جدولاً بعدد المهاجرين في قضاء البترون في سنة ١٩١٣^(٣):

القرية	عدد السكان	عدد المهاجرين	القرية	عدد السكان	عدد المهاجرين	القرية	عدد السكان	عدد المهاجرين
اهدن	٨٠٠	٦٠٠	بشري	٨٠٠	١٤٠٠	بشعلي	٩٧٤	١٤٤
بقسميا	٥٣٠	٦٧	تنورين	٣٢٠	٥٥٠	حصرون	٣٥٠٠	٥٠٠
حلتا	٣٠٠	١	الدوق	١٦٨	٨	راشا	١٩٢	١٠
عبدین	٢٠٠	٧٠	قنات	٤٠٠	١٧٠	كفرحتنا	٢٣٠	١٣
غوما	٢٧٣	٣٣	عبرين	١٠٠٠	١٥٠	نيحا	٢٧٠	٦٠

ولم يسجل عهد المتصرف يوسف باشا ١٩٠٧-١٩١٣ أية مبادرة جديدة لمعالجة مشكلة الهجرة التي تفاقمته؛ مما دفع بالمطران بطرس شبلي أن يرفع تقريراً إلى الحكومة الفرنسية سنة ١٩١٣ يندد

١- العقل: مرجع سابق، ص ٧٣.

٢- البستاني، سليمان: عبوة و ذكرى، الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٧١.

٣- العقل: المرجع السابق، ص ٨٠-٨٣.

فيه بالهجرة، وشهد عهد المتصرف أو هانس باشا ١٩١٣-١٩١٥ إعادة النظر في إحصاء نفوس المتصرفية، ونتيجة لعملية الإحصاء تبين أن عدد سكان المتصرفية بلغ ٤٠٧٧٥٠ نسمة، هاجر منهم ١٠٠٦٥٧^(١)، واستناداً لذلك يقدم الجدول الآتي عدد المهاجرين في عهد المتصرفية بين سنتي ١٩١٣-١٩١٤^(٢).

القضاء	عدد السكان	عدد المهاجرين	نسبة المهاجرين	القضاء	عدد السكان	عدد المهاجرين	نسبة المهاجرين
دير القمر	٨٤٥٥	٢٣٣٢	٢٧,٥٨	زحلة	١٢٦٥٨	٥٣٢٧	٤٢,٠٨
جزين	٢٤٥٩٣	٨٠٦١	٣٢,٧٧	البترون	٨٣٢٢٠	٢٦٠٢٤	٣١,٢٧
الكورة	٢٤٠٦٣	٧٢٠٤	٢٩,٩٣	المتن	٨٩٦٧٦	١٩٨٥٣	٢٢,٣١
كسروان	٦٣١٤٧	١٤٨٩٥	٢٣,٥٨	الشوف	١٠١٩٣٨	١٦٩٦١	١٦,٦٣
المجموع	٤٠٧٧٥٠	١٠٠٦٥٧	٢٤,٦٧				

تتبع المهاجرون أخبار بلادهم عبر وسائل الاتصال المتاحة، ولا سيما الصحف، والرسائل، ومن القادمين حديثاً من أرض الوطن، وتفاعلوهم مع قضايا بلادهم في اتخاذ مواقف جماعية عبر الجمعيات والنوادي، والمؤسسات التي انتظم فيها هؤلاء المهاجرون، ومن أهم المواقف التي اتخذوها:

- معارضتهم للسلطنة العثمانية بعد إعلان دستور سنة ١٩٠٨ بشأن انتخابات نيابية لتمثيل جبل لبنان في مجلسها النيابي (مجلس المبعوثان)، وطالبوا باحترام الدولة العثمانية لبروتوكول سنة ١٨٦١.

- مطالبتهم بمساواة المرافئ على السواحل اللبنانية التابعة للمتصرفية بباقي مثيلاتها العثمانية، حيث عدّوا افتتاح المرافئ الخاصة بالجبل يعزز من قوته، كما لاقت التيارات الإصلاحية الداعية للمساواة والعدالة مساندة، وتأييد المهاجرين، فتولى خليل سعادة^(٣) عبر مجلته (المجلة) التي أصدرها في الأرجنتين مهاجمة السلطنة العثمانية، ووصفها بأنها: ((الدولة الوحيدة في تاريخ العالم التي لم تترك وراءها تمذناً بل ولدت من السيف، وعاشت بالسيف، ولقيت حتفها بالسيف)).

١- العقل: مرجع سابق، ص ٨٧-٨٨

٢- العقل: المرجع نفسه، ص ٩٠-٩١.

٣- خليل سعادة ١٨٥٧-١٩٣٤: ولد في الشويعر، وتخرج طبيباً من الجامعة الأمريكية هاجر إلى مصر، وعمل في الطب والتأليف، ثم انتقل إلى الأرجنتين، وأصدر مجلة (المجلة) سنة ١٩١٥، وجريدة (الجريدة) ثم رحل إلى البرازيل، وتوفي هناك، من مؤلفاته: معجم سعادة في الإنكليزية والعربية وقاية الأمراض السارية، الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه، رواية أسرار الثورة الروسية قيصر وكيلوباترا. كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٦٨٤.

كما هاجم السياسة الاستعمارية التي انتهجتها كل من بريطانيا، وفرنسا، وهاجم التعصب المذهبي والديني الذي عدّه إرثاً همجياً^(١).

وضعت الدولة العثمانية نظام (الباسبورات) سنة ١٨٦٦، حيث أكد المتصرف مظفر باشا على العمل به، وتم تحديد شروط معينة للسماح بالسفر، فالزرم المهاجر على أن يحمل جواز سفر وتذكرة سفر، وتم حصر الموافقة على سفر أي شخص بمجلس إدارة المتصرفية كما حددت شروط السفر إلى الخارج على النحو الآتي:

- التأكد من عدم وجود دعاوى ضد الشخص المهاجر، وهو ما يسمى بـ العلم والخبر.
 - أن يقدم المهاجر طلباً للهجرة بمعرفة شيخ قريته (الكفالة).
 - تقديم طلب إلى مقام المتصرفية للحصول على مذكرة سفر (العريضة).
 - دفع ما يترتب على ذلك الأمر من ضرائب مقدرة بعشرة قروش (الرسم القانوني).
 - التأكد من الحصول على الرقيم، وهو الأذن بالسفر الذي يحصل عليه المسافر من المتصرفية^(٢).
- وبسبب استغلال السماسرة لحاجة الشخص لتذكرة المرور، واستغلاله من الناحية المادية، أصدرت السلطنة أمراً في سنة ١٩٠١ تطلب فيه من المواطنين الراغبين في الحصول على تذكرة مرور بالحضور بشكل شخصي، ويطلب ذلك من الإرادة السنوية^(٣).

ونورد في ما يلي نماذج من صور العلم والخبر، والكفالة، والعريضة، والرقيم :

— صورة العلم والخبر (الذي يجب أخذه من شيخ صلح القرية)^(٤):

أن ابن مذهبه صنعته من محلي مولود .
سنة قامته عيونه أنفه فمه شاربه لحيته .
ذقنه وجهه لونه علامات هو من قريتنا المذكورة .
أعلاه وأؤكد به بأن ليس عليه دعاوى جزائية .
ولا مالية وغير متأخر عليه أموال أميرية ولا رسوم طرقا وإذا وجد شيء من ذلك

١- العقل : مرجع سابق ، ص ١١٦-١١٨.

٢- العقل : المرجع نفسه، ص ٧٥-٧٦.

٣- هشي: يوميات لبناني ، ص ٤٥.

٤- الأسود: دليل لبنان، ص ٩٣.

أقوم مقامه وهو قاصد السفر إلى ... وبناء على طلبه أعطي بيده هذا العلم والخبر .

صورة الكفالة التي يجب تقديمها^(١):

بتاريخه أنا الواضع اسمي أدناه أكفل لجانب حكومة متصرفية جبل لبنان الجليلية الطالب إعطاء تذاكر مرور لمدينة وأؤكد بأن ليس على المكفول المحرر دعاوى جزائية ولا مالية وغير متأخر عليه أموال أميرية ورسوم طرقات وأنه بعد ذهابه لا يغير تابعيته العثمانية وإذا وجد بحالة من الأحوال المار ذكرها وطاب إحضاره لديها ولم يحضر التزام بإحضاره وإلا أقوم مقامه بكل ما يطلب منه ويتوجب عليه قانوناً من الرسوم والضرائب للحكومة، وأدفع له علاوة على ذلك خمسين ليرة عثمانية وأتعهد أيضاً بدفع كامل الرسوم والمرتبات التي تطلب من مكفولي بمدة غيابه وطالما هو غائب بالغة ما بلغت وإن باع تذكرته هذه أكون ملزوماً بدفع خمسين ليرة عثمانية للحكومة وإذا تكفلت سفارة الدولة العليا شيئاً من المصارفات عليه لإرجاعه لبلاده فالتزم بدفعها بالغاً ما بلغت وإشعاراً بكفالي هذه حرر مصادقة شيخ الصلح أن الكفيل المحرر ... قادر على القيام بحق كفالاته المدرجة أعلاه لأن له أملاكاً ثابتة تبلغ قيمتها .. وإن وجد غير قادر على إيفائها فأنا كفيله وأطالب ما يطلب به.

وفيما يلي نموذجاً عن تذكرة مهاجر:

الاسم ومحل الولادة	الصناعة	المحل المقصود	المذهب	السن	القامة	العيون	الأنف	الفم	الشارب
الليحية	الذقن	الوجه	اللون						

— صورة العريضة التي يجب رفعها إلى مقام المتصرفية الجليلية (لجانب متصرفية - لبنان الجليلية) :

دولتو أفندي حضرتلري المعروض من مقدمه فلان الفلاني من القرية الفلانية التابعة القضا الفلاني أنني لما كنت عازماً على السفر إلى المحل الفلاني لمعاطاة التجارة (أو العمل الفلاني) وكنت قد أتممت المعاملات السفرية المقتضاة لدى شيخ صلح قريتي فالتمس أن يصدر الأمر الكريم بإحالة عريضتي هذه إلى مديرية التذاكر و الباسورت لاستكمال المعاملات اللازمة فيها واستيفاء الرسم مني وإعطائي التذكرة المطلوبة وبكل الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر في شهر كذا سنة ...

— صورة رقيم المتصرفية الجليلية^(١) .

جبل لبنانده كائن قرية سي اهاليسندن أولوب بحراً عزميت ايده جك أولان تامينات لازمة انه رق اصولي دائرة سنده تذكرة ويرلديكندن مرقومك ابرازاً ايده جكي تذكرة موجبجنه عزميتي تسهيل وعند اللزوم كندوسنه معاونت مقتضيه بي ايفا ابجون بيروت اسكله سنده متشكل قومسيونه ابراز ارلنق اوزره اشبو علم وخبر تنظيم واعطاء قلندي .

ومعنى ذلك: إن صور مشايخ صلح قرى لبنان عموماً، محفوظة في قلم مديرية التذاكر، فيجب الانتباه كي لا يقع خلل بأنّ تختتم عبارة المصادقة أو العلم والخبر بغير ختم صلح القرية الصحيحة .

خلاصة الفصل الثالث

نستنتج مما سبق الآتي:

- شكلت السياسة التي اتبعها جمال باشا في بلاد الشام الضربة القاسمة التي قضت على قدرة الأهالي في الجبل على الإنتاج والاتجار، بحيث لم يعد بمقدور السكان تأمين متطلبات الحياة الأساسية والضرورية من غذاء وكساء إلا بصعوبة بالغة.
- كان للحصار البحري الذي فرضه الحلفاء على سواحل بلاد الشام الأثر الكبير في الأزمة الاقتصادية التي حلت في بلاد الشام بشكل عام، وجبل لبنان بشكل خاص.
- اتبع الحلفاء سياسة تجويع منظمة تجاه المواطنين، من خلال منعهم للمواد الغذائية المرسلة من قبل الجاليات الموجودة في أمريكا ومصر.
- اعتمد أغلبية التجار، والسماسة أسلوب الاحتكار، حيث استغلوا أخوتهم في الوطن الواحد.
- أصبحت الكنيسة المارونية منذ منتصف القرن التاسع عشر أكبر قوة عقارية في الجبل، من خلال سيطرتها على الجزء الكبير من الأراضي المسماة بالموات، والتي كانت تزداد بسبب الهجرة والتزوح والوفاة، وكانت الأراضي الموقوفة أساس الملكية العقارية الكنسية في الجبل.
- اتسمت الملكية العقارية بسمتين متناقضتين؛ إما ملكية صغيرة فقيرة متمثلة بملكية بعض الفلاحين أو ملكية كبيرة غنية متمثلة بملكية الكنسية المارونية.
- عدت الزراعة المورد الرئيس لسكان الجبل، حيث شكلت الأرض الزراعية جزءاً مهماً من حياة الفلاح وأسرته، وأساساً لوجوده، واستمراره في الحياة، لكن وبسبب الحروب الطائفية، وتهجير السكان وخسارتهم لأراضيهم، وقلة الإنتاج بسبب مواسم القحط، والجفاف المتتالية، وموجة الجراد التي قضت على الكثير من المحاصيل، وتعرض بعض المنتجات الزراعية للمنافسة من قبل المنتجات الأوروبية ما أسفر عن تراجع الزراعة، وإلى ضائقة مالية كبيرة هددت حياة هذا الفلاح، مما اضطره للهجرة بحثاً عن عوامل استمراره.
- أدت الصراعات الطائفية المتكررة إلى تشكيل حالة من الرعب، والخوف، والذعر في نفوس أبناء الجبل؛ ما أدى إلى تفكك نسيج المجتمع روحياً، و نفسياً.

- شكل العامل الاقتصادي الذي ضرب معيشة السكان؛ وخصوصاً في فترة الحرب العالمية الأولى وتعرض السكان لخطر المجاعة والأمراض والأوبئة عاملاً ضاغطاً دفعهم لاتخاذ قرار الهجرة هرباً من هذا الواقع المخيف والمؤلم.

- سيطر الطابع السياسي، والاقتصادي للحركة التبشيرية على الطابع التبشيري، والثقافي، وبرز ذلك من خلال استغلال المبشرين لاحتياجات السكان، ومن خلال النفوذ السياسي الذي تمتع به المبشرون وتمتعهم بحماية القناصل التابعين لهم



الفصل الرابع

كان النظام الإقطاعي السائد في مجتمع جبل لبنان نظاماً اجتماعياً اقتصادياً عماده الأول الإنتاج الزراعي، وتوضحت ملامح النظام الإقطاعي في جبل لبنان بعد موقعة عين دارّة سنة ١٧١٠ بشكل واضح، حيث كان الحكم يتولاه أحد الملتزمين من الأمراء الشهابيين، وكان الأمير الحاكم يشكل رأس النظام الإقطاعي في جبل لبنان، وكان الملتزم يقوم بدور الوسيط بين الأمير الحاكم والسكان حيث كان يقوم بحماية الضرائب منهم، فأطلق هؤلاء الإقطاعيون العنان لأطماعهم، وأهكوا الأهالي بتحصيل الضرائب أضعافاً مضاعفة، وهذا الاستنزاف المتواصل للسكان أدى إلى إفقارهم؛ بسبب سيطرة الإقطاعيين على إنتاجهم واستغلالهم، مما شكل دافعاً للقيام بانتفاضات ضد الحكم الإقطاعي وهذا التعبير الرافض لواقعهم الاجتماعي، والاقتصادي كان يتم قمعه في كل مرة من قبل القوى الإقطاعية بدعم من السلطة المركزية، وظلت تلك القوى تعمل على ضرب أية محاولة ترمي لرفع المستوى المعيشي للسكان، وجعلت العلاقات الاجتماعية - الاقتصادية من الأسر الإقطاعية الوسيط الطبيعي للسلطان العثماني؛ لأن عملية حماية الضرائب اللازمة للسلطنة ارتكزت على نفوذها الاجتماعي والاقتصادي، والسياسي، ولم تتمكن السلطنة من الاستغناء عن هذه الأسر؛ لإظهار سيادتها في الوقت الذي كانت فيه هذه الأسر بحاجة إليها؛ لضمان تفوقها من خلال السلطة الجزئية التي اضطرت الدولة العثمانية لإعطائها إياها.

ظل النظام الإقطاعي على هذا المنوال حتى قيام الحكم المصري في بلاد الشام الذي عمل على إحداث تبدل نوعي في بعض مظاهر هذا النظام، فعملت حكومة محمد علي على حل الجيوش الإقطاعية وتجريد السكان من السلاح، وحماية الضرائب مباشرة بواسطة موظفين رسميين شكلوا بديلاً عن المشايخ، والإقطاعيين، والأمراء، وعملت الدولة العثمانية على استغلال محاولة محمد علي إلغاء النظم الإقطاعية، فعملت على تكريس ذلك في خط كلخانة سنة ١٨٣٩، ولكن ما لبث أن اضطرت الدولة العثمانية للعودة إلى أسلوب الالتزام سنة ١٨٤٢.

أولاً- طبقات المجتمع في جبل لبنان ١٨٤٠-١٩١٨ .

عاش المجتمع في جبل لبنان في القرن التاسع عشر ضمن تجمعات طبقية سكانية متبانية، ومختلفة مع بعضها البعض، حيث انقسم المجتمع بين طبقتين: طبقة الحكام، وطبقة المحكومين^(١)، وبذلك اندرج الناس جميعهم في طبقتين اجتماعيتين من خلال انتسابهم إلى نظام اجتماعي سياسي عماده النظام الإقطاعي القائم على ثنائية الانتماء، ولم يكن للفرد أي يد في تقرير ذلك الانتماء أو الانتقال إلى موقع طبقي متقدم، وكل ما يستطيع فعله هو إمكانية الترقى داخل الطبقة التي ينتمي إليها، كأن يصبح الفلاح في حالة مادية أفضل نوعاً ما، بدلاً من أن يظل فلاحاً معدماً، أو أن يصبح الشيخ في موقع سلطوي مميز وأفضل^(٢). ويمكننا عرض طبقات المجتمع في جبل لبنان بالآتي :

١- طبقة الحكام: التي ضمت الإقطاعيين الذين اندرجوا في مراتب منها الأمراء، والمقدمون والمشايع:

أ- الأمراء: احتلوا المرتبة الأولى في هذا التسلسل الترتيبي للأسر الإقطاعية، وكان منهم آل شهاب الذين خلفوا الأمراء المعنيين في حكم جبل الشوف، وآل أبي الملع^(٣) في المتن، وآل أرسلان^(٤) المنحدرين من الأمراء اللخمييين التنوحيين فضلاً عن الحرافشة أمراء البقاع.

ب - المقدمون: كان في مقدمتهم آل الصواف الذين حكموا المتن، وآل مزهر حكام بلدة حمانا.

ج- المشايخ: كان في طليعتهم آل جنبلاط الذين ملكوا أكثر من سبع مقاطعات، وبنو عماد زعماء الحزب اليزبكي المناوئ للحزب الجنبلاطي، وبنو نكد^(١) مشايخ مقاطعة المناصف، والشحار

١- اليازجي: مرجع سابق، ص ١٦.

٢- سميليا نساكيا: سورية ولبنان، ص ١٢٦-١٢٧.

٣- آل أبي الملع: أسرة عربية تنوخية نزلت في كفرسلوان، وحاربت اليمنيين إلى جانب آل المغربي، وعرفوا بالمقدمين، وهو لقب عسكري، تولوا منطقة المتن، واشتهر جددهم أبو الملع بشجاعته وثروته وذكائه، انتقل إلى المتن، وخلف ولدين هما: علم الدين، وقائديه اللذين نازعا آل الصواف الوجاهة، وانتزعا السلطة منهم، ويقسمون إلى ثلاثة فروع: فرع قايدبيه؛ وموطنه برمانا، وأهم رجالاته الأمير: حليم، وأمين، وبشير، فرع مراد؛ وموطنه المتن، ومن أهم رجالاته الأمير: أسعد، ويوسف، فرع فارس؛ وموطنه بسكنتا، أهم رجالاته: الأمير حسن، والأمير سلطان. اليازجي: المرجع السابق، ص ١٥. سويد: فرنسا والموارنة ولبنان، ص ٢٥٨.

٤- بنو أرسلان: ترجع هذه الأسرة إلى مالك بن بركات الذي يعود بنسبه إلى المنذر الخامس المعروف بالملك المغرور بن النعمان الثالث، انتقلت من معرة النعمان إلى جبال بيروت سنة ١٤١هـ الموافق لـ ٧٥٩م بناءً على طلب الخليفة أبي جعفر المنصور لحماية الثغور من هجمات الروم البيزنطيين. اليازجي: المرجع نفسه، ص ١٤.

وبعض قرى إقليم الخروب، وبنو تلحوق^(٢) زعماء الغرب الأعلى، وبنو عبد الملك^(٣) حكام الجرد وبنو العيد^(٤) في العرقوب الأعلى، وبنو الخازن، وحبيش^(٥)، والدحداح^(٦) في كسروان، وبنو العازار في الكورة، وبنو الضاهر^(٧) في الزاوية، وبنو حمادة^(٨) الشيعة في بلاد جبيل، وآل حماد الموحدين في بعقلين، وبالإضافة لهذه المشيخات، كان هناك طبقة أخرى من المشايخ الذين تولوا إقطاعات صغيرة ومنهم، بنو حمدان^(٩)، وبنو شمس^(١)، وبنو أبي هرموش^(٢)، وبنو أبي حمزة^(٣)، وبنو حصن

١- بنو أبي نكد: أسرة عربية سكنت نواحي حلب ثم انتقلت إلى الشوف، ثم بعقلين فدير القمر، ثم أخذت منطقة المناصف من آل حمدان، وظلت تفرض سيطرتها على المناصف، ودير القمر حتى سنة ١٨٦١ ثم انتقلت إلى الشحار. اليازجي: مرجع سابق، ص ١٣-١٤.

٢- تلحوق: أسرة عربية تعود بنسبها إلى بني أسد، وتنسب إلى "تل حوق" الذي كانت تقيم فيه في الجزيرة العربية وعلى أثر خلاف مع الشهابيين نزع بعضهم إلى رأس بيروت، وتملكوا أراضي امتدت من الروشة حتى الصنائع وبعد خلافهم مع آل الحمراء انتقلوا إلى الفيحانية بين الشويفات، وكفرشيماء. اليازجي: المرجع نفسه، ص ١٤.

٣- بنو عبد الملك: أسرة عربية سكنت بتاتر منذ زمن قديم فكانت لها الواجهة في منطقة الجرد، عاصر الشيخ جنبلط عبد الملك الأمير حيدر الشهابي، وناصره في معركة عين داره سنة ١٧١٠، ومن أبرز رجاله: إبراهيم إسماعيل، شبلي، فؤاد، يوسف. اليازجي: المرجع نفسه، ص ١٥.

٤- بنو العيد: من الأسر العريقة في جبل لبنان، واشتهر منها فرع حمود نسبة إلى جدهم حمود، وفرع بعقلين الذي اشتهر منه الشيخ عبد الحميد بن حمد بن خطار. اليازجي: المرجع نفسه، ص ١٥.

٥- بنو حبيش: أسرة من المشايخ الموارنة تنسب إلى الشيخ حبيش بن موسى بن عبد الله بن ميخائيل، ويرجع أصلها إلى قبيلة هوازن، وهي فخذ من قريش، انتقلت من اليمن إلى الحجاز، فالعراق، ثم تدمر فالشام فجبل لبنان ثم بلدة يانوح بجبة الميطرة، ومن ثم انتقلوا من جرود جبيل إلى بلدة غزير. اليازجي: المرجع نفسه، ص ٣٣.

٦- بنو الدحداح: من المشايخ الموارنة ينتسبون إلى جرجس الدحداح الملقب بالشدياق، تولوا إقطاع الفتوح وناصروا الأمير يوسف الشهابي، فانتقم منهم الأمير بشير وعذبهم في سجنه، وعندما رضي عنهم كتب إليهم سنة ١٨١٧ وتولوا مشيخة بلاد جبيل. اليازجي: المرجع نفسه، ص ٣٤.

٧- بنو الضاهر: ينتسبون إلى الشدياق بطرس الرزي الذي نزل من بعلبك في جبة بشري إلى كفر حورا في الزاوية كان في أولهم الشيخ بطرس الذي أنعم عليه والي طرابلس بمقاطعة الزاوية نظراً لخدماته، كتب إليهم الأمير ملحم الشهابي وأقرهم مشايخ على مقاطعتهم. اليازجي: المرجع نفسه، ص ٣٤.

٨- بنو حمادة: عائلة لبنانية عريقة تعود بجذورها إلى قبيلة مذحج اليمنية، نزلت عن اليمن بعد خراب سد مأرب إلى بخارى، ثم انتقلت إلى جبل لبنان، ونزلت في جرود كسروان، ثم ما لبثت أن أصبحت تحكم تلك المنطقة بعد تراجع سلطة آل عساف وآل سيفاء. اليازجي: المرجع نفسه، ص ٣٤.

٩- بنو حمدان: أسرة عربية تعود جذورها إلى قبيلة تغلب، أسس بنو حمدان الدولة الحمدانية في شمال سوريا حاربوا البيزنطيين إلى أن قضى الفاطميون على دولتهم سنة ٣٨١هـ الموافق لـ ٩٩١م، فترحوا إلى جبل لبنان، وحكموا منطقة المناصف إلى أن انتزعها منهم آل نكد، فانتقلوا إلى قرية بتاتر في الشوف. اليازجي: المرجع نفسه، ص ٢٤.

الدين^(٤) في بلاد الشوف، وبنو القاضي^(٥) في المناصف، وبنو زينية^(٦) في المتن، وبنو أمان الدين^(٧) في الشحار وبنو العقيلي^(٨) وبنو أبي علوان^(٩) في العرقوب، وبنو أبي مصلح في الغرب^(١٠).

د- المشايخ الصغار أو الفخريون: أطلقت عليهم هذه التسمية؛ لأنهم لم يستملوا إقطاعات للإشراف عليها، حيث ألحقهم المشايخ الأصلاء بهم كونهم على قدر من الغنى، فقربوهم منهم وسمحوا لهم بأن يحملوا لقبهم، وينتسبوا إلى أسرهم، وقيموا إلى جانبهم للانتفاع بأموالهم^(١١).

١- بنو شمس: أسرة عربية تعود بجذورها إلى شمال سوريا، نزحوا إلى داريا في ضواحي دمشق ثم إلى المجدل ثم كوكبا فاستقروا أخيراً في حاصبيا وتملكوها، برز منهم: أمين، وسليم، وبهجت. اليازجي: مرجع سابق، ص ٢٥.

٢- بنو أبي هرموش: تنتسب إلى العشيرة الشوزيانية التي قدمت إلى جبل لبنان من شمالي سوريا في أوائل القرن التاسع الميلادي، نزلت أولاً في ظهر البيدر، ثم انتقلت إلى جوار نبع الصفا. اليازجي: المرجع نفسه، ص ٢٥.

٣- بنو أبي حمزة: أسرة قديمة، يرجح أن نسبها يعود إلى بني شوزان، وهي عشيرة تنوخية، قدمت إلى جبل لبنان من شمالي سوريا في أوائل القرن التاسع الميلادي. اليازجي: المرجع نفسه، ص ٢٥.

٤- بنو حصن الدين: تنتسب هذه العائلة إلى جدها حصن الدين من أسرة الشرودي التي قدمت من الجزيرة العربية وأقاموا فترة من الزمن في حلب، وجاء حصن الدين إلى جبل لبنان، وأقام عند التنوخيين سنة ٧٨٥هـ الموافق لـ ١٣٨٣م وعند وفاته انتسبت الأسرة إليه، ومن أبرز شخصياتها: علم الدين، وقاسم.

اليازجي: المرجع نفسه، ص ٢٥.

٥- بنو القاضي: أسرة قديمة تعود بجذورها إلى التنوخيين، كان موطنهم الأول في رمطون، ثم انتقلت إلى عين دارة فكفرمتي، وبيصور، ودير القمر. اليازجي: المرجع نفسه، ص ٢٧.

٦- بنو زينية: أسرة قديمة سكنت العبادية، وهي فرع من أسرة أبي خزام في كفرحيم، ومن أشهر رجالها في القرن الثامن عشر الشيخ قاسم الذي كانت تربطه صداقة، ومودة مع مشايخ آل أبي عز الدين في العبادية، وفي سنة ١٨٢٦، حل وباء الطاعون بالعبادية وأمات العديد من سكانها.

اليازجي: المرجع نفسه، ص ٢٨.

٧- بنو أمان الدين: تعود هذه الأسرة بنسبها إلى آل القاضي التنوخيين المنتسبين إلى القاضي أبي اليقظان عماد الدين حسن التنوخي. اليازجي: المرجع نفسه، ص ٢٨.

٨- بنو العقيلي: تنتسب إلى عقيل، وهو بطن من بطون بني كعب بن ربيعة بن عامر، وفي حلب أسرة عربية قديمة تحمل هذا الاسم، أصلها من البصرة، قدم بعضهم إلى جبل لبنان وسكنوا في عين داره. اليازجي: المرجع نفسه، ص ٢٦.

٩- بنو أبي علوان: أسرة عربية عريقة تعود إلى بني أسد، شاركت في الفتوح الإسلامية، وانتهى بها المطاف إلى الموصل، وهناك اعتنقت الدعوة التوحيدية، ثم انتقلت إلى جبل لبنان، أحبهم فخر الدين المعني؛ وقربهم منه، ومن أهم رجالها: سعيد، شكيب، ضاهر، عثمان، يوسف، فرحان. اليازجي: المرجع نفسه، ص ٢٧.

١٠- بنو أبي مصلح: أسرة عربية تعود بنسبها إلى بني طيء، سكنت عين كسور، وكانوا يعرفون قديماً بآل أبي المكارم ويعودون بنسبهم إلى الأمير علم الدين سليمان الرمطوني التنوخي. اليازجي: المرجع نفسه، ص ٢٨.

١١- خاطر: العادات والتقاليد اللبنانية، ج ٢، ص ٩٠.

ولم تكن أهمية الأسر الإقطاعية تحدد من خلال أصلاتها أو عراققتها، بل من خلال قدرتها، ونجاحها في جباية الأموال، والضرائب المفروضة على السكان^(١)، ولمعرفة مراكز الحكم، والقرار، وأماكن تمرکز تلك القوى السياسية، ويقدم الجدول الآتي مراكز حكومة المتصرفية^(٢):

القائم مقامية	مركزها الصيفي	مركزها الشتوي	القائم مقامية	مركزها الصيفي	مركزها الشتوي
الشوف	بعقلين	الشويفات	المتن	بخنس	الجديدة
كسروان	غزير	جونية	البترون	حدث الجبة	أسكلة البترون
جزين	جزين	جزين	زحلة	زحلة	زحلة
دير القمر	دير القمر	دير القمر	الكورة	اميون	أميون

٢- طبقة المحكومين: تكونت من الفلاحين وصغار الملاكين، والعمال، والحرفين^(٣).

تمكن الفلاحون من امتلاك قطع صغيرة من الأرض يستغلونها من أجل استمرارهم بالحياة، ولكن هذه الأراضي كانت معرضة للضياع من خلال أنظمة الشراكة المتنوعة؛ بسبب الضرائب المفروضة وإرهاق الفلاحين بالديون، وطمع الإقطاعيين^(٤)، وكان الفلاح يعمل في الأرض من بزوغ الفجر حتى حلول الظلام، ويقسم الفلاحون إلى ثلاث فئات:

أ- الملاكون الصغار المستقلون: وهم الذين يملكون قطع أرض صغيرة لا تكاد تسد رمق العيش ويلتزمون بدفع الضرائب.

ب- الفلاحون الشركاء: الذين يحصلون على الأرض مقابل عقد شراكة يتم اختياره بالاتفاق مع المالك^(٥).

ج- الملاكون الصغار المستأجرون: وهم يمتلكون مكانة متوسطة بين الفئتين السابقتين. ونظراً لنظام الشراكة الظالم بحق الفلاحين، وطبيعة أراضي الجبل غير الملائمة للزراعة بشكل كبير تحول عدد من الفلاحين إلى عمال زراعيين، حيث خضعوا لقوانين العرض والطلب، وتغير أجورهم

١- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ١٧٧.

٢- الأسود: دليل لبنان، ص ٥٧-٥٨.

٣- تم الحديث عن العمال والحرفيين في الفصل الثاني ص ٩٨-١٠١.

٤- سعيد: تطور الملكية، ص ١٤٩.

٥- بو عماد: مرجع سابق، ص ٨١.

حسب فصل العمل، ففي الشتاء يكون الأجر منخفضاً نظراً لقلة العمل، وكثرة اليد العاملة، ومن هنا جاءت تسمية الأجير الذي يأخذ أجر نقدي أو عيني مقابل عمله في الزراعة أو أي عمل آخر^(١)

ثانياً - إحصاءات السكان.

كانت لعملية الإحصاء أهمية كبيرة في معرفة التزايد السكاني، والتطور الذي طرأ عليه بسبب انتقال السكان من مكان إلى آخر، وعلى ما يبدو أن الدولة العثمانية لم تعطِ للعملية الإحصائية أية أهمية؛ لذا غابت الإحصاءات الرسمية الدقيقة، فاستعاض عنها بإحصاءات وضعت من قبل بعض القناصل والمؤرخين، ومن هؤلاء القناصل (هنري غيز)، و(بروسير بوريه)، و(ريتشارد إدوارد) و(الكولونيل تشالز تشرشل)، و(إدوارد لوكروا)^(٢).

كانت سياسة فرنسا في الجبل تقوم على زيادة النفوذ المسيحي، وتقليص نفوذ القوائمقامية الدرزية وعلى زعزعة سلطة الزعامات الدرزية في المقاطعات المختلطة، وفي إطار تلك السياسة. وفي سنة ١٨٤٤ قدم القنصل الفرنسي تقريراً عن التوزيع الطائفي، على الشكل الآتي^(٣):

اسم المقاطعة	المسيحيون	الموحدون	سنة و شيعة	اسم المقاطعة	المسيحيون	الموحدون	سنة و شيعة
المتن	١٠٩٩٠	٢١٠٥	١٠٠	العرقوب	٢٧٦٠	٢٧٩٠	-
الشوف	٤٢٩٠	٨٦٩٥	-	الغرب الأعلى	٣٦٧٥	٣٩٤٠	-
التفاح	٤٨١٥	٥	١٠٥	جزين	٥٣٣٠	٦٥	٥٦٠
الجرود	٢٤١٠	١٨٢٠	-	الخروب	٣٣٩٠	٤٥	٣١٩٠
المناصف	١١٩٥	١٦٩٥	-	الشحار	٣٩٧٠	١٠٥٠	-
الساحل	٧٣٩٥	٧٥	٨٩٩	دير القمر	٤٣٨٥	١٩٧٩	-

نستنتج من الإحصائية السابقة بأن سيطرة الموحدين كانت على مناطق ذات أغلبية مسيحية، وتم استغلال ذلك من قبل الفرنسيين لإذكاء روح الطائفية والفتن، وللأسف ما زال البعض يصدق مثل تلك الأمور بأن دولة أوربية تتدخل من أجل حماية طائفة معينة، إن الدول الكبرى لا تهتم إلا بمصالحها ولتحقيق ذلك لعبت على هذا الوتر الحساس (الطائفية)، ولكن بعد مرور كل هذا الزمن ألم يحن الوقت لكي نفهم هذه اللعبة؟

١ - سعيد: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في الأرياف اللبنانية، ص ١٠٠.

٢ - غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ١٨٢-١٨٣.

٣ - ضاهر: الجذور التاريخية، ص ٢٤٦-٢٤٨.

بلغ عدد سكان زحلة اثني عشر ألف نسمة في سنة ١٨٦٠، فأصبح في سنة ١٨٨٧ ثمانية عشرة ألف نسمة^(١)، وحسب التقارير الفرنسية كان تعداد سكان المتصرفية في جبل لبنان لسنة ١٨٦٣ على النحو التالي^(٢) :

موارنة	أرثوذكس	كاثوليك	دروز	شيعة	سنة	بروتستانت	يهود	المجموع
١٣١٨٠٠	٢٩٣٢٠	١٩٣٧٠	٢٨٥٦٠	٩٨٢٠	٧٦١١	١٠٠	٢٠	٢٢٦٦٠١

بينما أصبح تعداد السكان بين سنتي ١٨٦٥-١٨٩٥ على النحو الآتي^(٣):

موارنة	روم أرثوذكس	روم كاثوليك	دروز	سنة	شيعة
١٧١٨٥٠	٢٩٣٢٦	١٩٣٧٠	٢٨٥٦٠	٧٦١١	٩٨٢٠
٢٢٩٦٨٠	٥٤٦٨٠	٣٤٤٧٢	٤٩٨١٢	١٣٥٧٦	١٦٨٤٦

ولم يكن هناك عملية إحصاء دقيقة للسكان فقد اقتصرَت عملية الإحصاء على تعداد عدد الذكور في كل طائفة، وذلك بواسطة الإقطاعيين الذين شكلوا لجان إحصاء، وكان الهدف من عملية الإحصاء هو معرفة عدد دافعي الضرائب ليتم توزيعها عليهم.

منذ عهد المتصرف واصبا باشا ١٨٨٣-١٨٩٢ أصبح الإحصاء يشمل الذكور والإناث، وخصّص دفتر خاص يضم تعداد القرية و تعداد كل طائفة لوحدها^(٤) فأعطي المختار لوحات خاصة من الورق، يذكر في رأس اللوحة: القائمقامية ثم المديرية وبعدها اسم القرية، ثم عدد بيوتها وعدد كنائسها، وأديرتها، ومساجدها، ومدارسها، وتقسم اللوحة إلى أقسام يذكر فيها أسماء الطوائف وتعداد كل واحدة منها.

كان عدد سكان قضاء المتن في سنة ١٩٠٢ (٩٥٠٠٠)^(٥)، ففي سنة ١٩١٣ بلغ عدد سكان قضاء المتن ٢٢٢٦٨ نسمة يتوزعون على أربعين قرية وبلغ عدد الذكور ١٢٣٤٤ أما عدد الإناث ٩٩٢٤، أما توزيع السكان طائفياً في المتن فكان على الشكل الآتي^(٦):

المذهب	موارنة	دروز	روم كاثوليك	روم أرثوذكس	بروتستانت	مسلمين	المجموع
العدد	١٠٩٣٨	٨١٣٢	٥٧٨	٢٤٠٥	٦١	١٥٤	٢٢٢٦٨

١- المعلوم: تاريخ مدينة زحلة، ص ٢٦١.

٢- ضاهر: الجذور التاريخية، ص ٢٦٠.

3. - John Spaghola , france and Ottoman, Lebanon 1977,p23

٤- سعيد: تطور الملكية، ص ٤٧.

٥- هشي: يوميات لبناني، ص ٨١.

٦- سعيد: المرجع السابق ، ص ٤٨- ٤٩.

وفيما يلي يقدم الجدول الآتي إحصاءً بعدد سكان الجبل في سنة ١٩١١^(١):

قائمةمقامية	إسلام		موارنة		دروز		روم أرثوذكس		روم كاثوليك	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
البترون	٣٦٢	١٩٩	٣٨٣٢٦	٣٢٠١٥	-	-	٢٨٢٥	٢٠٦٥	٥٨٦	٤٩٩
الكورة	١٠٨٤	٩٢١	١٥٩٨	١٤٦٢	-	-	١٠٢٩٩	٨٦٢١	٥	٦
كسروان	١٦٨	١٤٢	٣٢٠٥٤	٢٦٤٧٢	-	-	٩٤٣	٨٦٨	٢٥٥	٢٢٥
المتن	١٨٣	١٣٠	٣٠٤٩١	٢٤٤٢٠	٥٠٨٨	٤٠٨٩	٨٦٨٦	٦٥٤٣	٣٥٠٥	٢٦٥٣
الشوف	٥٧٣٩	٥٠٥١	١٧٧٤٨	١٤٥٦٨	٢١١٣٥	١٦٩٢١	٥٥٤٦	٤٤٤٣	٤٢٧٧	٣٤٥٥
زحلة	١٤١	٨٩	١٦٠٩	١١١٢	-	-	٥٠٣	٣١٧	٥٠١٠	٣٦٦٦
دير القمر	٣	٨	٣٨١٤	٣٠٤٤	٥	٣	-	-	٧٣٧	٧٠٣
جزين	١٥٩	١٥٠	٧٧٥٢	٥٨٢٣	٢٥	٢٤	٣٧٦	٣٢١	٣٦١٢	٢٧٤٢
المجموع	٧٨٣٩	٦٦٩٠	١٣٣٣٩٢	١٠٨٩١٦	٢٦٢٥٣	٢١٠٣٧	٢٩١٧٨	٢٣١٧٨	١٧٩٨٧	١٣٩٤٩

قائمةمقامية	شيعة		بروتستانت		أرمن		المجموع العام			
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
البترون	٣٤٩٦	٢٨٤٧	-	-	-	-	٤٥٥٩٥	٣٧٦٢٥	٨٣٢٢٠	
الكورة	٢٣	١٨	١٢	١٤	-	-	١٣٠٢١	١٣٠٤٢	٢٤٠٦٣	
كسروان	٥٢٩٦	٣٦٩٩	٥	٣	٣٦	٣١	٣٨٧٥٧	٣١٤٤٠	٧٠١٩٧	
المتن	١٨٥٣	١٥٢٩	٢٥٩	٢٤٧			٥٠٠٦٥	٣٩٦١١	٨٨٩٦٧٦	
الشوف	٧٥٤	٦٧٥	٩٠٠	٧٢٦			٥٦٠٩٩	٤٥٨٣٩	١٠١٩٣٨	
زحلة	-	-	١٢٥	٨٦			٧٣٨٨	٥٢٧٠	١٢٦٥٨	
دير القمر	-	-	٢٦	٢٦			٤٦٣٢	٣٨٢٣	٨٤٤٥	
جزين	١٨١٢	١٤١١	٢٢١	١٦٥			١٣٩٥٧	١٠٦٣٦	٢٤٥٩٣	
المجموع	١٣٢٣٤	١٠١٧٩	١٦٣١	١٣٣٧	٣٦	٣١	٢٢٩٥١٤	١٨٥٢٨٦	٤١٤٨٠٠	

كان تعداد السكان محكوماً بثلاثة مؤثرات، أولها: ارتفاع معدل الوفيات، وانخفاض متوسط الأعمار. ثانيهما الأمراض، وثالثهما عمليات التزوح الجماعي، والمجاعات، والأوبئة^(٢).

ونستنتج مما سبق بأنه على الرغم من كل تلك الإحصائيات التي قدمت، والتي أعطت انطباعاً حتى ولو كان مقبولاً نوعاً ما عن عدد السكان، إلا أنه من وجهة نظر علمية، ومن باب التحليل من الممكن التشكيك بتلك الأرقام، والإحصائيات التي قدمت، وخاصة إذا ما علمنا بأن أغلب تلك الإحصائيات التي قدمت كانت من قبل الأوروبيين الذين لم تغب عنهم الدوافع السياسية، والمصالح التي تخدمهم من خلال العملية الإحصائية، وحتى في زمن واصلها الذي نظم نوعاً ما العملية

١- حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٦٢.

٢- أوين: مرجع سابق، ص ٤٦.

الإحصائية؛ وبالإضافة لذلك يجب ألا ننسى بأنه ليس لدى الفقراء أية مصلحة من عملية الإحصاء التي كانت تزيد العبء المادي عليهم من خلال الضرائب الجديدة، وحتى الإقطاعيين تهربوا من ضريبي الأعناق، والميري.

ثالثاً- العادات والتقاليد الاجتماعية.

١- الزواج والأعراس: كان الشاب في جبل لبنان يتزوج في سن الثامنة عشرة أو العشرين من عمره، ولا سيما في الطوائف الإسلامية، أما في الطوائف المسيحية فكان يتأخر إلى سن الثلاثين^(١).

أ- عادات الزواج عند المسلمين: كان العريس يقوم بتوزيع الدعوة لحضور الخطبة أو عقد القران ويقوم بنفسه بدعوة أقاربه، ويجتمع الرجال على حدة، والنساء على حدة، ويبدأ الحفل عادة بقراءة آية من القرآن تبركاً وتقرباً من الله، وبعد قراءة القرآن تنشد الأغاني والموشحات النبوية، وبعد ذلك يوزع على المدعوين قراطيس الملبس، والشربات، وكانت العادة أن يحضر ولي الزوج والزوجة عند عقد القران بين يدي المفتي ويتفقون على المهر، وبعد الانتهاء من هذه المراسيم تقرأ الفاتحة على نية التوفيق، وفي حفل الزواج تجري الأمور نفسها التي تجري في حفل الخطوبة مع زيادة بعض الأمور مثل: توزيع الشموع على الأطفال والدق على الطبل والمزامير، وكان العريس يخرج من منزله ويصطحبه أهله، ويتوجهون إلى بيت العروس من أجل اصطحابها إلى بيت الزوجية^(٢).

أما الزواج عند الموحدين فقد كان يتم طبقاً بين أبناء العائلات الإقطاعية ذات المستوى المادي والاجتماعي الواحد^(٣)، فلا يجوز لشاب من عائلة إقطاعية كبيرة أن يتزوج من فتاة عادية فقيرة وبالعكس، فعندما يريد شخص ما الزواج من فتاة ما يرسل رسولاً إلى والدها طالباً الموافقة، فإن كان والد الفتاة راضياً بذلك، فإنه يطرح السؤال على الفتاة، وعند الموافقة يبعث الخاطب بالهدايا؛ مؤلفة من ملابس وحلي التي تدل على ارتباطه وقبول الفتاة بذلك الارتباط، ويوقع شيخ العقال وبعض الشهود على عقد الزواج، ويبين فيه قيمة المهر الذي كان يتراوح بين عشرة إلى خمس عشرة ليرة إنكليزية، وقبل قراءة عقد الزواج تتلى بعض الآيات القرآنية، وبعد ذلك تمتطي العروس فرساً، ويسير

١- كرد علي: مصدر سابق، ج٦، ص ٣٠٣.

٢- القاياتي: مصدر سابق، ص ٤٨.

٣- بو عماد: مرجع سابق، ص ٧٤.

في ركاها عدد كبير من الرجال والنساء إلى منزل زوجها^(١)، ومثال على ذلك وجد عقد زواج أحد الموحدين من أهالي دير القمر سنة ١٨٥٨، وهذا نصها: ((بسم الله الرحمن الرحيم وصلّ اللهم على السيد الجليل المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، وبذلك أصدق محمود بن سلمان القاضي على خطيبته المباركة نسيم بنت يوسف، على بركة الله وعونه وحسن توفيقه و صونه وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بصادق قدره ٣٠٠ قرش من القروش الأسدية، ولقد قدم لها بعلمها قبل دخوله عليها كسوة لرأسها وبدفها، ووكلت العروس بتزويجها أخاها سليمان، ووكيل العريس سلمان القاضي، ولقد عقدوا عقد النكاح وتصادقوا على ذلك التصادق الشرعي، وعليها المباشرة بالمعروف والنهي عن المنكر. حرر في ٢٠ من شهر رمضان المعظم سنة ١٢٧٥ والحمد لله الختام. وعليه توقيع الشهود التالية أسماؤهم (عمار غنام، وصالح اللحام، ومحمود الشحاري، وجول الشحاري وعلي السعدة، ومحمود القاضي وشاهين الشحاري، وغيرهم ...))^(٢).

وتعدد الزوجات غير موجود، والطلاق كان غير محبذ، ولكنه ليس ممنوعاً على مبدأ أبغض الحلال الطلاق، ولكن عندما يريد الزوج أن يطلق زوجته يكفي أن يقول لها: ((أرى من الأفضل أن تعودي إلى بيت أبيك))، ولو شاءت الزوجة فراق زوجها فإنها تكتفي بالقول: ((أحب أن أعود إلى بيت أبي)) فإذا كان جواب الزوج: ((لا مانع اذهبي))، فإن الطلاق يعد نافذاً^(٣).

ب- عادات الزواج عند المسيحيين: عند تحديد موعد الخطبة يذهب أهل العريس إلى منزل أهل العروس ومعهم الهدايا، وبوجود رجل دين يتم تلبس الخطيبين الخواتم، ثم يصلي لهما، وفي حال عدم وجود رجل دين، فإن والد الخطيب يلبس الخطبة خاتماً، ووالد الخطيبة يلبس الخاطب خاتمه^(٤) ويسمى يوم العرس بيوم الإكليل؛ لأن الكاهن يترأس حفل الزفاف، ويقوم بوضع إكليل على رأس العروسين، ويفضل أن يكون العرس في يوم أحد تيمناً ببركة هذا اليوم^(٥)، وكان يأتي أهل العريس بموكب إلى بيت العروس لاصطحابها إلى الكنيسة، وبعد الانتهاء من المراسم الكنسية يتم إيصال

١- تشرشل: مصدر سابق، ص ٢٦-٢٧.

٢- وثيقة رقم ١٣، تاريخها: سنة ١٨٥٨ الموافق لـ ١٢٧٥هـ، محفوظات السيد نسيب أبو خير - كفرنرج.

غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٣٥١.

٣- تشرشل: المصدر السابق، ص ٢٩.

٤- غنام: المرجع السابق، ص ١١٤.

٥- خاطر: العادات والتقاليد اللبنانية، ج ١، ص ٢٨٤.

العروس إلى بيت زوجها بموكب من الناس، وعند الاقتراب من المنزل تقوم أم العريس برشق العريسين بماء الزهر، والأرز، وبعض الدراهم^(١)، وما يخص الإرث كانت توزع أملاك الوالدين على الأولاد الذكور بالتساوي، ولا تحصل الإناث على شيء^(٢)، وحتى المرأة المتزوجة لا ترث عن زوجها، إلا في حالة وفاة زوجها فإنها تعود إلى بيت أهلها مصطحبة معها كامل جهازها من حلي وملابس، وكانت الوصية عندهم بمثابة صك قانوني، ولشدة الحرص عليها كانوا يُشهدون عليها الرجال الثقة ويودعوها أمانة عندهم^(٣)، وعند ولادة المرأة كانوا يقومون بالتهنئة، ويقدمون الهدايا في هذه المناسبة في حال كان المولود ذكراً، أما إذا كان المولود فتاة فلا يحتفل بذلك^(٤).

ومن الجدير ذكره قيام المسلمين بعملية الختان (التطهير) في اليوم السابع لولادة الطفل، والاحتفال بذلك، ويدعون الأهل، والأقارب لمشاركتهم الاحتفال، ويؤدون العراضات، ويغنون الأغاني الشعبية والرجل الذي يقوم بعملية الختان يسمى المَطْهَر، وهذه العادة كانت عند المسلمين فقط، أما المسيحيون فقد كانوا يقومون بعملية التعميد، وهي منح المولود سر العماد حتى يصبح بموجبه مسيحياً، وكانت تتم عملية التنصير في اليوم الثامن لولادة الطفل^(٥).

ومن العادات المشتركة بين الطوائف في الزواج:

هي زواج الشاب من ابنة عمه، حيث إنه منذ ولادة إحدى الفتيات ولها ابن عم يكبرها يتفق الأهل شفهيّاً على ذلك، ويتم أعلام الأقارب والجيران بذلك^(٦)، وفي حال تقدم أحد لطلب فتاة ما ولها ابن عم أكبر منها، فلا يعطى الموافقة إلا بعد استشارته بذلك^(٧).

ومن الملاحظ في مسألة الزواج هو التشدد في أمرين: أولهما طبقي، وثانيهما طائفي.

الطبقي: لا يجوز في كل الطوائف الزواج بين العائلات الإقطاعية الكبرى، وبين العائلات الفلاحية العاملة لديهم، وذلك خوفاً على ملكياتها الإقطاعية، أما الطائفي: فهو عدم زواج الطوائف بعضها من

١- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ١١٩.

٢- تشرشل: مصدر سابق، ص ٣٠.

٣- بو عماد: مرجع سابق، ص ٧٥-٧٧. ملحق رقم (١٤).

٤- تشرشل: المصدر السابق، ص ٢٩-٣٠.

٥- خاطر: العادات والتقاليد اللبنانية، ج ١، ص ٣٢٩-٣٣١.

٦- الصمد: مرجع سابق، ص ١٤٨.

٧- خاطر: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٥٢.

بعض (إلا في بعض الحالات النادرة)، حتى ولو كانوا في المستوى الاجتماعي نفسه، وساعد ذلك كله على تفتيت النسيج الاجتماعي، وترسيخ الطائفية بين أبناء الجبل.

٢- اللباس:

أ- ملابس المرأة: كانت النساء المسلمات يلبسن القميص، والمغربية، والسروال، والأزرار خارج المنزل^(١)، كما لبسن الملاعة المصنوعة من الحرير، وعلى وجوهن الحجاب، ولا يظهرن من أجسادهن شيئاً^(٢)، ثم ارتدين القنبار مشقوقاً من الأمام ومن الجانبين يصل إلى القدمين، وتحت قميص من الحرير الأبيض، وظل هذا الزي مستمراً حتى سنة ١٨٦٠^(٣)، حيث بدأت الفساتين النسائية تحل مكان القنابيز والقمصان^(٤).

أما النساء المسيحيات؛ لبسن الفساتين الواسعة من الصوف، والحرير الملون، ووضعن على رؤوسهن الطرح أو المناديل^(٥)، كما ارتدت بعضهن فساتين زرقاء، وشددن خصورهن بزنانير تزينها قطع من الفضة^(٦)، ومن خلال المنشور الأسقفى الذي أصدره المطران أنطونيوس الخازن^(٧) إلى أبناء أبرشيته سنة ١٨٢١ يتبين حال الملابس النسائية على النحو الآتي:

((النساء المتسرבלات بالملابس الممقوتة الكاشفات صدورهن، يلزمهن أن يغيّرن هذا الزي السمج القبيح ويضممن القميص على صدورهن بالبكلة أو بقبضة))، كما أنه منع النساء من تشمير أذيالهن فيقول: ((ويلزم النساء إلا يتشكلن في ثياجن؛ لأن المرأة والبنت تتشكل على هذه الصفة، وتجول من بيت إلى بيت وتمر في ساحات الضيعة، بل إذا لزم الأمر أن يصنعن ذلك داخل بيوتهن أو في ذلك المكان المقتضي أن يشتغلن فيه بنوع مستتر وبكل احتشام))).

١- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ١٤٠.

٢- القاياتي: مصدر سابق، ص ٥١.

٣- شاكر الخوري: مصدر سابق، ص ١١.

٤- غنام: المرجع السابق، ص ١٤٠.

٥- القاياتي: المصدر السابق، ص ٥١.

٦- غنام: المرجع السابق، ص ١٤٠.

٧- أنطونيوس الخازن (١٨٨١): عارف بالفقه، والأدب، له ديوان شعر.

كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٧.

أما نساء الأمراء، والمشايع، وبعض الأعيان يصنعن سراويلهن من ٢٠-٢٥ ذراعاً^(١)، مما يدل على أن الثياب التي كانوا يلبسونها واسعة، وليست ضيقة كما هو الحال اليوم.

- أغطية الرأس عند النساء :

استخدم الطرطور^(٢) من قبل النساء المسيحيات الذي انتقل إليهن من قبل النساء الدرزيات، وكان يغطي بنقاب أو أزرار يسمونه (الشمسية) كنّ يطرحنه فوق الطرطور، ويسدلنه على الكتفين ويلبسن تحته القفوية، ويشد تحت الذقن بينود من حرير أو بسلاسل من المعدن، ويقال بأن لابسات الطرطور كنّ لا يخلعنه عن رؤوسهن لا ليلاً ولا نهاراً، لذلك كنّ يجبرن على إبعاد أسرتهن عن جدار الغرفة بمقدار ذراع ونيف ليستطعن النوم^(٣).

كانت الأميرات، وزوجات المشايخ يلبسن الطناطير المصنوعة من الذهب، أما زوجات الفلاحين والفقراء، فكانت طناطير زوجاتهن من الفضة أو النحاس أو الخشب.

ونظراً لغلاء سعره، وارتدائه لم يكن بالشيء العملي أو السهل؛ لذا كان لابد من بطلان هذا الزي حيث قام المطران طوبيا عون بجولات رعوية سنة ١٨٤٨ دعا فيها النساء للتخلي عن طراطيرهن، ومن خلال هذا التحريم تم إبطاله^(٤)، فاستعوض عنه بلبس الطربوش الذي يلف بمنديل مطرز بالأزهار الملونة^(٥).

كما ارتدت بعض النساء المسيحيات الحجاب، ففي سنة ١٨٤٨ قدم إلى جبل لبنان (المونسيور ميلسن)، وشاهد إحدى الأميرات المسيحيات ترتدي الحجاب فسألها عن ذلك ردت عليه بالقول: ((إن من حمل امرأة على ترك حجابها، كمن كان يعري الورد من عطرها))^(٦)، كما لبسن

١- خاطر: العادات والتقاليد اللبنانية، ج ٢، ص ٣٨٦-٣٨٧.

٢- الطرطور: عبارة عن قبعة طويلة ذات شكل قرني فارغ، مصنوع من الفضة وتزينه نقوش نافرة أو محفورة إضافة إلى مجوهرات على الجهة الأمامية، ويبلغ ارتفاعه عدة أقدام، ويزداد ارتفاعه مع ارتفاع الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها المرأة، ويرتكز على قاعدة مستديرة من المعدن، ويثبت على الرأس بواسطة ملاقط إضافة إلى عصابة تربط حول الرأس ومن أعلى الطرطور تتدلى طرحة من الحرير الشفاف على العنق والكتفين. شلق: مرجع سابق ص ٤٧-٤٨.

٣- خاطر: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٩٢.

٤- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ١٤١-١٤٢.

٥- تشرشل: مصدر سابق، ص ٣٠.

٦- خاطر: المرجع السابق، ص ٣٩٤.

المنديل^(١) والطرحه^(٢)، وبالإضافة إلى ذلك تزينت النساء بالكثير من الحلي المصنوعة من الذهب، أو الفضة فلبسن العقائص^(٣)، والقفوية^(٤)، والصنوبرية^(٥)، والشكة^(٦) والشكيمات^(٧)، والمالويات^(٨) بالإضافة إلى العقد، والسوار، والحلق، والخلخال، والخاتم، والحلق، أما النساء الفلاحات فلبسن الفستان المقلم، مع جبة الجوخ، كما زين أسفل سراويلهن بتطريزها بالخياطة الحريرية.

ب - ملابس الرجال: كان لاتصال بعض السكان؛ وخصوصاً الأعيان بالآستانة أثره في التقليد والاقباس، فأخذوا يقلدون الموظفين العثمانيين بملابسهم، حيث كانوا يرتدون الشروال^(٩) من الجوخ الأسود أو الكحلي مطرزاً على جيوبه ورجليه، وفوق الشروال قميص من الحرير كماه واسعان يعلوه صدرية كثيرة الأزرار يلبسون فوقه زناراً عريضاً من الحرير أو الصوف، وكانوا يضعون في زنانيرهم النقود أو الخناجر، أما ملابس العامة فكانت عبارة عن عباءة من صوف وشروال وفي القدمين كانوا ينتعلون المداس، ونعله كان من جلد البقر أو الجمل^(١٠).

١- المنديل: هو عبارة عن شقفة مستطيلة من الحرير البلدي المنسوج على الأنوال المحلية، وتلبسه النسوة بعد صبغه في مزلها بقشر الرمان، وتغطي به وجههن ومناكبهن. خاطر: العادات والتقاليد اللبنانية، ج ٢ ص ٣٩٥.

٢- الطرحه: هي نسيج أجني من النوع الشفاف المشجر لبسته الشابات، أما المتقدمات في العمر، فظللن يلبسن المنديل. خاطر: المرجع نفسه، ص ٣٩٥.

٣- العقائص: هي عبارة عن كرات فضية في أسفلها ذؤابات حريرية يبلغ وزن الذؤابة منها مائة درهم، والكرات بمعظمها يلبسها على الأكتاف، وقد يستدلن بهذه الذؤائب سلاسل ذهبية أو فضية. غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ١٤٢.

٤- القفوية: نسبة إلى قفا الرأس، وتتألف من خمسين جديلة حريرية مشبكة يعلق بأطرافها نقود ذهبية، وتطرح على الأكتاف مسترسلة. غنام: المرجع نفسه، ص ١٤٢.

٥- الصنوبرية: هي نسيجة يصف عليها قطع من الفضة والذهب بشكل قلوب الصنوبر تثبت الواحد، بجانب الأخرى وتشد حول العنق، وفي كعب كل حبة صنوبر تتدلى هناة صغيرة ذات شكل تزييني. غنام: المرجع نفسه، ص ١٤٢.

٦- الشكة: هي من الذهب وتمتد من الأذن إلى الأذن. غنام: المرجع نفسه، ص ١٤٢.

٧- الشكيمات: هي نوع من الأساور عرضها أربعة أصابع بقل. غنام: المرجع نفسه، ص ١٤٢.

٨- المالويات: هي رفاق فضية شبه دائرية توضع على جانب الرأس مقابل الطرطور. غنام: المرجع نفسه، ص ١٤٢.

٩- الشروال: أصل الكلمة فارسية ومكونة من لفظتين (سر) ومعناها فوق و(بال) ومعناها قامة.

خاطر: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٧٢.

١٠- شاعر الخوري: مصدر سابق، ص ١٩.

كما ارتدى الرجال العباءات وكانت على خمسة أنواع: المشلح^(١)، والجبّة^(٢)، والزنارية^(٣) والزغرتاوية^(٤) والدرزية^(٥)، فالمشلح يرتديه الأمراء، والمشايخ الإقطاعيون، والجبّة يرتديها رجال الدين والزنارية يرتديها الفلاحون، والعمال .

- **أغطية الرأس:** ومنها العمامة^(٦) و يسمونها أيضاً اللفة، حيث عدّ العرب العمام من الإشارات الخاصة بهم، ومن أقوالهم المأثورة في ذلك (العمام تيجان العرب)، (يبقى العرب ما بقيت عمامهم) كما أنه من خلال كبر العمامة و صغرها يلاحظ منزلة صاحبها، ولما كانت أكثر العمام من الشاش، فقد فرض المتصرفون ضريبة على الرؤوس دعوها (شاشيّة) .

وهناك أيضاً الطربوش^(٧) الذي دخل إلى المناطق اللبنانية في أواخر القرن السادس عشر، ولاسيما في طرابلس وبيروت وصيدا، ومنها أخذ ينتشر شيئاً فشيئاً في القرى الجبلية، حيث وجد له عدة أنواع منها: الطرايش الصغيرة قليلة العرض، وهناك النوع الطويل المعروف بالدخ، وهناك الطربوش العسكري والمغربي سمي بذلك نسبة إلى المغرب، ويرجح أنه جاء إلى الجبل من خلال بعض المغاربة

١ - المشلح: هي عباءة طويلة داكنة اللون أو حمراء، صنعت من صوف ناعم أو من وبر الجمل.

خاطر: العادات والتقاليد اللبنانية، ج٢، ص ٣٧١.

٢-الجبّة: هي عباءة لونها أسود واسعة الصدر والكمين، فماشها حريري أو صوفي. خاطر: المرجع نفسه، ص ٣٧٢.

٣-الزنارية: سميت كذلك؛ لأنها تشد وسطها بزناز كي لا تعيق الفلاح عن العمل. خاطر: المرجع نفسه، ص ٣٧٢.

٤- الزغرتاوية: هي عباءة خاصة بأهالي منطقة زغرتا في الشمال، وغالباً ما كانت حمراء اللون وبعضها سكرياً كماها ضيقان. خاطر: المرجع نفسه، ص ٣٧٢ .

٥- الدرزية: لبسها المتقشفون أو العقال من مشايخ الموحدين دون غيرهم، وهي ذات خطوط عريضة بيضاء وسوداء. خاطر: المرجع نفسه، ص ٣٧٢ .

٦- العمامة: كان لها أنواع، منها: مستديرة أو مقببة أو مكورة، وكانت في بعض الأحيان فحمة موشاة بالذهب والفضة، أما ألوانها، فمنها: الأبيض، والأسود، والكحلي، والأزرق، والأصفر، كما أن رجال الدين الموحدين كانوا يقتصرون في التعمم على الأبيض دون سواه. خاطر: المرجع نفسه، ص ٣٧٣ - ٣٧٦.

٧- الطربوش: كلمة من أصل فارسي مؤلفة من كلمتين (سر) و تعني رأس، و(بوش) وتعني غطاء، ومع مرور الوقت تحولت السين إلى الثاء فتاء فطاء، وانتقل الطربوش من بلاد الفرس إلى بلدان المشرق. خاطر: المرجع نفسه ص ٣٧٧.

الذين كانوا يتطوعون في الجندية زمن المعنيين، والشهابيين، وكان الموحدون يلفون طرايشهم المغربية بمناديل بيضاء وهناك الطربوش العزيري^(١)، والكوفية^(٢)، والعقال^(٣) والطاقيّة^(٤)، واللبادة^(٥).

٣- المآتم والأعياد :

أ- المآتم:

١- مآتم المسلمين: اعتمد المسلمون في الإعلان عن وفاة شخص ما، من خلال مؤذن القرية أو ناطورها من مئذنة الجامع أو من سطح بيت مرتفع وينادي بأعلى صوته ((سبحان الحي الدائم، انتقل إلى رحمة ربه المرحوم فلان، أو المرحومة فلانة))^(٦).

فعند وفاة شخص ما يجهز للدفن في بيته أو في المسجد، وبعد أن يصلوا عليه صلاة الجنازة يخرجون به من المسجد، ويمشي أمام موكب المتوفى الفقهاء والقراء وبقية الرجال، وبعد وصولهم إلى المقبرة يوارونه بالثرى، وينصرف المجتمعون بعد ذلك، وبعد ثلاثة أيام يقومون بزيارة القبر في الساعة الثامنة صباحاً ويقرؤون القرآن عنده، وعند اكتمال اليوم الأربعين لوفاته يخرجون لزيارة القبر ظهر^(٧).

كان عند وفاة أحد المشايخ الموحدين، ترسل الدعاوى إلى كبار العائلات من المشايخ، والأمراء وعند اقتراب المشايخ من ذوي الشيخ المتوفى، يقوم ذوو الفقيد لاستقبالهم من مسافة بعيدة كدليل على الاحترام الكبير للمعزين، ويبقى الرجال طيلة النهار في الميدان، يسيرون جماعات جماعات ذهاباً وإياباً، يتراوح عدد كل جماعة بين خمسين وستين رجلاً، يسيرون الكتف على كتف يرتلون أغاني

١- الطربوش العزيري: كان أول من لبسه السلطان عبد العزيز فنسب إليه، شكله أسطواني، أما لونه فكان أحمر فاقعاً. خاطر: العادات والتقاليد اللبنانية، ج ٢، ص ٣٧٨.

٢- الكوفية: هي عبارة عن منسوج بشكل منديل مربع الزوايا، يصنع بعضه من الحرير الملفوف بالقصب، وبعضه الآخر من القطن، وسميت بالكوفية نسبة إلى الكوفة لإقبال الناس هناك على صناعتها بمهارة، وإتقان كبيرين. خاطر: المرجع نفسه، ص ٣٧٩.

٣-العقال: عبارة عن عصاة تُشد به الكوفية إلى الرأس، ويصنع من الحرير أو القطن. خاطر: المرجع نفسه، ص ٣٨٠.

٤- الطاقيّة: هي غطاء خفيف للرأس، يلبسها العمال، والأولاد لأن هؤلاء يتسامح معهم في المحافظة على المواقف الرسمية. خاطر: المرجع نفسه، ص ٣٨١.

٥- اللبادة: غطاء للرأس هرمي الشكل يلبس لاتقاء الحر، والمطر. خاطر: المرجع نفسه، ص ٣٨٢.

٦- الزين: مرجع سابق، ص ١٤٩.

٧- القاياتي: مصدر سابق، ص ٥٠.

وأشعار الحزن على الفقيد، يمتدح فيها المتوفى، وتذكر مناقبه، وصفاته الحميدة، وقبل مغيب الشمس بقليل تُجرى مراسم الدفن، فتقف النساء على مرتفع بصمت، بينما يسير المشايخ، وأتباعهم مشيعين فقيدهم إلى مقره الأخير، وفي المقبرة يقومون بتلاوة القرآن، ثم يقرؤون وصية الميت، وبذلك ينتهي المآتم، ويتوزع المشيعون والمشاركون^(١).

٢- مآتم المسيحيين: اعتمدوا في الإعلان عن وفاة شخص ما، من خلال قرع جرس الكنيسة بدقات متقطعة، يعرف منها أنها دقائق حزن وأسى^(٢)، وكانوا ينقلون الميت من منزله إلى الكنيسة في موكب جنائزي يمشي فيه شخص يحمل راية الصليب، وولدان يحملان شمعتين موقدتين ثم يسير وراء راية الصليب الكهنة، وبعدهم النعش المحمول، ثم أهل المتوفى، وأقاربه، وبعد تلاوة الإنجيل يوضع على الجثة الزيت بشكل إشارة الصليب أو ترش بالماء المبارك ويخير حولها بالمبخرة^(٣)، وبعدها توارى الجثة الجثة في المدافن التي تكون عادة قرب الكنائس، وتوضع فوق القبور قطع المرمر بكميات كبيرة وبلاطات تحمل إشارة الصليب وكتابات التكريم^(٤)، كان السنة والشيعية يدفنون موتاهم في اليوم الأول من موتهم، بينما المسيحيين والموحدين يدفنونهم في اليوم التالي^(٥)، ومن عادات سكان الجبل من مسلمين ومسيحيين تقديم الأطعمة في المآتم، أما الموحدين فلا يقدمون الطعام فيها^(٦).

ب - عادات الأعياد:

١- الأعياد عند المسيحيين: امتدت الأعياد عند المسيحيين على مدار السنة، ومن أهم أعيادهم تلك المتعلقة بأبرز الحوادث التي شهدتها السيد المسيح، والسيدة العذراء، ومواعيد وفاة الرسل، ومن أشهرها:

- عيد الميلاد: يحتفل به في ٢٥ كانون الأول من كل سنة.
- عيد الغطاس: يحتفل به في ٦ كانون الثاني، وهو تذكاري معمودية السيد المسيح.
- عيد سبت العازار: وهو تذكاري إقامة السيد المسيح العازار من الموت.

١- تشرشل: مرجع سابق، ص ٣٣.

٢- الزين: مرجع سابق، ص ١٤٩.

٣- خاطر: العادات والتقاليد اللبنانية، ج ١، ص ٤٢٧ - ٤٢٩.

٤- سميليا نساكيا: سورية ولبنان، ص ١٤٣.

٥- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ١٢٥.

٦- خاطر: المرجع السابق، ص ٤٣٦.

- عيد البربارة: يحتفل به في ٤ كانون الأول، وهو ذكرى القديسة بربارة التي استشهدت في بعلبك.

- عيد الفصح أو العيد الكبير: وهو تذكار قيامة السيد المسيح، ويحتفل به في فصل الربيع، ويعايد القرويون بعضهم بعضاً، ويقدمون البيض المسلوق، والكعك بالحليب، واللوز.

- عيد العنصرة: هو تذكار حلول الروح القدس على التلاميذ، ويحتفل به بعد عيد الفصح بخمسين يوماً.

- عيد الرب: أو عيد التجلي ويحتفل به في ٦ آب، وهو عيد تذكار التجلي للسيد المسيح على جبل الطابور.

- عيد الصليب: تذكار العثور على الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح، ويحتفل به في ١٤ أيلول.

- عيد السيدة: يحتفل به في ١٥ آب، وهو تذكار وفاة مريم أم المسيح.

- عيد المرفع: يسبق بداية الصوم الكبير، فيأكلون فيه شتى الأطعمة وخصوصاً اللحم^(١).

٢- الأعياد عند المسلمين : كان للمسلمين أعيادهم الخاصة بهم، وكلها أعياد دينية يحسبونها على السنة الهجرية، ومن أهم تلك الأعياد:

- رأس السنة الهجرية: الذي يحتفل به في أول شهر المحرم، وفيه يحتفل بحجرة النبي (ﷺ) من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة .

- عيد عاشوراء: يحتفل به في اليوم العاشر من المحرم، وهذا اليوم مكرم عند الشيعة بشكل خاص لأنه تذكار لاستشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام في كربلاء المقدسة.

- ذكرى المولد النبوي الشريف: ويحتفل به في الثاني عشر من ربيع الأول، ويحتفل به في الجبل بإنارة المآذن، وإقامة الزينات، وإطلاق المتفجرات.

- عيد الفطر: يأتي بعد انتهاء شهر رمضان، ويحتفل به صباحاً بصلاة العيد، وسماع الخطباء ويرتدي فيه المسلمون الألبسة الجديدة.

- عيد الأضحى أو عيد النحر: في العاشر من ذي الحجة، وهو العيد الكبير الذي يتم فيه الوقوف على جبل عرفة، وتذبح الذبائح، وتوزع على الفقراء، ويقدمون الحلويات على اختلاف أنواعها وإلى

جانب هذه الأعياد كان هناك مناسبات دينية عديدة؛ كليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان؛ بالإضافة إلى حلقات الذكر، وحفلات الاستسقاء عند الحاجة^(١).

حيث يقوم المسلمون بالصلاة في المساجد، ثم يزورون مقابر موتاهم، وبعد ذلك تبدأ زيارات المعايدة بين الأقارب، والأصدقاء بالعيد^(٢).

رابعاً- العمران والبيوت:

ولما كانت البيوت والمنازل ترتبط من حيث شكلها ومضمونها بنمط معيشة السكان والأهالي؛ ولما كان جبل لبنان مجتمعاً جبلياً عماده الأساسي الزراعة، فقد بنيت البيوت بأشكال تتلاءم، ونمط إنتاج السكان، وتقوى على مجابهة قساوة الطبيعة^(٣).

١- بيوت الفلاحين: كان الفلاحون يسكنون في أكواخ يبنونها بأنفسهم على قطعة أرض من ضمن أملاك الإقطاعي التابعين له، وتتم عملية بناء البيت من خلال عمل جماعي حيث يقوم الفلاحون بمساعدة بعضهم البعض في ذلك.

ويتكون المنزل من غرفة واسعة ذات عمود خشبي في الوسط، وسقف من التراب، وحائط - مصنوع من التبن مجبول مع الطين - يفصل بين الأسرة، والحيوانات التي يقومون بتربيتها^(٤)، والسقف كان مصنوعاً من الطين المجبول، يوضع فوقه عوارض خشبية مرفوعة على عامود أو عامودين من شجر السنديان وكانت الأبواب والشبابيك تتجه نحو الشرق، والغرب للاستفادة من شمس الصباح وبعد الظهر، ولا سيّما في فصل الشتاء^(٥).

أما أثاث المنزل فلم يكن يتعدى المقاعد الحجرية والمساند المحشية بالقش، والبسط المصنوعة من شعر الماعز، وجلود الأغنام؛ بالإضافة إلى وجود بعض الحرامات الصوفية، كما كان يوجد صندوق خشبي يوضع فيه ما تيسر للأسرة الفلاحية من حلي، وثياب، ونقود^(٦)، كما كانت أواني المنزل تتألف

١- خاطر: العادات والتقاليد اللبنانية، ج ١، ص ١٥٦ - ١٥٩ - ١٨٠.

٢- حلاق: التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ص ١٩.

٣- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ١٤٣.

٤- بو عماد: مرجع سابق، ص ٨٠.

٥- البواري: مرجع سابق، ص ٤٤.

٦- بو عماد: المرجع السابق، ص ٨٠.

من صحنون فخارية، وأواني نحاسية للطبخ، وكانت تتم عملية غسل الثياب بواسطة الصابون مع ماء الصفوة (ماء يخلط مع رماد الحطب)^(١).

٢- قصور الإقطاعيين: على خلاف بيوت الفلاحين، شيد الإقطاعيون قصورهم معبرين عن نفوذهم السياسي، ومكانتهم الاجتماعية؛ لذا أول ما يهتم به الإقطاعي بناء البوابة الخارجية لقصره فيعمل على بنائها من الحجارة الكبيرة المنحوتة، والمزينة بالنقوش، والزخارف حيث تعلوها قنطرة رخامية عليها أبيات شعرية.

وكانت تضم العديد من الغرف، ومنها قاعات كبيرة يستقبلون فيها ضيوفهم، وأصحاب المصالح والأعمال، وغرف لإقامة الحرس، والأعوان، والخدم، وغرف المؤونة، وزرائب للحيوانات وعلفها والحطب، كما أن بعض الأعيان كان يقيم أمام قصره ميداناً للفروسية لاستقبال الجماهير في المناسبات، وفي الاجتماعات العامة^(٢)، وكان ما يميز تلك القصور إقامتها في موقع مطل على أغلب بيوت القرية بحيث لا يرتفع عنها أي بناء آخر^(٣).

ومن الجدير ذكره إنشاء فرقة موسيقية من قبل المتصرف رستم باشا، حيث استقدم لتعليم أفرادها فناناً إيطالياً اسمه (كارو)، وكانت تتألف من ٤١ جندياً، بينهم ثلاثة ضباط، ثم استقدم فناناً إيطالياً اسمه (فجنسيو أفوليو)، وبقي في رئاستها حتى سنة ١٩١٢، وألغيت هذه الفرقة في سنة ١٩١٩، وأعيد تأليفها مرة أخرى سنة ١٩٤٢^(٤).

ونستنتج مما سبق بأن الإقطاعيين كانوا يهتمون كثيراً ببناء قصورهم، للتعبير عن مدى نفوذهم الاقتصادي، والسياسي، بينما الفلاحون لا حول لهم ولا قوة؛ فبيوتهم بالكاد كانت معدة للسكن.

خامساً - الأوقاف.

إن خوف كبار العائلات الإقطاعية من تجزئة أراضيهم بين ورثتهم من جهة، ومصادرتها من قبل المتصرفين من جهة أخرى، جعلهم يعملون على تحويل جزء من أراضيهم إلى وقف^(٥)، حيث عدوا الوقف حامياً لأموالهم من الضياع، والتفتيت بين الورثة من جهة، والمصادرة من جهة أخرى.

١- البواري: مرجع سابق، ص ٤٥.

٢- خاطر: العادات والتقاليد اللبنانية، ج ٢، ص ١٢٢-١٢٣.

٣- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ١٤٧.

٤- هشي: يوميات لبناني، ص ٤٣.

٥- سعيد: أشكال الملكية، ص ٢١٣.

بلغ عدد الأديرة المسيحية سنة ١٨٨٠ (١٢٤) ديراً، ليرتفع سنة ١٨٨٨ إلى ١٤٠ ديراً، فاستأثرت الأديرة المارونية للرهبان، والراهبات بالحصة الكبرى من الأديرة المسيحية في جبل لبنان ففي سنة ١٨٨٠ كان عددها ٨٨ ديراً^(١)، وذكر في سالنامة جبل لبنان لسنة ١٨٨٥ إحصاءً دقيقاً عن حجم الأوقاف المربوطة^(٢) في الجبل، حيث بلغت ١٠٥٥ وقفاً منها ٧٦٤ كنيسة، و ١٤٠ ديراً، و ١٥١ مجلساً درزياً^(٣).

كانت نظارة الأوقاف العثمانية في متصرفية جبل لبنان تعين محاسباً لعائدات أوقاف الجبل الإسلامية من مساجد، ومدارس^(٤)، حيث بلغ مجموع دخل الأوقاف الإسلامية في إقليم الخروب بين سنتي ١٨٧٤-١٨٧٩ حوالي ١٧٦٣٨ قرشاً^(٥)، ولكن منذ عهد المتصرف رستم باشا ١٨٧٣-١٨٨٣ أصبحت محاسبة نظارة الأوقاف تخضع لسلطة الإدارة المالية للمتصرفية^(٦)، ومن العوامل التي أسهمت في اتساع ملكية الأوقاف المسيحية للراهبات، ولا سيما الأديرة بشكل خاص، هو العدد الكبير من القوى العاملة المجانية المتلحقة بالدير مقابل إطعامها ومسكنها، وتعليم أبنائها أصول الدين والكتابة، والقراءة، حيث عدّت الأديرة وحدات اقتصادية تعمل في مجال الزراعة وإنتاج الحرير و تمارس كل أنواع الحرف^(٧)، وفي الوقت الذي كانت فيه الراهبات المشرفة على الأديرة والأوقاف المسيحية تقوم بزيادة أوقافها من خلال شراء الأراضي، كانت الأوقاف الدرزية تنتظر الهبات والتبرعات، حيث تشير دفاتر حسابات المدرسة الداودية في عبية إلى عدم شرائها أية عقارات، واقتصار أملاكها على الواقفين الموحدين، وتبرعاتهم^(٨) وازداد دور الراهبات، ولا سيما المارونية السياسية بفضل ما تملكه من ملكية عقارية وزراعية واسعة حيث شكلت مصدراً اقتصادياً مهماً في حياة الأرياف، حتى بلغ عددهم سنة ١٨٨٠ إلى حوالي ١٣٦٦ راهباً توزعوا على ١٠٠ دير، و ٣٠٠ راهبة

١- بتكوفيتش: مصدر سابق، ص ١٥٥.

٢- الأوقاف المربوطة: الأوقاف المربوطة بالكنائس، والأديرة، والمساجد، والمجالس. سعيد: أشكال الملكية ص ٢٢٢.

٣- سالنامة متصرفية جبل لبنان سنة ١٣٠٦ هـ/ ١٨٨٩، ص ٨٧-٩٢. سعيد: المرجع نفسه، ص ٢٢٥.

٤- رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٢١١.

٥- سعيد: المرجع السابق، ص ٢٤٣.

٦- رستم: المرجع السابق، ص ٢١١.

٧- ضاهر: الجذور التاريخية، ص ١٠٧.

٨- دفاتر حسابات المدرسة الداودية، دفتر رقم ٣، ص ٥٧-٦٣. سعيد: المرجع السابق، ص ٢٣٤.

توزعن على ٢٢ ديراً^(١) وصرفت الرهبانية الباسيلية الشورية للروم الكاثوليك بين سنتي ١٨٦٥-١٩١١ مبلغاً وقدره (٢٩٩٢٣٦) قرشاً على تحديد أملاكها في أربعة أديرة، وهي: مار يوحنا في الشوير ٣١٢٨٢ قرشاً، ومار إلياس في زحلة ٧٤٠٥٠ قرش، ودير القديس أنطونيوس في كفرشيم ١٣١٠٣٦ قرشاً، ودير البشارة ٦٢٨٦٨ قرشاً^(٢).

نلاحظ مما سبق بأن الأوقاف الإسلامية كانت قليلة، وفقيرة، حيث اعتمدت بالدرجة الأولى على الهبات، والتبرعات، إذا ما قارناها مع الأوقاف المسيحية الغنية ذات الملكيات العقارية الواسعة، ومرد ذلك كله إلى غياب المؤسسات الدينية الإسلامية التي ترعى مثل تلك الأمور، حيث أدت الكنيسة المارونية دوراً كبيراً بذلك، بسبب الدعم المادي من قبل المغتربين الذين كان أغلبهم من المسيحيين.

سادساً- المرأة و دورها في الأحداث:

١- **تحرر المرأة:** حيث عدّ كل من قاسم أمين^(٣) ١٨٦٣-١٩٠٨ ورفاعة الطهطاوي^(٤) ١٨٠١-١٨٧٣ من أوائل الذين دعوا إلى تحرر المرأة، وتعلمها، وإعدادها للعمل^(٥)، وتطرق المعلم بطرس

١- بتكوفيتش: مصدر سابق، ص ١٧١.

٢- سعيد: أشكال الملكية، ص ٢٤٢.

٣- قاسم أمين ١٨٦٣-١٩٠٨: قاسم بن محمد أمين المصري كاتب وباحث اشتهر بمناصرته للمرأة وودفاعه عن حريتها، وانتقل مع أبيه إلى الإسكندرية، وأكمل دراسة الحقوق في مونبلييه في فرنسا وعاد إلى مصر سنة ١٨٨٥ فكان وكيلاً للنائب العمومي بالحكمة المختلطة فمستشاراً بمحكمة الاستئناف الأهلية، وتوفي بالقاهرة وله من الكتب: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة وكلمات في الأخلاق. كحالة: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٤٩.

٤- رفاعة الطهطاوي: ولد في طهطا، انتقل إلى القاهرة سنة ١٨١٧ ليدرس في الأزهر، وتلقى فيه العلوم الدينية واللغة والأدب، ثم إيفاده في بعثة علمية إلى باريس سنة ١٨٢٦ ليكون إماماً لهذه البعثة الأولى، ولما شاع أمر هذا الإمام المقبل على الدرس، والتحصيل ضمه محمد علي إلى عضوية البعثة ليستغل درايته باللغات، وليجعل منه مترجماً ينقل إلى العربية ما تحتاج إليه العسكرية المصرية من علوم عسكرية وهندسية وطبيعية. عاد رفاعة إلى مصر سنة ١٨٣١، وفي سنة ١٨٣٦ الموافق أنشأ مدرسة الألسن، وكان ناظراً لها، وكان الهدف من إنشاء هذه المدرسة تخريج أفواج من المترجمين الذين ينقلون إلى العربية أمهات الكتب في العلوم والفنون والآداب. وحين أنشأ علي مبارك مجلة روضة المدارس سنة ١٨٧٠ جعل رفاعة رئيساً لتحريرها، وبقي رئيساً لتحرير هذه المجلة الأدبية الاجتماعية ثلاث سنوات حتى مات في ١٨٧٣. عوض، لويس: تاريخ الفكر المصري الحديث، دار الهلال، القاهرة د. ت، ص ٩٠ - ٩٨.

٥- الخطيب، حنيفة: تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان وارتباطها بالعالم العربي ١٨٠٠-١٩٧٥، دار الحداثة بيروت، ١٩٨٤، ص ٢٩.

البستاني^(١) لقضية المرأة في خطاب ألقاه سنة ١٨٤٩ في حفلة للجمعية السورية في بيروت دعا فيه إلى تعليمها حيث قال:

((إن تعليم النساء ضرورة بسبب الأضرار اللاحقة بالكون جراء جهلهن))^(٢). وعلى الرغم من أن المرأة كانت محرومة من حقوقها كثيراً، إلا أن عدداً من النساء برزن في المجتمع بشكل ملحوظ، ويذكر تشارلز تشرشل في أثناء رحلته في جبل لبنان أن المرأة الدرزية كانت متعلمة وتحب التعليم^(٣)، ولذلك برز منهن السيدة نايفة جنبلاط ابنة الشيخ بشير جنبلاط^(٤)، وزوجة الشيخ خليل شمس التي أدت دوراً مهماً في حوادث سنة ١٨٦٠، ففي بداية الأحداث حاولت جاهدة وضع حد لها، وجعلت من بيتها ملاذاً للخائفين، وآوت عائلات بكاملها من المسيحيين، ولما اشتد الحصار على الشهابيين في حاصبيا، خرجت من دارها، وسارت بين القتلى والجرحى، وأخرجت النساء والأطفال من بين المحاصرين ونقلتهم إلى دارها^(٥)، وحصلت على الإشادة والمدح بما وبفوذها، وهذا بعض ما قيل فيها:

((وما برح نفوذها شديداً في بلادها، حتى بعد الثورة ومترها ملاذ كل الناس، فراع جانبها الحكام والزعماء من الطوائف جميعها، ولم يتبنوا رأياً هاماً دون أخذ رأيها، ومما يبرهن على عظيم

١- بطرس البستاني: ولد في قرية الدبية ١٨١٩-١٨٨٣، وتلقى أصول اللغات العربية والسريانية، والإيطالية واليونانية، والعبرية، والإنكليزية، كان أديباً، وصحفيّاً، ومترجماً، ونحويّاً. وضع العديد من المؤلفات منها: محيط المحيط، والمعجم الشهير، ومفتاح الصباح في الصرف والنحو، كما أنشأ مع نجله سليم أربع صحف: الجنان والجنة والجنينة، ونفیر سوريا، سمي المعلم بطرس تمييزاً له عن صديقه المطران بطرس البستاني الذي كان زميله في مدرسة الدّبية الذي اشتهر بتزاعه العلني مع متصرف جبل لبنان رستم باشا. كحالة: مرجع سابق ج ١، ص ٤٢٩. العودات: مرجع سابق، ص ٨٠. سيف، أنطوان: ثلاثة حكماء من جبل لبنان، مؤسسة أنطوان _ لبنان، ١٩٩٩ ص ٣٥.

٢- الخطيب: مرجع سابق، ص ٣٠.

3- Charles Churchill, Mount Lebanon, Ten Years Residence 1842-1852, London, 1853, P287.

٤- بشير جنبلاط: ابن قاسم بن علي بن رباح بن جنبلاط، ولد سنة ١٧٧٥، عرف بصدافته للأمير بشير الشهابي شاركه في تصفية المشايخ الإقطاعيين الكنديين وآل باز، كما شاركه في القضاء على عاميتي أنطلياس، ولحفد وكان على رأس الحزب الجنبلاطي. اليازجي: مرجع سابق، ص ٤١.

٥- الخطيب: المرجع السابق، ص ٣٨.

تأثيرها حذر السلطنة العثمانية من مجيئها إلى المختارة، وصدور الإرادة السلطانية برجوعها حالاً إلى حاصبيا^(١) ويتبين من ذلك مدى النفوذ التي وصلت إليه .

دخلت المرأة اللبنانية في مجال السياسة، ولاسيما في سنة ١٩١٤ حيث شكلت مجموعة من السيدات جمعية يقظة الفتاة العربية .

ومن الأدبيات المعروفة زينب فواز^(٢) ١٨٥٠-١٩١٤ من مواليد جبل عامل، وكانت مصر منطلقاً لنشاطها الأدبي، حيث لفتت انتباه حسن حسني باشا صاحب مجلة النيل الذي درّسها بنفسه قواعد اللغة العربية، وتمكنت فيما بعد أن تصبح خطيبة وشاعرة، وكتبت في العديد من الصحف والمجلات، مثل: لسان الحال، والاتحاد المصري، والبستان، والمؤيد^(٣)، وشكلت أول جمعية نسائية علمية خطابية سنة ١٨٨١، وذلك عندما أنشأت نخبة من خريجات المدارس التبشيرية في بيروت جمعية باكورة سوريا، غايتها ترقية النساء من الناحية الأدبية وتولت رئاستها السيدة حنى عتيق^(٤).

٢- في المجال الصحفي: بعد الدعوة التي ترددت في أنحاء العالم العربي لتحرير المرأة، سارعت المرأة العربية عبر الصحافة تطالب بحريتها، معلنة ثورتها، ورفضها لواقع مجتمعتها، وتدعو إلى تعليم النساء ومشاركة الرجل في صراعه مع الحياة، وكانت مصر أول بلد تصدر فيه مجلة نسائية، وفيما يلي يقدم الجدول الآتي أهم المجلات النسائية التي صدرت^(٥):

اسم المجلة	مؤسستها	مكافأ	السنة	اسم المجلة	مؤسستها	مكافأ	السنة
الفتاة	هند نوفل	القاهرة	١٨٩٢	الفردوس	لويزا حبالين	القاهرة	١٨٩٦
مرآة الحسناء	مريم مزهر	القاهرة	١٨٩٦	المرأة	أنيسة عطا الله	القاهرة	١٩٠٣
السيدات و البنات	روزة أنطوان	الإسكندرية	١٩٠٣	السيدات و البنات	ماري فرح	الإسكندرية	١٩٠٣

١- باز، جرجي: الشيخة نايفة جنبلاط، مجلة الخدر، المجلد الخامس، ١٩٢٣، ص ٦٤.

٢- زينب فواز ١٨٦٠-١٩١٤: ولدت في تبنين، أدبية، مؤرخة، وتعلمت في الإسكندرية، تزوجت أديب نظمي الدمشقي، وافترقا في دمشق، فعادت إلى القاهرة، فتوفيت هناك.

العودات: مرجع سابق، ص ٩٠.

٣- الخطيب: مرجع سابق، ص ٦٩.

٤- باز، جرجي: أول جمعية نسائية في العالم العربي، مجلة صوت المرأة، العدد ٤٣، ١٩٤٦.

٥- الخطيب: المرجع السابق، ص ٩١-٩٣.

المرأة السورية	عفيفة كرم ^(١)	لبنان	١٩١١	مرشد الأطفال	عفيفة كرم	لبنان	١٩١٢
الكرمة	سلوى أطلس	سان باولو	١٩١٤	الريخانة	جميلة حافظ	القاهرة	١٩٠٧
الزهر	مریم سعد	القاهرة	١٩٠٢	فتاة الشرق	لبية هاشم ^(٢)	القاهرة	١٩٠٦
فتاة لبنان	سليمي أبي راشد	بيروت	١٩١٤	منيرفا	ماري يني	بيروت	١٩١٧

٣- في مجال العمل والمهن: كانت المرأة العربية تعامل على أساس أنها قاصر، حتى ولو بلغت سن الرشد، ومما يؤكد على ذلك الدهشة التي أصابت السفير الأمريكي في أثناء قيامه بمهام السفارة لدى الباب العالي من مصادقة السلطنة العثمانية على إجازة الطب التي نالتها السيدة ماري إدي سنة ١٨٩٣؛ لتتمكن من مواصلة مهنتها في البلاد العثمانية^(٣)، وبين سنتي ١٨٥٧-١٨٦٩ عارضت السلطات الدينية المسيحية مواصلة النساء والرجال العمل في مصنع واحد، مما اضطر المتصرف رستم باشا بإصدار أمر بذلك^(٤).

كانت المرأة خاضعة لمنظومة من العادات التقليدية الموروثة، والصارمة، فالسيادة بالمتزل للرجل ويقتصر دورها على إنجاب الأولاد، والعمل في المنزل، وكان بطرس البستاني من أهم الذين دعوا للتخلص من هذا الواقع السيء للمرأة والعمل على تعليمها^(٥)، فعند وقوع الحرب العالمية الأولى كانت سياسة الاتحاد والترقي تهدف إلى تترك البلاد عن طريق السيطرة الفكرية على المرأة؛ كونها (الأم)؛ المربية الأولى في المجتمع، فأرسلوا إلى بلاد الشام كلاً من الأديبتين خالدة أديب، وفيكار عثمان ومعهما العديد من المعلمات العثمانيات؛ وبسبب الحرب قامت الدولة العثمانية بمصادرة

١- عفيفة كرم ١٨٨٣-١٩٢٤: ولدت في عمشيت، وتزوجت بكرم حنا صالح سنة ١٨٩٧، كاتبة، وسافرت معه إلى لوزيانا، وأولعت بكتابة المقالات، فكانت صاحبة جريدة الهدى، ثم أصدرت مجلة العالم الجديد سنة ١٩١٢. الزركلي: مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٣٩.

٢ - لبية هاشم ١٨٨٠-١٩٤٧: لبية بنت ناصيف ماضي هاشم، ولدت في كفرشما، وانتقلت إلى مصر، أديبة كاتبة، صحافية، وتعلمت اللغتين الإنكليزية، والفرنسية، وأصدرت مجلة فتاة الشرق، ودعيت للمحاضرة في الجامعة المصرية القديمة، فألقت عدة محاضرات، قدمت إلى سورية، وتولت تفتيش مدارس الإناث، ثم سافرت إلى تشيلي ومن ثم عادت إلى مصر، وتوفيت هناك. من آثارها: كتاب التربية، رواية شيرين فتاة الشرق، رواية قلب الرجل. كحالة: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٧٤.

٣- الخطيب: مرجع سابق، ص ١٢٨.

٤- البواري: مرجع سابق، ص ٨١.

٥- القيس، فايز علم الدين: بطرس البستاني، أثر المعلم بطرس البستاني في النهضة الوطنية في لبنان، دار الفارابي بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٦٨.

المدارس الأجنبية المقفلة، وأعطتها لتلك البعثة التي أخذت دير الناصرة، ومدرسة البنات الفرنسية وقسماً من كلية القديس يوسف فحولتها إلى مدارس للبنات^(١).

ونستنتج من خلال ذلك الدور الكبير للمرأة في المجتمع وتأثيرها الكبير، واستغلال ذلك من قبل الاتحاد والترقي من أجل السيطرة على أفكار المجتمع، ومن اللواتي حصلن على إجازة في الطب أنطاس بركات سنة ١٩٠٥، وماري ثابت سنة ١٩٠١ والصيدلانية زهية بركات، والمرضة أديل كساب سنة ١٩٠٨، وفي سنة ١٩٠٩ كانت السيدة حنة نجمة التنوري أول امرأة تنال الإجازة في طب الأسنان.

وفي سنة ١٩١٣ حصلت السيدة كاترين شامية على شهادة الدكتوراه في الفيزياء والكيمياء وعملت في سنوات الحرب العالمية الأولى أستاذة مساعداً في معهد الأوديسة حيث درست الرياضيات، ومن ثم أصبحت مساعدة للمدام كوري في مختبرها لمدة ثلاثين عاماً^(٢)، وبذلك فقد لمس بطرس البستاني ما للعلم من فضل على شخصية المرأة حين تسنى له التعرف إلى نساء المبشرين العاملات في التدريس، وذلك عند اتصاله بالمرسلين الأمريكيين سنة ١٨٤٠ وتعليمه في مدارسهم^(٣).

في سنة ١٨٧٤ سُمع صوت امرأة تدعى مدام مشكور تحض النساء على طلب المعرفة لإنشاء جيل راق، وللحصول على مكانة في المجتمع، ومن كلامها:

((إن ارتفاع درجة الأفراد والأمم إنما تكون بالمعارف، والبرهان القاطع، الفرق حالة أوروبا في زمان ظلماتها في القرون الوسطى وهذا الزمن، ولما كانت المرأة ذات قابلية لجميع ما يجمعه الرجال ولا إدراك ما يدركونه من سلم الأدب والمعارف، لا بد أن تكون الواسطة الرافعة لشأها والمتقفة لعقلها نفس وسائط الرجال وبرهان ما يجري في البلدان المتمدنة في هذه الأيام مما يدل على تقدم النساء ونفعهن للهيئة الاجتماعية))^(٤).

سابعاً- التعليم و الحياة الفكرية في الجبل:

١- المدارس:

حيث وجد ثلاثة أنواع من المدارس في جبل لبنان، وهي:

١- بيهم، محمد جميل: المرأة العربية والحرب العالمية، مجلة العربي، العدد ٢٢، ١٩٦٠، ص ١٣١.

٢- الخطيب: مرجع سابق، ص ١٢٩-١٣٠.

٣- القيس: مرجع سابق، ص ١٦٧.

٤- الخوري، أنيس: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٦٠، ص ٢٧٠.

أ- مدارس الكتاتيب: إن هذا النمط من التعليم هو الذي كان سائداً قبل التنظيمات العثمانية حيث كان التلميذ يذهب إلى الكتاب، وهو في سن السابعة أو الثامنة من عمره، وكان التعليم في فصل الشتاء في الوقت الذي لا يتعارض مع أعمال الزراعة والفلاحة .

وكان يتولى عملية التعليم شيخ يتقاضى أجراً أسبوعياً كل يوم خميس - لذلك سميت هذه الأجرة (خميسية) - وكانت تبلغ خمسة قروش، أما مواد الدراسة فكانت تقتصر على تعليم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، والحساب، وكان مكان التعليم في المسجد، وفي حال لم يكن في القرية مسجد يتم جمع التلاميذ في غرفة منعزلة في القرية تخصص من أجل ذلك^(١) .

أما المسيحيين، فكانوا يتعلمون في الأديرة الخاصة بالكنائس، وهذا ما يفسر تحول بعض هذه الأديرة إلى مدارس خاصة، بتأثير من الإرساليات التبشيرية^(٢) .

ب- المدارس الخاصة لغير المسلمين:

١- مدارس المسيحيين :

كان التعليم منتشرًا عند المسيحيين؛ إذ وجد في كل قرية مدرسة يديرها كاهن القرية، وكانت العائلات الغنية تقوم بدفع الأموال من أجل تعليم أولادها^(٣)، ومن أهم مدارسهم:

- المدرسة المارونية: تأسست سنة ١٥٨٤ برومية في عهد البابا غريغوريوس الثالث عشر، حيث أشرف الآباء اليسوعيون عليها منذ تأسيسها حتى سنة ١٧٧٣ حيث تم إغلاقها، وانتظرت هذه المدرسة حتى سنة ١٨٩٢ لتفتح أبوابها من جديد بفضل البابا لاون الثالث عشر ١٨٧٨-١٩٠٣ والمطران الياس الحويك^(٤).

- مدرسة عين ورقة: أسسها البطريرك يوسف اسطفان، بتحويله دير عائلته إلى مدرسة عامة للطائفة المارونية، وكان ذلك في سنة ١٧٨٩، وترأس تلك المدرسة الخوري خير الله اسطفان واستمر برئاستها حتى وفاته سنة ١٨٢٣، فخلفه برئاستها المطران يوسف رزق الجزيني.

١- عوض: مرجع سابق، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

٢- الغداف، غسان: الحركة التعليمية عند المسلمين في لبنان في القرن التاسع عشر، لبنان، بيروت، ١٩٩٦، ص ٢١.

٣- سويد: فرنسا والموارنة ولبنان، ص ٢٥١.

٤- الخازن، وليم: تباشير النهضة الأدبية، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٩٣، ص ٣٨-٣٩.

ومن الذين توالوا على إدارة تلك المدرسة؛ الخوري يواكيم اسطفان، والخوري بولس اسطفان وبولس مسعد^(١)، ويوسف اسطفان، ومن العلماء المشاهير الذين درّسوا فيها الشيخ بشارة الخوري^(٢) والمعلم بطرس البستاني^(٣)، واللغوي الشهير أحمد فارس الشدياق^(٤).

ومن قوانين هذه المدرسة على الصعيد السلوكي للتلاميذ: فقد كان هناك تشدد كبير على أمور التلاميذ (الجسدية والروحية)، وتدخل بكل تفاصيل حياتهم من الصباح إلى المساء، فعند الاستيقاظ من النوم صباحاً عليهم أن يتلوا الصلوات المعتادة، وفي أوقات الطعام تتلى أجزاء من الكتاب المقدس بالإضافة للقيام بزيارة القربان المقدس بعد نهاية كل غداء، وعشاء، والاستماع إلى الوعظ، والحكم في الكنيسة كل يوم أحد من كل أسبوع، أما على صعيد علاقة التلاميذ بغيرهم من خارج المدرسة كان يحرص على عدم الاختلاط بهم حتى لا يتعلموا طرائقهم.

وكانت هذه المدرسة من الناحية التعليمية على ثلاث مراحل: ابتدائي وثانوي وعالي، حيث اهتمت بالجانب اللغوي (صرف - إنشاء - نحو) وبالجانب الديني الفلسفي؛ بالإضافة إلى تعليمها عدة لغات من السريانية، واللاتينية، والإيطالية، وكان يمنع الطالب من احتواء كتاب لا يفيد في دراسته^(٥)

١- بولس مسعد ١٨٠٦-١٨٩٠: ولد في عشقوت بكسروان، درس في مدرسة عينطورة، وفي مدرسة عين ورقة وأتم دروسه الفلسفية، واللاهوتية في روما، أقام في مصر من كتبه: دليل لبنان وسورية، وكتاب لبنان والدستور العثماني. الزركلي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٨-٧٩.

٢- بشارة الخوري ١٨٨٥-١٩٦٨: ولد في بيروت، وتوفي فيها، وهو شاعر لبناني لقب بالأخطل الصغير، وأنشأ جريدة البرق في بيروت، فصدرت في سنة ١٩٠٨، واستمرت في الصدور حتى سنة ١٩٣١، وكان عضواً في الجمع العلمي العربي بدمشق. العودات: مرجع سابق، ص ٧٩.

٣- الدبس: مصدر سابق، ص ٢٨٤.

٤- أحمد فارس الشدياق ١٨٠٤-١٨٨٧: منصور بن يوسف الشدياق، ولد في عشقوت من أسرة مارونية معروفة وتعلم في مدرسة عين ورقة، سافر إلى باريس وأقام في جزيرة مالطا، فلما ذاع صيته دعاه باي تونس إلى خدمة مملكته، وهناك اعتنق الإسلام وصار يعرف بالشيخ، وفي سنة ١٨٥٧ اتخذ من الآستانة مقراً له، وأصدر فيها سنة ١٨٦٠ جريدة الجوائب، ووضع العديد من الكتب منها: الجاسوس على القاموس، المرأة في عكس التوراة، كثر الرغائب في منتخبات الجوائب، ومن كتبه أيضاً: الباكورة الشهباء نحو اللغة الإنكليزية، سند الراوي في الصرف الفرنسي، غنية الطالب، اللفيف في كل معنى طريف. كحالة: مرجع سابق، ص ٢٢٥. العودات: المرجع السابق ص ٧٥.

٥- خليفة: مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣.

- مدرسة مار يوحنا مارون: كانت ديراً يسكنه رهبان عبّاد إلى أن جعله البطريرك يوحنا الحلو سنة ١٨١٢ مدرسة خاصة بأبرشية جبيل، والبترون، ولم يتجاوز عدد تلامذتها عشرة تلاميذ وترأسها الخوري يوسف فريفر، وبعد وفاته سنة ١٨٨٩ تسلم رئاستها بطرس أرسانيوس^(١).

- مدرسة مار مارون الرومية: تم تحويل الدير إلى مدرسة بناءً على إجماع آباء مجمع لوزيرة المنعقد سنة ١٨١٨^(٢).

- مدرسة الثلاثة أقمار: أسستها مطرانية الروم الأرثوذكس في سوق الغرب سنة ١٨٥٢^(٣).

- المدرسة الوطنية: أسسها المعلم بطرس البستاني، وقام بافتتاحها سنة ١٨٦٣ وجعلت تحت إدارة ابنه سليم^(٤) الذي درّس فيها العلوم واللغة الإنكليزية، واستمرت المدرسة بالتدريس إلى أن أغلقت أبوابها سنة ١٨٧٥ بعد افتتاح مدرسة الحكمة^(٥)، تم قبول الطلبة من الطوائف والمذاهب جميعها، وكان بطرس يخطب في التلاميذ مرتين في الأسبوع يحثهم على التقوى، والفضيلة، ومكارم الأخلاق^(٦) و من معلمي هذه المدرسة ناصيف اليازجي^(٧) الذي درّس العربية، وخطار الدحداح^(٨)، وقلان الدحداح

١- الدبس: مصدر سابق، ص ٢٨٥.

٢- الدبس: المصدر نفسه، ص ٢٨٥.

٣- معطي: مرجع سابق، ص ٢١.

٤- سليم البستاني ١٨٤٦ - ١٨٨٤: سليم بن المعلم بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم البستاني، ولد في عبيه، كاتب، صحفي، والدته راحيل عطا التي كانت أول فتاة التحقت بمدرسة البنات التابعة للإرسالية السورية في جبل لبنان، وفي سنة ١٨٦٢ حل محل والده، وتولى أعمال الترجمة في قنصلية الولايات المتحدة الأمريكية في بيروت، وظل مترجماً حتى سنة ١٨٧١، حيث تفرغ للعمل في إدارة مجلة الجنان، فاشترك في تأليف موسوعة دائرة المعارف، وقام بتحرير جريدتي الجنة، والجنينة وكتب كثيراً في مجلة الجنان، عمل بنشاط في الجمعية العلمية السورية. جحا ميشال: سلسلة الأعمال المجهولة (سليم البستاني)، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، د.ت، ص ٢٦-٢٧. العودات: مرجع سابق، ص ٩١.

٥- الدبس: المصدر السابق، ص ٢٨٩.

٦- زيادة: أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، ص ١٩٢.

٧- ناصيف اليازجي ١٨٠٠ - ١٨٧١: ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي، ولد في قرية كفرشما، وله الفضل بتأسيس الجمعية العلمية السورية، وأنشأ مجلة باسمها، وعمل لدى الأمير بشير الشهابي الكبير لمدة ١٢ سنة، وقام بتعليم اللغة العربية في كل من المدرسة الوطنية، والمدرسة البطريركية، والكلية الإنجيلية السورية، اتصل بالمبشرين الأميركيين، وأيد الدكتور عالي سميث في إنشاء الجمعية السورية سنة ١٨٤٧، توفي في سنة =

اللذان درّسا اللغة الفرنسية، وشاهين سرّيس^(٢) ويوسف الباحوط اللذان درّسا الحساب، والعربية^(٣)، ويقدر عبد الرحمن بك سامي عدد مدارس الذكور في بيروت بسبعين مدرسة، والإناث بأربعين، وفيها من التلاميذ أكثر من سبعة آلاف ومن التلميذات ستة آلاف، ومن المعلمين ثلاثمائة وخمسين، ومن المعلمات نحو مائتين وخمسين^(٤).

- الكلية البطريركية: أسستها مطرانية الروم الكاثوليك في بيروت سنة ١٨٦٥ وكان عدد طلابها في سنة ١٨٨٢ نحو مئتي طالب، وفيها ١٢ معلماً، وكانت تدرّس العربية، والفرنسية، والانكليزية والرياضيات، كما افتتحت المطرانية مدرسة دير المخلص سنة ١٨٦٧^(٥).

- مدرسة العريضة: تأسست في سنة ١٨٦٥ من خلال وقف المطران نقولا مراد وأخيه همام من العقارات، والنقود، وتقع في أسفل عرامون.

- مدرسة المحبة في عرامون: تأسست من قبل الخوري جبرائيل شباط سنة ١٨٦٧ وذلك من خلال الأموال التي جمعها خلال سفره إلى أوروبا، وكانت تقبل طلبة داخليين^(٦).

- مدرسة الحكمة: أسسها المطران يوسف الدبس سنة ١٨٧٤ معتمداً في ذلك على ريع أملاك الكرسي الأسقفى، ومن ثمن بعض الأراضي والمشاريع الخاصة التي باعها من أجل ذلك (معمل حرير شمالان، ونصف قرية كفريا، وللمدرسة فسمان:

= ١٨٧١ الجراح، توفيق فوزي: الشيخ إبراهيم اليازجي ومجلة الضياء، بيروت، ١٩٧٧، ص ١١-١٢. العودات: مرجع سابق، ص ١٠٧.

١- خطار الدحداح ١٩٢٢: مؤرخ، وقصصي، توفي في جونية، ومن آثاره: تاريخ فرنسا الحديث رواية يوسف الحسن. كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٦٧٣.

٢- شاهين سرّيس ١٨٣٠-١٨٧٠: شاهين بن خطار سرّيس، كاتب، خطيب أتقن اللغتين العربية والإنكليزية، علّم في مدارس بيروت، والإسكندرية. من آثاره أحكم لغتي العرب والإنكليز تحفة الأخوين لطلبة اللغتين. كحالة: المرجع نفسه، ص ٨٠٩.

٣- من المعلمين الآخرين الشيخ إبراهيم اليازجي، ويوسف الأسير، وسعد الله البستاني، وإسبر شقير، وإبراهيم ناصيف. شاكر الخوري: مصدر سابق، ص ١٠٣.

٤- بك سامي، عبد الرحمن: سفر السلام في بلاد الشام القول الحق في بيروت ودمشق، مطبعة المقتطف، القاهرة ١٩٨٢، ص ١٥.

٥- زيادة: مرجع سابق، ص ١٩٦.

٦- الدبس: مصدر سابق، ص ٢٨٨-٢٨٩.

الأول: إكليريكي: يوفر للإكليريكيين تعلم اللغة العربية، والسريانية، والدروس الفلسفية، واللاهوت والثاني: علماني يدرس الطلاب اللغات الأجنبية بالإضافة إلى الحساب، والجغرافية، والتاريخ، والطب والرسم.

أعتمد على بعض المشايخ المسلمين للتدريس فيها، ورغبة منه في الارتقاء بالعلم، والتعليم أرسل ثلاثة كهنة إلى أوروبا للاطلاع على مناهج التعليم المختلفة، والاستفادة فيما بعد من خبرتهم تلك للتعليم في المدرسة^(١)، بلغ عدد طلابها عند افتتاحها ٧٢ طالباً ثم ارتفع عددهم في سنة ١٨٨٢ إلى ٢٨٠ طالباً حيث كان يدرسه ثلاثون معلماً، وأصبح عددهم في سنة ١٩١٤ إلى ٣٨٤ طالباً^(٢)، ويلاحظ من خلال التزايد العددي في عدد الطلاب مدى الاهتمام بالتعليم وأدراك أهميته.

- مدرسة زهرة الإحسان: تأسست سنة ١٨٨٠ من قبل السيدة إملي سرسق؛ لتعليم البنات من الطائفة الأرثوذكسية^(٣).

- مدرسة الكلية الشرقية في زحلة: أسسها حضرة الأرشمنديت الخوري يعقوب الرياشي لطائفة الروم الكاثوليكين، وفتحت أبوابها للطلبة سنة ١٨٩٨، وتدرس اللغة العربية والعثمانية^(٤) وتناوب على رئاستها كل من الخوري يعقوب الرياشي، فالخوري بولس الكفوري سنة ١٨٩٩، والأرشمنديت ساروفيم الشميل سنة ١٩٠٧ والأرشمنديت مخايل شمعة سنة ١٩٠٨، والخوري كرنيليوس الرياشي سنة ١٩٠٩، والأرشمنديت أرشيبوس الزرزور سنة ١٩١١^(٥).

- مدرسة مار عبدا هرهريا: تم تحويل هذا الدير إلى مدرسة عامة للطائفة المارونية بفضل البطريرك يوسف حبش، ومن تلامذتها الأساقفة بولس عواد وبولس بصبوص، ومن علمائها اسطفان آصاف ويوسف إلياس باخوس. كما كان للبطريرك يوسف حبش الفضل في تحويل دير ريفون إلى مدرسة عامة^(٦).

١- ضاهر، مسعود: مؤرخون أعلام من لبنان، منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت ص ٤٤٣-٤٤٤.

٢- زيادة: أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، ص ١٩٥.

٣- الخطيب: مرجع سابق، ص ١٧.

٤- الأسود: دليل لبنان، ص ٤١٠.

٥- المعلوف: تاريخ مدينة زحلة، ص ٢٨١.

٦- الدبس: مصدر سابق، ص ٢٨٦.

- مدرسة البلمند: للروم الأرثوذكس^(١).

٢ - مدارس المسلمون:

- مدرسة جامع النوفرة: شعر المسلمون بالخطر عندما أخذ يتهدد نشأة أبنائهم؛ لزيادة عدد المدارس التبشيرية ووقوع أبنائهم تحت تأثيرها، وانطلاقاً من ذلك أسس كل من الشيخين محمد الحوت^(٢) وعبد الله خالد هذه المدرسة في بيروت سنة ١٨٦١^(٣).

- المدرسة العثمانية: أسسها الشيخ أحمد عباس الأزهرى في سنة ١٨٩٥ وسميت فيما بعد بالكلية العلمية الإسلامية^(٤).

-المدرسة الرشدية الأهلية: أسسها الشيخ حسن البنا سنة ١٨٦٣ في بيروت، وكانت مواد الدراسة تقتصر على الحساب، ومبادئ اللغة العربية؛ بالإضافة للدروس الدينية^(٥)، ومن أهم أساتذتها الشيخ إبراهيم الأحذب^(٦).

-المدرسة القادرية: أنشأها إبراهيم البربر، وحسن البناء، وعبد القادر الخوجا سنة ١٨٧١ في بيروت^(٧).

- مدرسة الشويقات: درّس فيها الشيخ مرعي شاهين سليمان سنة ١٨٧٥^(٨).

- مدرسة عين عنوب: علّم فيها الشيخ أسعد فيصل سنة ١٨٨٠^(٩).

١ - ضاهر: الدولة والمجتمع، ص ١١٦.

٢ - محمد الحوت: محدث، من آثاره: أسمى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، حسن الأثر فيما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر. كحالة: مرجع سابق، ج ٣، ص ١١٦.

٣- الغداف: مرجع سابق، ص ٤.

٤- زيادة: أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، ص ١٩٧.

٥- الغداف: المرجع السابق، ص ٥.

٦- إبراهيم الأحذب ١٨٢٦-١٨٩١: إبراهيم بن علي الأحذب، ولد في طرابلس الشام، عالم، وأديب. درس على كبار مشايخها، فأتقن اللغة، والنحو، والبيان، وعمل مستشاراً للأحكام الشرعية لدى سعيد بك جنبلاط، ونائباً في محكمة الشرع، وتولى تحرير جريدة ثمرات الفنون أكثر من ثلاثين سنة، وله قرابة عشرين مؤلفاً. من آثاره: ديوان شعر تفصيل اللؤلؤ والمرجان في فصول الحكم والبيان، مهذب التهذيب في المنطق، كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان فرائد اللآل في مجمع الأمثال. كحالة: مرجع سابق، ج ١ ص ٤٤. العودات: مرجع سابق، ص ٧٣.

٧- الغداف: المرجع السابق، ص ٦.

٨- خليل باشا، محمد: معجم أعلام الدرّوز، الدار التقديمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠، ص ١٤٥.

٩- الغداف: المرجع السابق، ص ١١٠.

- مدرسة المناصف: أخذت اسمها من منطقة المناصف في قضاء الشوف، أسسها الشيخ إبراهيم باشا سنة ١٨٩٤^(١).

- مدرسة المعلم أسعد ولي الدين: الذي كان يدرس الطلاب في بادئ الأمر تحت شجرة كبيرة في ساحة القرية، وكانت تتوقف في أيام الشتاء، والثلوج، إلى أن تم تخصيص غرفة للتدريس سنة ١٨٨٨ في بعقلين، ويتعلم فيها التلاميذ اللغة العربية، والعلوم الدينية^(٢).

- مدرسة المختارة: نشأت في السنوات الأولى من النصف الثاني للقرن التاسع عشر، وهي مدرسة إقطاعية أنشأها سعيد بك جنبلاط لتعليم ابنه نجيب ونسيب^(٣)؛ بالإضافة إلى عدد من الأصدقاء والموظفين الذين في خدمته، وكانت مواد التدريس فيها تقتصر على العلوم العربية بفروعها وقام الشيخ إبراهيم الأحذب بالتدريس فيها، وكان عدد طلابها سنة ١٨٥٦ تسعة طلاب، وهم: الشيخ صالح، والشيخ حسن البنا وهما ولدا الشيخ قاسم حصن الدين (مستشار سعيد بك) والشيخ قاسم بن حسين صراف البيك، وحسن ابن الماس من عبيد البيك، وأسعد أبو صوان الذي كان والده ووالدته في خدمة البيك^(٤) وعلي حسن طليع بن شيخ العقل من الجديدة، وشاكر الخوري^(٥) ابن كاتم أسرار البيك^(٦).

- المدرسة الداودية: أنشأها المتصرف داود باشا في عيبة سنة ١٨٦٢^(٧) فعندما شعر الموحدين بمحاجتهم إلى المدارس لتعليم أبنائهم^(٨)، تقدم أحد وجهاء الموحدين (سعيد تلحوق) إلى المتصرف

١- خليل باشا: مرجع سابق، ص ١٨٩.

٢- الغداف: مرجع سابق، ص ١١٠.

٣- نسيب جنبلاط ١٨٦١-١٩٢٢: هو ابن الزعيم سعيد بك ابن الشيخ بشير ورث من والده ثروة طائلة جعلت منه أغني رجل في قومه، وأنفق معظمها على توطيد زعامته، وبدأ حياته بتسلمه منصب مدير ناحية الشوف، ولم يلبث أن نقله رستم باشا إلى رئاسة محكمة الجزاء الاستئنافية سنة ١٨٨٣، وهو أعلى منصب قضائي يتولاه درزي وكان عمره ٢٢ سنة، وبعد سنة واحد فقط تسلم منصب قائم مقام الشوف. يربك: الجذور التاريخية، ص ١٧٩.

٤- الغداف: المرجع السابق، ص ١١١.

٥- شاكر الخوري ١٨٤٧-١٩١١: ولد في بكاسين إحدى قرى قضاء جزين، رائد من رواد النهضة في لبنان والبلاد العربية، والده يوسف الخوري كاتم أسرار سعيد بك تعلم مبادئ القراءة، والكتابة باللغتين العربية والسريانية. وفي سنة ١٨٥٨ انتقل من بكاسين لبلدة المختارة، وفي سنة ١٨٦٠ هرب مع أبويه وأخوته إلى النبطية وفي سنة ١٨٦١ أرسل لمدرسة عينطورة، ثم التحق بالمدرسة الوطنية، ودخل كلية الطب سنة ١٨٦٨، ونال الشهادة بعد ست سنوات من الدرس. القوال، أنطوان: ظرفاء لبنان، مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٣.

٦- الغداف: المرجع السابق، ص ١١٢.

٧- معطي: مرجع سابق، ص ٢١.

داود باشا بشأن ذلك، فصدر قرار استجابة لطلبه، ولكن بشرط أن تعتمد المدرسة على ريع أوقاف الموحدين لتأمين نفقاتها^(٢)، وتولى إدارة المدرسة كل؛ من القائممقام، وشيخ العقل، ووكيل الطائفة، إلا أن ذلك تغير سنة ١٨٧٨ حيث نقلت إدارتها إلى لجنة مؤلفة من اثني عشر عضواً من أعيان الموحدين، وitrأسها قائممقام القضاء^(٣).

بلغت واردات المدرسة من الأوقاف أربعين ألف قرشاً سنوياً^(٤)، ومن أساتذتها: المعلم أسعد الشدودي^(٥) الذي يدرس الرياضيات، واللغة العربية، والإنكليزية، وفضل الله الغرزوزي، وسعد الله البستاني^(٦)، وأحمد حسن سليم، وعلي بك ناصر الدين^(٧)، وفاضل الخوري، والشيخ أحمد عباس الأزهري^(٨)، واستمرت هذه المدرسة حتى بداية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ولم تستأنف

١- من خلال قراءة الوثيقة رقم (١٥)، ملحق رقم (١٥)، تبين لنا اهتمام الموحدين بالتعليم من خلال تأكيدهم على أن الأجيال المضللة غير المتعلمة التي دمرت بسبب الإهمال في تحصيل، واكتساب العلوم، والفنون، والمعارف لكافية حتى نأخذ طريقنا في الاهتمام بالأجيال القادمة من خلال فتح المدارس، ولتلك الحاجة تم افتتاح المدرسة الداودية للارتقاء بمستوى الطائفة الثقافي العلمي. محفوظات المركز الوطني للمعلومات والدراسات - بعقلين.

غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٣٦٢.

٢- الغداف: مرجع سابق، ص ١١٢.

٣- زيادة: أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، ص ١٩٣.

٤- البستاني، بطرس: دائرة المعارف، بيروت، دار المعرفة، ١٨٨٣، ص ٦٧٧.

٥- أسعد الشدودي ١٨٢٦-١٩٠٦: ولد في عالية، عالم في الرياضيات، ودرس بالكلية السورية الإنجيلية، كان حسن الإنشاء بالعربية، وله فيها نظم أكثره ديني، وتوفي في بيروت، من تصانيفه: العروس البديعة في علم الطبيعة وأرجوزة الحكيم للحكيم. كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٥٠.

٦- سعيد البستاني أو سعد البستاني ١٨٥٩-١٩٠١ بن راشد حنا البستاني، ولد في الدبية كاتب، صحفي، تخرج في مدارس الأمريكان والمدرسة الوطنية، وحرر في جريدة لبنان الرسمية، وتوفي في الحدث بالقرب من بيروت، ومن آثاره رواية ذات الخدر، رواية سمير الأمير. كحالة: المرجع نفسه، ص ٧٦٤.

٧- علي ناصر الدين: كان من أعلام العربية، ومن المتبصرين في الإنكليزية، ألف معجماً إنكليزياً، أصدر سنة ١٨٨٦ مجلة الصفاء، وفي سنة ١٨٩٨ حولها إلى جريدة سياسية، وفي سنة ١٩١١ أصدر مجلة الإصلاح، كما أسس مدرسة المعارف. العودات: مرجع سابق، ص ٩٨.

٨- زيادة: المرجع السابق، ص ١٩٤.



الدراسة فيها إلا في سنة ١٩٣١^(١)، وكان يتم تعيين المعلمين فيها بعد إجراء امتحان لهم من قبل لجنة مختصة^(٢).

ج- مدارس الإرساليات التبشيرية:

إن أول المرسلين الكاثوليكين الذين قدموا إلى جبل لبنان هم الآباء اليسوعيون في سنة ١٦٢٥ فأسسوا معهداً لتعليم اللاهوت في غزير، ومن ثم الآباء الكبوشيون الذين أسسوا ديرهم في بيروت سنة ١٦٢٦، ثم راهبات مار يوسف وراهبات الناصرة سنة ١٨٧١، ثم الإرسالية الإلغازية التي أسست معهداً في عينطورة.

أما المرسلون الأمريكيون فيرجع عهدهم إلى سنة ١٨٢٠، والإرسالية البريطانية لسنة ١٨٦٠^(٣). ومن المدارس التبشيرية الروسية مدرسة أنشئت في سنة ١٨٨٧ في بيروت، ثم امتدت إلى الشويفات سنة ١٨٩٤، وإلى زحلة، وبسكنتا، وحاصبيا، وراشيا سنة ١٩٠٠^(٤)، أما المدارس التي أسستها البعثة الكاثوليكية الفرنسية مدرسة عينطورة، ودير القمر، وبكفيا، وزحلة^(٥)، ومن المدارس المهمة:

- **مدرسة عبية:** أسستها الإرسالية الأمريكية سنة ١٨٤٣^(٦)، فبعد أحداث سنة ١٨٤٠ قرر المرسلون الأمريكيون إغلاق مدرستهم في بيروت، والعمل على فتح مدرسة أخرى في جبل لبنان، وما أن جاء صيف سنة ١٨٤٣ حتى فتحوا مدرسة لهم في قرية عبية^(٧)، وما لبثوا أن أغلقوها نتيجة للأحداث الطائفية سنة ١٨٤٥، ومن ثم فتحت مرة أخرى سنة ١٨٤٦. وعين الدكتور كرنيليوس فاندليك^(٨) لتعليم الجغرافية والكتاب المقدس، وبطرس البستاني لتعليم الحساب، وقواعد اللغة العربية^(٩).

١- الغداف: مرجع سابق، ص ١١٦.

٢- الخطيب: مرجع سابق، ص ١٩.

٣- غريب: مرجع سابق، ص ٣٦-٣٧.

٤- البستاني: مرجع سابق، ص ١٧٩.

٥- معطي: مرجع سابق، ص ١٩.

٦- مسعود، جبران: **لبنان والنهضة العربية الحديثة**، بيت الحكمة، بيروت، ١٩٥٣، ص ٣٥.

٧- القيس: مرجع سابق، ص ٦٦.

٨- كرنيليوس فاندليك: هولندي الأصل أمريكي الولادة والنشأة، ولد سنة ١٨١٨ جاء إلى بيروت ١٨٤٠ طبيباً مع البعثة التبشيرية، وكان من أول أعماله في بيروت تعلم اللغة العربية الذي ألف بها العديد من الكتب، وعين أستاذاً في الكلية الإنجيلية السورية، ومن ثم توفي سنة ١٨٩٥، وقد تعلم الطب، والصيدلة، والرياضيات، واللغات القديمة. وبرع في الكيمياء حتى صار يدعى بالخطيب الكيميائي، وأتقن من اللغات عشرًا، خمس لغات حديثة، والأخرى =

- مدرسة زحلة: وهي مدرسة داخلية أنشأها القس جerald دال المرسل الأمريكي بمساعدة صديقه المستر غرنيلي، وبقيت سنة واحدة فأهملت على أثر وفاة منشئها، كما أنشئت في زحلة مدرسة داخلية أخرى في سنة ١٨٨٩ من قبل المطران جراسميوس^(٢).

-المدرسة الإنجيلية في حاصبيا: اعتنق المعلم بطرس البستاني المذهب الإنجيلي سنة ١٨٤١ وعند انضمام الروم الأرثوذكس في حاصبيا إلى الكنيسة الإنجيلية سنة ١٨٤٤ طالبوا بتأسيس مدرسة لهم فأرسل البستاني، وإلياس فواز لتأسيسها، واقتصرت مواد التدريس على القراءة والكتابة، والحساب^(٣).

- الكلية السورية الإنجيلية الأمريكية في بيروت ١٨٦٦: تخرج أول صف فيها سنة ١٨٧٠^(٤) وتم إنشاء كلية للطب و الصيدلة في سنة ١٨٦٧ ألحقا بها، وكانت دراسة الطب فيها لمدة أربع سنوات، وبلغ عدد الطلاب في سنة ١٨٦٧ أربعة طلاب، ثم ارتفع إلى خمسين طالباً سنة ١٨٩٩ وإلى ١٢٠ طالب في سنة ١٩٠٩، وكان منهاج الكلية يشتمل على تدريس مختلف اللغات والرياضيات والتاريخ^(٥)، وكان أول صف تخرج في الكلية الطبية سنة ١٨٧١، ومن المتخرجين الدكتورة سليم دياب، وسليم فريخ، ويوسف حجار، وناصر حليم، ورشيد شكر الله وشبلي الشميل^(٦)، ومن خلال زيارة عبد الرحمن بك السامي للشام، وبيروت، يصف لنا هذه المدرسة بأنها قسمت إلى ثلاثة أقسام استعدادي، وعلمي، وطبي وهذا القسم الأخير فرع رسمي من المدرسة الطبية السلطانية^(٧).

=لغات قديمة، كتب باللغة العربية عشرين كتاباً في العلوم والفنون فاختره مجمع المرسلين الأمريكيان مرسلأ طبيباً للديار السورية، وأنشأ مجلة النشرة الأسبوعية، من تصانيفه : أصول علم الهيئة، محيط الدائرة في علمي العروض والقافية، المرأة الوضية في الكرة الأرضية، الروضة الزهرية في الأصول الجبرية، الأنساب، تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر، توفي في بيروت. زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، مصر، مطبعة الهلال، ١٩١٤، ج٤ ص ٢١٨-٢١٩. كحالة: مرجع سابق، ج ٢ ص ٦٦٧-٦٦٨.

١- القيس: مرجع سابق، ص ٦٧.

٢- الملعوف: تاريخ مدينة زحلة، ص ٢٨١.

٣- القيس: المرجع السابق، ص ٦٤-٦٥.

٤- يزبك: أوراق لبنانية، ص ١٢١.

٥- معطي: مرجع سابق، ص ٢٠.

٦- يزبك: المصدر السابق، ص ١٢.

٧- بك سامي: مصدر سابق، ص ١١.

- **جامعة القديس يوسف:** أسسها الكاثوليك اليسوعيون الفرنسيون في بيروت سنة ١٨٧٥، والتي تمثلت بمدرسة غزير التي أنشئت سنة ١٨٤٣، ثم نقلت إلى بيروت سنة ١٨٧٥، فسميت حينئذاً باسم جامعة القديس يوسف^(١).

ومن المدارس التي أسستها البعثات الإنجيلية الأمريكية: مدرسة البنات في سوق الغرب التابع لقضاء الشوف سنة ١٨٥٨، والمدرسة اللبنانية في سوق الغرب التي أخذتها البعثة الأمريكية من الإرسالية الأسكتلندية سنة ١٨٨٩^(٢)، وبلغ عدد المدارس التي أسستها البعثات الأمريكية في الفترة الواقعة بين سنتي ١٨٢٠-١٨٦٠ نحو ٣٣ مدرسة^(٣).

ولم تكن البعثات الكاثوليكية الفرنسية أقل نشاطاً من البعثات الأمريكية البروتستانتية، فلم يأتي سنة ١٩١٤، إلا وكان لفرنسا في سوريا وجبل لبنان وفلسطين ٥٠٠ مدرسة^(٤).

أشار الكاتب وليم الخازن إلى محاسن الإرساليات التبشيرية ومساوئها بالآتي: ((إن الشرق عانى منها سياسياً، واقتصادياً، وأفاد منها ثقافياً، وحضارياً))^(٥).

ومع دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى لجانب ألمانيا، اضطرت البعثات التبشيرية على إغلاق أبوابها في بيروت وجبل لبنان^(٦).

نلاحظ مما سبق كثرة المدارس التي تم افتتاحها في جبل لبنان من قبل البعثات التبشيرية، وإقبال الطلاب على التعلم كان له دور إيجابي من الناحية الثقافية، ولكن على الرغم من كثرة هذه المدارس التي تم افتتاحها وجدت بعض الملاحظات عليها، أولهما: أليس كثرة المدارس في أي مجتمع دليل على مدى تحضر ذلك المجتمع، لماذا الأهالي في الجبل لم يستفيدوا من هذه الميزة، وتفادوا وقوع الحروب الطائفية والمذهبية في تلك الفترة.

ثانيهما: إن تأسيس المدارس على أساس ديني طائفي، أدى لتعزيز الطائفية، ومن هنا يبرز الدور السلبي للبعثات التبشيرية التي قامت بافتتاح المدارس على أساس ديني رغبة منها في تمزيق المجتمع وبث

١- معطي: مرجع سابق، ص ٢٠.

٢- الصليبي: مرجع سابق، ص ١٨٠.

٣- زين، زين الدين: نشوء القومية العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢، ص ٥١.

٤- حنّي: مرجع سابق، ص ١٠٧.

٥- وليم الخازن: مرجع سابق، ص ١١-١٢.

٦- ضاهر: الدولة والمجتمع، ص ١١٦.

روح التفرقة، فضلاً عن ذلك بث ثقافتها بالجمع، ولكن قبل لوم الآخرين؛ على المرء أن يبحث في داخله عن العوامل الداخلية التي أسهمت في ذلك، وما هو العمل الذي قدمه من أجل مواجهة هكذا واقع ، ويقدم الجدول الآتي أسماء المدارس التي تم إنشاؤها في جبل لبنان^(١):

قضاء زحلة	اسم المدرسة	مكاتها	رئيسها	اسم المدرسة	مكاتها	رئيسها
مدارس عمومية	مار يوسف	شهران	الخوري بطرس الزغي	الفرنلس		
	مارشعيا	دير مار شعيا	الأب القس لويس بعباتي	الوطنية	بعبات	نعيم أفندي صوايا
المدارس الإكليرية	الشرقية	زحلة	الأب الخوري بولس الكفوري	الشوير		الخوري يوسف الكفوري
مدارس داخلية للبنات	مدرسة راهبات الراعي الصالح	حمانا	ماري دي سانتاتيلد	المشن	برمانا	المس لازلي
قضاء الشوف						
مدارس عمومية	سوق الغرب	سوق الغرب	القس هاردن	الدرزية	عبيه	
	كفر متا	كفر متا	علي بك ناصر	اللورد دوفرن الانكليزية	الشويفات	طانيوس أفندي سعد
المدارس الإكليرية	عين تزان	الشويفات	الأب مرقص قاصوف	دير الشير	الشويفات	طانيوس أفندي سعد
مدارس داخلية للبنات	اللورد دوفرن الانكليزية	الشويفات	مس بر كتر	شملان	شملان	مس طمس
قضاء البترون						
مدارس عمومية	مار يوحنا مارون	كفر حيا	بطرس أرسانيوس	كرم سده	كرم سده	يعقوب عواد
	مار ساسين	فغال	الخوري بطرس أبو صعب	مار يوسف	زغرتا	الخوري بولس معوض
قضاء كسروان						
مدارس عمومية	عين طورة	عين طورة	الأب ألفونس سالياج	مار لويس	غزير	لويس زوين
	الحبة الأخوية	عرمون	يوسف أفندي شباط	مار مخايل	المرادية	مخايل مراد
المدارس الإكليرية	السيدة	ريفون	يوحنا مبارك	مار جرجس	الرومية	اسطفان الشمالي ^(٢)
	الأرمن	الشرقة	موسى سر كيس	مار أنطونيوس	معاد	نعمة الله دوميط
مدارس داخلية للبنات	راهبات الزيارة	عين طورة	يوسف صفي ^(٣)	البنات	جونية	الأخت ثيوفيلادي لأكروا

١- الأسود: دليل لبنان، ص ٧٤-٧٧.

٢- اسطفان الشمالي: له كتاب لحة عين، وملحة الشماليين في الوعظ، ألفه بالاشتراك مع أخيه جرمانوس .

كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٤٩.

٣-يوسف صفي: أنشأ في بيروت مكتبة المدارس، من آثاره: مجالي الغرر لكتاب القرن التاسع عشر، أهي الأساليب في إنشاء المكاتب، نفثات الكتاب في عهد النهضة الأدبية الأخيرة. كحالة: المرجع نفسه، ج ٤ ، ص ١٦٥ .

٢- الطباعة: دخلت المطبعة للمرة الأولى إلى جبل لبنان إلى منطقة دير قزحيا في سنة ١٦١٠، ثم أنشئت مطبعة الشوير سنة ١٧٣٣^(١) بجبل كسروان وأدارها عبد الله الزاخر^(٢)، حيث حصل على مساعدة كبيرة من المبشرين اليسوعيين^(٣)، وبعدها مطبعة القديس جورجيس لطائفة الروم الأرثوذكس سنة ١٧٥١ الذي أنشأها يونس نقولا الجبيلي، ولما كان سفر المزامير هو الكتاب المعتمد لتعليم القراءة عند أكثر الطوائف المسيحية فكان من الطبيعي أن يكون أول كتاب يطبع فيها^(٤). وفي أوائل القرن التاسع عشر تأسست في دير طاميس مطبعة سريانية، وفي سنة ١٨٥٥ تأسست مطبعة عربية في الدير نفسه^(٥). ومن المطابع الأخرى التي أنشئت في جبل لبنان:

أ- المطبعة الشرقية: أسسها إبراهيم النجار^(٦) ١٨٥٨.

ب- المطبعة الأمريكية ١٨٤٣ في بيروت، سعى عالي سميث^(٧) لنقلها من مالطا ثم تولاهما من بعده كرنيليوس فاندليك، وطبع فيها الكتاب المقدس^(٨).

١- صابات، خليل: تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف، ١٩٥٨، ص ٣٤.

٢- عبد الله الزاخر ١٦٨٤-١٧٤٨: عبد الله بن زحريا بن موسى زاهر الرومي الملكي الكاثوليكي الحلبي، ولد في حلب، عالم لاهوت، وأسهم في تأسيس الطباعة العربية في الشرق العربي، فأسس المطبعة العربية في دير مار يوحنا في الخنشارة. وتوفي في الشوير، له مؤلفات دينية وفلسفية وجدلية منها: الترياق المشفي من سم غبرائيل الفيلاذلفي والتنفيذ ضد الجمع العنيد، والبرهان اليقين على فساد إيمان المشاقي، والبرهان الصريح في حقيقة سرّ دين المسيح. كحالة: مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٤٢.

٣- قدورة، وحيد: ندوة عن تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر، مجلة الجمع الثقافي، بيروت ط ١، ١٩٩٦، ص ١٢٤.

٤- زيادة، نقولا: لبنانيات (تاريخ وصور)، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط ١، ١٩٩٢، ص ٦٤.

٥- حنّ: مرجع سابق، ص ٥٥٥.

٦- إبراهيم النجار: ولد في دير القمر، وتوفي في بكفيا، مارس الصحافة في مختلف البلدان العربية، فأصدر جريدة الكلمة الحرة في القاهرة سنة ١٩٠٢، ثم شركة الأخبار الصحفية في الآستانة سنة ١٩١٢، ولسان العرب في القدس سنة ١٩٢١، وجريدة اللواء في بيروت سنة ١٩٣٩، درس الطب في القصر العيني في القاهرة، ثم سافر إلى الآستانة، وعُين طبيباً أول للعساكر الشاهانية في مستشفى بيروت العسكري، ومن أهم مؤلفاته: السلاطين العظام، ومصباح الساري وهدية القاري في التاريخ. كحالة: المرجع السابق، ج ١، ص ٧٤-٧٧.

٧- عالي سميث: ولد سنة ١٨٠١: كان سميث من المبشرين الأمريكيين، أشرف في مالطا على مطبعة البعثة، وفي سنة ١٨٢٧ جاء إلى بيروت، لكنه غادرها بعد سنة مع البعثات التبشيرية التي نزحت خوفاً من الحرب، وفي سنة ١٨٣٤ عاد إليها، وتوفي فيها سنة ١٨٥٧. أنطونيوس: مرجع سابق، ص ٩٨.

٨- هاشم ياغي: مرجع سابق، ص ٨٩.

ج- المطبعة الكاثوليكية: أسسها الآباء اليسوعيون سنة ١٨٤٨ من باب المنافسة للبروتستانت الأمريكيان، وكانت أول ظهورها مطبعة حجرية، ثم تحولت في سنة ١٨٥٤ إلى مطبعة حديثة^(١).

د- المطبعة السورية: أنشأها خليل الخوري^(٢) ١٨٥٧.

هـ- مطبعة إهدن: أسسها يوسف الدبس ١٨٥٩ رغبة منه في اقتناء مطبعة خاصة، وأحضر لها آلة الطبع من أوروبا^(٣).

و- المطبعة العمومية: أسسها كل من يوسف الدبس، ورزق الله خضرا ويوسف الشلفون^(٤) ١٨٦١ ثم قاما بشراء حصة يوسف الشلفون في سنة ١٢٩٤هـ الموافق لـ ١٨٧٧ فسميت بالمطبعة العمومية الكاثوليكية^(٥)، ومن ثم شكل يوسف الشلفون مطبعة خاصة به سماها المطبعة الكلية ١٢٩٠هـ الموافق لـ ١٨٧٤^(٦).

ز- المطبعة اللبنانية ١٨٦٣: كلف المتصرف داود باشا يوسف شاهين بتأسيس هذه المطبعة، بالإضافة لمطبعة الصفا ١٨٩٨ لصاحبها علي بك ناصر الدين^(٧).

١- هاشم، مود اسطفان: تجارة الحرف المطبوع، دار الساقى، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص ٤٢-٤٤.

٢- خليل الخوري ١٨٣٦-١٩٠٧: خليل بن جبرائيل بن يوحنا بن عبده الخوري، ولد في الشويفات، شاعر، كاتب صحافي، تعلم في بيروت اللغة العربية، والتركية، والفرنسية، ثم عُيِّنَ مديراً للجريدة الرسمية فمديراً للأمر الأجنبي، أنشأ صحيفة حديقة الأخبار في سنة ١٨٥٨، فكانت أول جريدة عربية صدرت برخصة رسمية من السلطنة العثمانية خارج عاصمة السلطنة، خلف سبعة دواوين شعرية ترجم قسمًا كبيراً منها إلى الفرنسية. ومن آثاره: ديوان في ستة أجزاء سماها زهر الربى العصر الجديد، السمر الأمين، الخليل، وله قصص منها: النعمان وحنظلة، مختصر روضة الأوائل والأواخر لابن الشحنة. كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٦٨٢. العودات: مرجع سابق، ص ٨٥-٨٦.

٣- ضاهر: مؤرخون أعلام، ص ٤٤١.

٤ - يوسف الشلفون ١٨٣٩-١٨٩٦: ولد في بيروت من عائلة مارونية، وكان جده حاكماً على ساحل لبنان درس اللغة العربية وبعض اللغات الأجنبية، فاتخذ خليل الخوري مرتباً للحروف في المطبعة السورية التي أنشأها سنة ١٨٥٧ من أجل نشر جريدته حديقة الأخبار، فتعلم فن الطباعة وأتقنه حتى أصبح من الماهرين، ولما جاء فؤاد باشا أثناء فتنه سنة ١٨٦٠ استدعاه لترتيب المحررات الرسمية التي كانت تطبع باللغتين التركية، والفرنسية، وفي السنة التالية أنشأ المطبعة العمومية التي نشر فيها أكثر من ستين كتاباً. وفي سنة ١٨٦٧ استدعاه داود باشا لترتيب مطبعة الحكومة اللبنانية في بيت الدين ومن الصحف التي تركها؛ الشركة الشهيرة، والنجاح، والتقدم، والزهرة، كما ترك الكثير من الكتب منها: ترجمان المكاتب، تسليية الخاطر في لطائف النوادر، وديوان أنيس الجليس، ورواية حفظ الوداد، وعقود الدرر في أخبار مشاهير الجيل التاسع عشر. العودات: المرجع السابق، ص ١١١-١١٢.

٥- ضاهر: المرجع السابق، ص ٤٤٢.

٦- هاشم ياغي: مرجع سابق، ص ٩٠.

٧- حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠١.

ح- المطبعة الوطنية ١٨٦٧ لجرجس شاهين^(١)، ومطبعة المعارف ١٢٨٣هـ الموافق لـ ١٨٦٧ لخليل سر كيس^(٢) وبطرس البستاني.

ط- المطبعة الأدبية: أنشأها خليل سر كيس^(٣) ١٨٧٤.

ي- المطبعة العثمانية: أسسها إبراهيم بك الأسود^(٤) ١٨٩١ ومركزها بعبداء.

ك- مطبعة الأرز: أسسها الشيخ فيليب الخازن^(٥) ١٨٩٥ ومركزها جونبة.

ل- المطبعة الشرقية: أسسها عبود أفندي راشد ١٩٠٠ ومركزها بيروت.

م- المطبعة التجارية: أسسها سليم أفندي لطفي، ومركزها أسكلة البترون^(٦).

٣- الصحافة: كان الحكم العثماني الإقطاعي هو المهيمن على ولايات الدولة العثمانية في بلاد الشام حيث رزخت تحت نير الإقطاع، وتسلط الولاة، والأُمّية، ولكن ما لبث أن تغير الأمر اعتباراً من النصف الأول من القرن التاسع عشر لوقوعها تحت تأثير عاملين مهمين أسهما في تطور الحياة الفكرية، وهما؛ قدوم الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا، ومحاولاته نشر التعليم من خلال زيادة عدد المدارس؛ فضلاً عن تسهيل دخول التيارات الثقافية الأوروبية، والاتجاهات السياسية، أما العامل الآخر

١- جرجس شاهين ١٨٣٧-١٩٢٧: جرجس شاهين الدمشقي السرياني، رئيس أساقفة حمص، وحمّاه وتابعها، من مؤلفاته: النهج الوسيم في تاريخ الأمة السريانية القويم، بيان في فراسة الإنسان، تذييل في فراسة الفرس الأصيل، أبحاث في أصول الأسر السريانية. كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٧٨.

٢- خليل سر كيس ١٨٤٢-١٩١٥: خليل بن خطار سر كيس، ولد في عبيه، أديب ومؤرخ، وصحفي، وانتظم في سلك طلبة المدرسة الأمريكية في بيروت، وأنشأ في سنة ١٨٦٨ بشراكة سليم البستاني مطبعة المعارف، ومن ثم أنشأ في سنة ١٨٧٥ المطبعة الأدبية، وجريد لسان الحال ومجلة المشكاة، كما أصدر في سنة ١٩١٣ مجلة سوى، من مؤلفاته: تاريخ القدس، معجم اللسان، رحلة إمبراطور ألمانيا في سورية وفلسطين. كحالة: المرجع نفسه، ص ٦٨٣.

٣- هاشم ياغي: مرجع سابق، ص ٩٠.

٤- إبراهيم الأسود ١٨٨٥-١٩٤٠: ابن نجم بن الياس بن حنا الأسود من الروم الأرثوذكس مؤرخ لبناني من رجال القانون من أهل برمانا تعلم فيها، وفي المدرسة الوطنية ببيروت، وأتقن مع العربية التركية والفرنسية، وعين مديراً لمدرسة برمانا ثم كاتباً في دائرة التحقيق، وكان مدعياً عاماً لدى محكمة الاستئناف فقائم مقام الكورة ١٩١٣، واستهوتته الصحافة منذ صغره، فأصدر في المدرسة مع إسكندر عمون جريدة أسبوعية باسم لبنان، وألف عشرة كتب مطبوعة منها: دليل لبنان، وذخائر لبنان وتنوير الأذهان في تاريخ لبنان وهو أربع مجلدات، والرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية. الزركلي: مرجع سابق، ج ١، ص ٧٧.

٥- فيليب الخازن ١٨٦٥-١٩١٦: فيليب بن قعدان الخازن من مواليد عرمون بكسروان أصدر مع أخيه فريد جريدة الأرز سنة ١٨٩٥، وكانت فرنسية النزعة، ونشر مع أخيه مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات اللبنانية، وكان ترجماناً للقنصلية الفرنسية في بيروت، وأبعد في أوائل الحرب العالمية الأولى إلى حلب، ثم أعيد شقاً هو وأخوه فريد في اللحظة نفسها. الزركلي: المرجع نفسه، ج ٥، ص ١٦٩.

٦- الأسود: دليل لبنان، ص ٧٣.

فهو تركيز الدول الاستعمارية على منطقة بلاد الشام بحجة حماية الأقليات الطائفية لكن القصد من ذلك الانفراد بها، وفي ضوء ذلك اهتم الأوروبيون كثيراً بالإرساليات، والبعثات الدينية؛ مما ساعد على نشر التعليم وإصدار الصحف ونقل بعض جوانب النهضة الأوروبية^(١)، ومن أهم تلك الصحف والمجلات التي صدرت:

أ- الصحف والجرائد:

- **جريدة حديقة الأخبار:** أسسها خليل الخوري من بلدة الشويفات سنة ١٨٥٨ وبما أنها الوحيدة في الجبل استخدمها فؤاد باشا في نشر البيانات، والتقارير عن أحداث سنة ١٨٦٠، وتم تخصيص راتب شهري لخليل الخوري^(٢)، أما المتصرف فرنكو باشا فجعلها الجريدة الرسمية للحكومة^(٣).

- **جريدة نفيير سورية:** أسسها بطرس البستاني سنة ١٨٦٠ إسهاماً منه في معالجة فتنة سنة ١٨٦٠ مراعيًا المصلحة الوطنية التي عدّها فوق كل شيء، كما أنه ركز الضوء على مجمل الأفكار الأساسية في معالجته لأحداث الستين^(٤).

- **صحيفة الجوائب:** أصدرها أحمد فارس الشدياق سنة ١٨٦٠، وهي أسبوعية واستمر صدورها حتى سنة ١٨٨٤^(٥).

- **جريدة لبنان:** أسسها إبراهيم الأسود ١٨٩١، جريدة أسبوعية سياسية، تجارية علمية، أدبية وكانت تصدر في يومي الاثنين، والخميس من كل أسبوع، ومركزها في بعبدا.

- **جريدة لبنان:** أنشأها داود باشا ١٨٦٧، تهتم بالأنظمة والقوانين ومركزها في بعبدا^(٦).

- **جريدة الجنة:** أنشأها بطرس البستاني ١٨٧٠ نزولاً عند رغبة ابنه سليم وعهد إليه بإدارتها كانت تصدر مرتين في الأسبوع يومي الثلاثاء، والجمعة، وتوقفت عن الصدور سنة ١٣٠٣هـ الموافق ١٨٨٦^(٧).

١- العودات: مرجع سابق، ص ١١-١٢.

٢- هاشم ياغي: مرجع سابق، ص ١٠٤.

٣- حنّي: مرجع سابق، ص ٥٦٥.

٤- طرازاي، فيليب دي: تاريخ الصحافة العربية، ج ٣، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩١٣، ج ٢، ص ٦٤.

٥- هاشم ياغي: المرجع السابق، ص ١٠٥.

٦- العودات: المرجع السابق، ص ٥٥.

٧- القيس: مرجع سابق، ص ١٠٥.

- **جريدة الجنية:** أنشأها سليم البستاني ١٨٧١، وهي جريدة يومية سياسية تجارية ذات صفحتين وكانت تصدر أربعة أيام في الأسبوع، كان رسم الاشتراك فيها عشرة فرنكات، وتوقفت عن الصدور سنة ١٨٧٥^(١).

- **صحيفة لسان الحال:** أنشأها خليل سركيس ١٨٧٧، وهي جريدة سياسية، وتجارية، وعلمية وأدبية^(٢)، وقد نشرت فيها مقالات كثيرة تعبر عن مطالب العرب الإصلاحية التي تزامنت مع تسلم مدحت باشا ولاية سورية ١٨٧٩-١٨٨٠ الذي كان يطلق عليه (أبو الإصلاح).

- **جريدة الروضة:** أسسها خليل أفندي باخس، وهي جريدة زراعية، وعلمية، وأدبية، وتاريخية وتصدر كل يوم سبت، ومركزها في بعبدا.

- **جريدة الأرز:** أسسها فيليب الخازن، وهي جريدة إخبارية علمية فنية تصدر كل يوم، مركزها جونيه^(٣)، وبالإضافة لذلك كان هناك مجموعة أخرى من الجرائد منها: جريدة المشرق ١٩١١ للروم الكاثوليك، وجريدة صدى لبنان ١٩١٠ في جونيه^(٤) وصحيفة التقدم ليوسف شلفون ١٨٧٤، وجريد المصباح لصاحبها نقولا النقاش ١٨٨٠^(٥) وهي جريدة سياسية وتجارية^(٦)، وفيما يلي يقدم الجدول الآتي أهم الجرائد^(٧):

عنوان الجريدة	منشئها	مكاتها	السنة	عنوان الجريدة	منشئها	مكاتها	السنة
اهدن	بطرس يمّين	اهدن	١٩١٣	بشرى	الأب وانيس الرملي	بشرى	١٩١٠
النهضة	جرجي سابا	كفرحاتا	١٩١٠	مشهد الأحوال	أسعد ضو	البترون	١٩١٠
الجبعة	نوفل الخازن	درعون	١٨٩٢	الحق	الخوري طوبيا عطا الله	بيت شباب	١٩٠٩

١- القيس: مرجع سابق، ص ١٠٧-١٠٨ .

٢- العودات: مرجع سابق، ص ٥٦.

٣- الأسود: دليل لبنان، ص ٧٢.

٤- العودات: المرجع السابق، ص ٤٨-٥٨.

٥- نقولا النقاش ١٨٢٥-١٨٩٤: نقولا بن إلياس بن ميخائيل، ولد في بيروت أديب، شاعر، قصصي، حقوقي، وتعلّم العربية، والسريانية، والإيطالية، والتركية، وعين عضواً بمجلس إدارة ولاية سورية، فنائباً عنها في مجلس النواب العثماني، فعضواً دائماً لمحكمة بيروت التجارية، وأنشأ جريدة المصباح، وتولى تحرير مجلة النجاح، ومارس مهنة المحاماة حتى آخر حياته، ودفن في المقبرة المارونية. ومن آثاره: شرح قانون التجارة تكريم القديسين، ديوان شعر، رواية الشيخ الجاهل. كحالة: مرجع سابق، ج ٤ ، ص ٤٠.

٦- هاشم ياغي: مرجع سابق، ص ١٧.

٧- طرازي: مرجع سابق، ج ٤ ، ص ٢٦-٤٠.

١٩١٨	كفر شيما	رشيد نصر	السلام	١٩١٠	بحمدون	يوسف الحاج ^(١)	الاعتدال
١٩١٢	عبيه	محمد نكد	الفرائد	١٩١٣	عالية	الياس الخوري	الجامعة
١٩٠٦	زحلة	عيسى اسكندر المعلوم	المهذب	١٩١٠	حزين	سعيد رزق و حبيب ناصيف	الاتفاق
١٩١٢	زحلة	ابراهيم أبو خاطر	الخواطر	١٩١٠	زحلة	سالم و اسكندر الرياشي ^(٢)	البردوني

ب - المجالات :

- **مجلة الجنان:** أنشأها بطرس البستاني ١٨٧٠ رغبة منه في تحقيق المنفعة العامة^(٣)، حيث اتخذ شعاراً ((حب الوطن من الإيمان))^(٤)، عهد إدارتها، ورئاسة تحريرها لابنه سليم بسبب انشغاله في إنشاء دائرة المعارف^(٥)، وكانت الجنان مجلة سياسية، أدبية، تاريخية، علمية، وصدر آخر عدد منها في سنة ١٨٨٦ بسبب نشرها أفكار مدحت باشا الإصلاحية ومن كتابها: الشيخ إبراهيم اليازجي، وسليمان البستاني، والمطران إنطوانيوس قندلفت^(٦)، والدكتور كرنيليوس فان ديك^(٧).

- **مجلة الزهرة:** أنشأها يوسف شلفون ١٨٧٠ وهي أسبوعية وفيها فصول تاريخية.

- **مجلة المهماز:** أنشأها خليل عطية ١٨٧٠ تصدر مرتين في الشهر، وهي أدبية وتاريخية، وروائية .

- **مجلة النحلة:** أنشأها لويس صابونجي^(٨) ١٨٧٠ كما أصدر مجلة النجاح ١٨٧١.

١ - يوسف الحاج: أديب، كاتب، صحفي، شاعر، خطيب، أصدر جريدة النداء في تونس. كحالة: مرجع سابق ج ٤، ص ١٥١.

٢ - إسكندر الرياشي ١٨٨٨-١٩٦١: ولد في قرية الخنشارة، صحفي، وكاتب لبناني، تعلم في الكلية الشرقية بـزحلة، وأتقن الفرنسية في باريس، ثم سافر إلى نيويورك سنة ١٩١٣ وأنشأ جريدة الوطن الجديد. العودات: مرجع سابق، ص ٧٧.

٣ - القيس: مرجع سابق، ص ٩٣ .

٤ - سليمان، سهيل زكي: **تطور الثقافة العلمية في لبنان و مصر في عصر النهضة (١٩٠٥-١٩٥٠)**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٨٧، ص ١٩.

٥ - سليمان: المرجع نفسه، ص ١٠١.

٦ - أنطونيوس قندلفت ١٨٣٧-١٨٩٨: ولد في حلب، أسقف طرابلس الشام والنائب البطريكي السرياني على بيروت، من آثاره: عقود الجمان في المواعظ. كحالة: المرجع السابق، ص ٤١١.

٧ - القيس: المرجع السابق، ص ١٠٣ .

٨ - لويس صابونجي ١٨٣٨-١٩٣١: لويس بن يعقوب بن إبراهيم الصابونجي باحث، أصله من ديار بكر، تعلم اللغة العربية، والتركية، والإيطالية، والفرنسية، والإنكليزية، أصدر مجلة النحلة في بيروت، ونقلها إلى لندن، حيث =

- مجلة المشكاة: أنشأها خليل سر كيس ١٨٧٨، ومجلة الصفاء لعلي بك ناصر ١٨٨٦.
- مجلة الهلال: أنشأها جرجي زيدان^(١) ١٨٩٢ وهي مجلة أدبية، تاريخية علمية وظل يصدرها في القاهرة حتى وفاته ١٩١٤، وتولاها من بعده ابنه إميل^(٢).
- مجلة زهرة الكلية: أنشأها أسعد حوري ١٨٩٩، ومجلة حديقة المعارف ١٩٠٠ لبشير، ونجيب قصار^(٣).
- مجلة البيان: أنشأها الشيخ إبراهيم اليازجي^(٤) ١٨٩٧ وهي مجلة أدبية، طبية، صناعية، صدرت في القاهرة لمدة سنة واحدة فقط، ثم أصدر الشيخ إبراهيم اليازجي مجلة الضياء وهي امتداد لمجلة البيان ١٨٩٨، واستمرت حتى أنشأها ١٩٠٦^(١) =.

= أنشأ جريدة الخلافة، ومن ثم أصدر جريدة الاتحاد العربي، فانتقل للآستانة، وأصبح مترجماً خاصاً للسلطان عبد الحميد، واستقر فيما بعد في مدينة لوس أنجلوس، وتم اغتياله في أحد فنادقها، وله عدة كتب منها: تهذيب الأخلاق وشعر النحلة في خلال الرحلة، والنحلة الفتاة، الثورة العراقية، بطارقة السريان، مرآة الأعيان في تسلسل الأديان. الزركلي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٤٧.

١- جرجي زيدان ١٨٦١-١٩١٤: ولد، وتعلم في بيروت وتوفي في القاهرة، أديب مؤرخ لبناني، انتسب إلى الكلية الأمريكية للطب، ثم غادرها إلى مصر، وتولى تحرير جريدة الزمان، ورافق الحملة إلى السودان كمتراجم بقلم المخابرات، ثم عاد إلى بيروت ودرس اللغتين العبرانية والسريانية، ومن ثم أسس في القاهرة مجلة الهلال سنة ١٨٩٢ فنشر فيها المقالات اللغوية والتاريخية والروائية، كما أسس دار الهلال للطباعة والنشر، ومن أهم آثاره: تاريخ التمدن الإسلامي في خمسة أجزاء، تاريخ آداب اللغة العربية في أربعة أجزاء، تراجم مشاهير الشرق، علم الفراسة الحديث روايات تاريخ الإسلام، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، تاريخ مصر الحديث، تاريخ الماسونية، أنساب العرب القدماء، تاريخ العرب قبل الإسلام، علم الفراسة الحديثة، التاريخ العام تاريخ اليونان والرومان. كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٨١.

٢- سليمان: مرجع سابق، ص ٢٠.

٣- هاشم ياغي: مرجع سابق، ص ١٠٨-١٠٩.

٤- إبراهيم اليازجي ١٨٤٧-١٩٠٦: إبراهيم بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط ابن سعد اليازجي، ولد في بيروت، وتعلم على يد أبيه أصول العربية وآدابها، وقرأ الفقه علي يد الشيخ محيي الدين اليافي، وبعد وفاة والده سنة ١٨٧٢ تولى تحرير مجلة النجاح ثم أوكلت إليه من قبل المرسلين اليسوعيين مهمة المشاركة في ترجمة الأسفار المقدسة، وفي سنة ١٨٨٤ تولى تحرير مجلة الطبيب التي أنشأها الجراح الأميركي جورج بوست بالتعاون مع بشارة زلزل و خليل سعادة، وفي سنة ١٨٩٧ أصدر في القاهرة مجلة البيان التي استمرت بالصدور حتى سنة ١٩٠٦ حيث اشتد عليه مرض الروماتيزم فمات في ذلك العام، ومن أهم مؤلفاته: شرح ديوان المتنبي وسماء العرف الطيب ديوان شعر اسمه العقد، الفرائد الحسان من قلائد اللسان، لغة الجرائد، آمال لغوية.

كحالة: المرجع السابق، ص ٧٨. العودات: مرجع سابق، ص ٧٤.

وفيما يلي يقدم الجدول الآتي بأهم المجلات^(٢):

عنوان المجلة	اسم منشئها	مكانها	السنة	عنوان المجلة	اسم منشئها	مكانها	السنة
المعارف	وديع نقولا حنا	الشويفات	١٩١٨	الإصلاح	علي ناصر الدين	عاليه	١٩١١
كوكب البرية	يوسف الشدياق	بعيدا	١٩١١	القمر	وليم دياب نعمة	دير القمر	١٩١١
الآثار	عيسى المعلوف	زحلة	١٩١١	الرئيس	لويس الخازن ^(٣)	جونية	١٩٠٠
صدى لبنان	سجعان سعادة	جونية	١٩١٠	العثماني	اسطفان ضو ^(٤)	البترون	١٩٠٩

ج - الصحافة التبشيرية وتشمل:

- صحيفة مجموع فوائد: قام بإصدارها المرسلون الأمريكيون ١٨٥١، وشملت أخباراً عن انتشار الإنجيل، وتولى تحريرها كرنيليوس فان ديك^(٥).

- صحيفة البشير: أصدرها الآباء اليسوعيين ١٨٧٠، وهي دينية، إخبارية تصدر أسبوعياً^(٦) كان شعارها ((تعرفون الحق، والحق يحرككم))^(٧).

- صحيفة كوكب الصبح: أصدرها المبشرون الأمريكيون ١٨٧١ صحيفة دينية^(٨).

- جريد النشرة الأسبوعية: أنشأتها الإرسالية الأمريكية ١٨٨٦ جريدة دينية^(٩).

١- سليمان: مرجع سابق، ص ٢١.

٢- طرازي: مرجع سابق، ج ٤، ص ١١٨-١٢٦.

٣- لويس الخازن: دكتور في الطب بالإضافة لعمله في المجال الصحفي، من آثاره: رسالة في السل الرئوي والوقاية منه وعلاجه. كحالة: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٧٨.

٤- اسطفان ضو: مؤرخ، من تصانيفه حديقة الجنان في تاريخ لبنان طبع سنة ١٣٢٩هـ الموافق لـ ١٩١١. كحالة: المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٤٩.

٥- اليازجي، كمال: رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث، مكتبة رأس بيروت، بيروت، ١٩٦٢، ص ١٣٣.

٦- هاشم ياغي: مرجع سابق، ص ١٠٦.

٧- حتي: مرجع سابق، ص ٥٦٦.

٨- هاشم ياغي: المرجع السابق، ص ١٠٦.

٩- العودات: مرجع سابق، ص ٤٤.

د- الصحافة في المغرب: أنشأ المغتربون العديد من الصحف، والمجلات في بلاد المغرب من أجل التواصل مع الوطن الأم، وللمطالبة بحقوقهم، ونشر آرائهم السياسية، والاجتماعية، والفكرية، ومن أهم تلك الصحف، والمجلات:

- صحيفة الأهرام في الإسكندرية: أسسها كل من بشارة^(١)، وسليم تقلا^(٢) ١٨٧٥ كما أصدرها صحيفة الوقت في الإسكندرية.

- صحيفة التجارة في الإسكندرية: أصدرها أديب إسحق^(٣) ١٨٧٨.

- جريدة حقيقة الأخبار في القاهرة: أصدرها أنيس خلاط^(٤) ١٨٧٧.

- جريدة الإسكندرية: أصدرها سليم الحموي ١٨٨٠^(٥).

- صحيفة مرآة الشرق في القاهرة: أصدرها خليل اليازجي^(٦)، وأمين ناصيف^(٧) ١٨٨٢.

١- بشارة تقلا ١٨٥٢-١٩٠١: ولد في كفرشما، وهو أحد مؤسسي جريدة الأهرام، وتعلم في بيروت، وعلم في مدرسة عينطورة نحو سنتين، وانتقل إلى الإسكندرية سنة ١٨٧٥، فأصدر مع أخيه سليم جريدة الأهرام الأسبوعية. الزركلي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٢.

٢- سليم تقلا ١٨٤٩-١٨٩٢: سليم بن خليل بن إبراهيم، ولد في كفرشما، أسرته معروفة ببني البردويل، إلا أن أباه نسبته لأمه، صحافي لبناني أسس مع أخيه بشارة تقلا جريدة الأهرام المصرية وتعلم بالمدرسة الوطنية، وعين أستاذاً في المدرسة البطريركية، وهاجر إلى مصر سنة ١٨٧٤ وتكلم به أيام الثورة العربية لامتناعه عن تأييدها، فأحرقت مطبعته فانتقل إلى سورية ثم عاد إلى مصر، فاستأنف إصدار الأهرام فيها. الزركلي: المرجع نفسه، ج ٣، ص ١١٧.

٣- أديب إسحق ١٨٥٦-١٨٨٥: ولد بدمشق من عائلة فقيرة، درس على أيدي الشيخ مصباح رمضان، والشيخ فضل القصار، وإسكندر عازار، وجرّس نحاس، وفي سنة ١٨٧٧ قصد القاهرة، وأنشأ جريدة أسبوعية باسم مصر سنة ١٨٧٧، ثم جريدة يومية باسم التجارة، ثم أغلقت الجريدتان، فهاجر إلى باريس سنة ١٨٨٠، وأنشأ جريدة مصر القاهرة، ثم عاد إلى بيروت سنة ١٨٨١، وهناك تولى تحرير جريدة التقدم ثم عاد إلى مصر، ولما حدثت الثورة العربية أبعده السلطات إلى سوريا، فشارك في تحرير جريدة المصباح، إلى أن اشتد عليه المرض، فمات في بيروت. العودات: مرجع سابق، ص ٧٦.

٤- أنيس خلاط: ولد ودرس في مدارس طرابلس الشام، وتعلم بشكل خاص على يد والده إبراهيم، فنشأ عالي الهمة شغوفاً بالمطالعة، تعلم اللغات الأجنبية، وسافر إلى أوروبا ثم إلى مصر، فدخل في سلك الوظائف، وأنشأ جريدة الحقيقة. العودات: المرجع نفسه، ص ٧٨.

٥- ضاهر: الدولة والمجتمع، ص ٣٢٦.

٦- خليل اليازجي ١٨٥٦-١٨٨٩: خليل بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط، ولد، وتعلم في بيروت، زار مصر، فأصدر أعداداً من مجلة مرآة الشرق، ودرس اللغة العربية في المدرسة الأمريكية. الزركلي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٢٣.

٧- أمين ناصيف: (١٩١٠): دكتور في الطب. ومن أهم آثاره: منتهى الإفادة في أسرار الجمال والصحة والسعادة طبع في بيروت سنة ١٩١٠. كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠٤.

٤- الجمعيات؛ وأهم الجمعيات:

- الجمعية الشرقية: أسسها اليسوعيون ١٨٥٠^(١).
- جمعية الآداب والعلوم: أسسها المرسلون الأمريكيون ١٨٤٧ في بيروت بالتعاون مع بطرس البستاني، وناصيف اليازجي^(٢).
- جمعية زهرة الآداب ١٨٧٣: أنشئت بإذن من الدولة العثمانية على يد أسعد باشا متصرف بيروت^(٣)، ومن بين أعضائها أديب إسحاق، وإسكندر عازار^(٤)، وسليم النجار.
- الجمعية العلمية السورية ١٨٤٧: كانت من أهم الجمعيات وبلغ عدد أعضائها ١٥٠ عضواً ومن بينهم محمد أرسلان^(٥) الذي تولى رئاستها، وبطرس البستاني، وناصيف اليازجي، وكان يتبع لها مجلة شهرية تعرف باسم مجموعة العلوم^(٦)، واعترف بها رسمياً سنة ١٨٦٨، نشرت مقالات علمية وأدبية، واقتصادية، وزراعية^(٧).
- جمعية الاتحاد اللبناني في القاهرة: تم تأسيسها من قبل الجالية اللبنانية في القاهرة ١٩٠٩، والغاية منها الحفاظ على حقوق جبل لبنان، من بين مؤسسيها: إسكندر عمون ومحمد تلحوق^(٨)، وحيدر معلوف^(٩)، وبولس مسعد، وجرجس حنا^(١٠).

١- حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٧٤.

٢- معطي: مرجع سابق، ص ٢٥.

٣- هاشم ياغي: مرجع سابق، ص ٩٤.

٤- إسكندر عازار ١٨٥٥-١٩١٦: كان من أعضاء محكمة التجارة، واشتهر بفصول قصيرة في النقد والتعليق على بعض الحوادث، وكان يكتبها بأسلوب فكاهي، وينشرها في جريدة البرق الأسبوعية بعنوان حواضر البيت، كما نشر مقالات في السياسة والشؤون العامة. الزركلي: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٠٤.

٥- محمد أرسلان ١٨٣٨-١٨٦٨: محمد أرسلان الأمير، ولد في الشويفات، وطلب العلوم منذ حداثة سنه، وتعلم اللغات الأجنبية، وانتقل إلى بيروت، ومن أهم كتبه: كتاب في أصول التاريخ تأليف في الصرف والنحو، حقائق النعمة في أصول الحكمة والمسامرة. كحالة: مرجع سابق، ج ٣، ص ١١٩.

٦- معطي: المرجع السابق، ص ٢٥.

٧- حقي: مرجع سابق، ص ٥٦٠.

٨- محمد تلحوق: ولد، وترعرع في بلدة عيتات، رافق الأمير حيدر الشهابي إلى غزير، واشترك معه في معركتها مع ابنه شاهين ثم رافقه إلى الهرمل ثم إلى المتن واشترك في معركة عين دارة، كافأه الأمير حيدر، فأقطعه منطقة الغرب الأعلى. اليازجي: مرجع سابق، ص ٥٣.

٩- حيدر معلوف ١٨٧٠-١٩٢٨: ولد في كفر عقاب، عارف باللغة العربية والإنكليزية والرياضيات، وأنشأ شركة المصايف، وتوفي في القاهرة. ومن آثاره: دليل سنوي للمصطافين. كحالة: المرجع السابق، ج ١، ص ٦٦٥.

١٠- بشارة الخوري: مرجع سابق، ج ١، ص ٨٠-٨١.

- جمعية الاتحاد اللبناني في الإسكندرية ١٩١٠: الهدف من هذه الجمعية الاهتمام بمصالح جبل لبنان مع سائر الجمعيات اللبنانية، وكان من بين أعضائها: أسعد حنا، وإسكندر نعمة^(١) وأنطوان عواد، وحبيب أنطونيوس، ومراد السودا^(٢).

- الجمعية اللبنانية ١٩١٣: أسسها مجموعة من اللبنانيين، وافتتح للجمعية فروع في كل من بيروت، وباريس، وأمريكا، وتولى نعوم مكرزل^(٣) رئاسة فرع أمريكا، وشكري غانم^(٤) فرع باريس، أما فرع بيروت؛ فكان من بين أعضائه بشارة الخوري، وجورج فيليب ثابت. والهدف من هذه الجمعية توسيع حدود جبل لبنان، واستقلاله^(٥).

- جمعية الأرز ١٩١٢: تولى رئاسة هذه الجمعية حبيب باشا السعد، وسليم بك المعوشي، وكان الهدف من أنشائها مقاومة المتصرف يوسف فرنكو باشا، ومعارضة تسلمه للمتصرفية لمرّة ثانية ولإدخال بعض الإصلاحات الإدارية، والمالية على نظام جبل لبنان^(٦).

- جمعية شمس البر في بيروت ١٨٦٩: كانت فرعاً لجمعية اتحاد الشباب المسيحيين في بريطانيا وضمت مجموعة من أدباء بيروت، وسوريا، وكان أكثرهم من متخرجي مدرسة الكلية الأمريكية ومن بينهم يعقوب صروف^(٧)، وجرجي زيدان.

١ - إسكندر نعمة: (١٨٨٣)، ومن أهم كتبه قاموس طبي علمي بالعربية، والفرنسية طبع بالإسكندرية . كحالة: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٥٤.

٢ - معطي: مرجع سابق، ص ٩٠ .

٣ - نعوم مكرزل ١٨٦٧-١٩٣٢: ولد في قرية بيت شباب، صحافي، أتم دراسته في مدرسة الحكمة في بيروت ورحل إلى نيويورك فعمل في التجارة، فأصدر فيها جريدة الهدى، وهي يومية باللغة العربية، وتوفي في باريس، ونقل جثمانه إلى بيروت، من آثاره: تاريخ الإسكندر الكبير. كحالة: المرجع السابق، ج ٤ ص ٣٨. الزركلي: مرجع سابق، ج ٨، ص ٤٠.

٤ - شكري غانم: ولد في بيروت، وتعلم في مدرسة عينطورة، سافر إلى مصر حيث عمل في وزارة الأشغال العامة ومن ثم عمل في خدمة الحكومة التونسية، ومن ثم رحل إلى باريس، واهتم بالثقافة؛ الأمر الذي أعطاه مكانة مرموقة بين الأدباء الفرنسيين، وترأس اللجنة اللبنانية في باريس وانتخب في سنة ١٩١٣ نائباً لرئيس المؤتمر العربي. خليفة: مرجع سابق، ص ٧٤-٧٥.

٥ - خليفة: المرجع نفسه، ص ٩٢.

٦ - خاطر: عهد المتصرفين، ص ١٨٦.

٧ - يعقوب صروف ١٨٥٢-١٩٢٧: يعقوب بن نقولا صروف الدمشقي الأصل ولد في الحدث بظاهر بيروت حكيم، أديب، كاتب، صحفي، قصصي، مترجم، ولما ترعرع تلقى مبادئ العلوم في مدرسة سوق الغرب البروتستانتية، ثم انتقل إلى مدرسة عبية الأمريكية، وحصل على شهادة بكالوريوس علوم من الكلية الأمريكية في =

وبالإضافة إلى ذلك كان هناك العديد من الجمعيات منها: جمعية زهرة الإحسان ١٨٨٠ لطائفة الروم الأرثوذكس، وجمعية الإبرة الذهبية ١٩٠٢ في برمانا؛ وهي جمعية نسائية، وجمعية المعارف الدرزية ١٩١١ لتعميم الإصلاح في الطائفة الدرزية^(١) وجمعية الصناعة ١٨٨٢ في بيروت. لتنشيط الصناعة بفضل شاهين مكاريوس^(٢)، وجمعية بزوغ شمس الإحسان الأرثوذكسية في رحلة ١٨٨٤، وجمعية شركة الإحسان الكاثوليكية في رحلة ١٨٨٥^(٣).

٥- المكتبات: من أهم تلك المكتبات مكتبة الشويفات التي أسسها محمد أمين أرسلان حيث جمع فيها أكثر من ٣٠٠ مخطوطة، ومن بعده أشرف عليها أخوه مصطفى^(٤).

وهناك العديد من المكتبات في رحلة؛ منها: مكتبة التقدم ١٩٠١ التي أنشأها يوسف أفندي البشعلاني^(٥)، ومكتبة الدار الأسقفية الكاثوليكية، ومكتبة الدار الأسقفية الأرثوذكسية ومكتبة دير الآباء اليسوعيين، ومكتبة دير النبي إلياس، ومكتبة الموارد في دير مار أنطونيوس، ومكتبة المرسلين الأمريكيان، ومكتبة الخوري قليبس^(٦).

=بيروت سنة ١٨٧٠، ودرّس في مدرستي صيدا وطرابلس الأميركيتين، كما علّم العلوم الطبيعية، والكيمياء والرياضية، والفلسفة، كما استشار كرنيليوس فان ديك من أجل إنشاء مجلة تبحث في العلوم المادية، فأطلق عليها اسم المقتطف، صدر أول عدد منها سنة ١٨٧٦ في مدينة بيروت، كما أنشأ في القاهرة سنة ١٨٨٨ جريدة سياسية يومية أطلق عليها اسم المقطم، كما تولى رئاسة جمعية شمس البر في بيروت، ثم رئاسة المجمع العلمي الشرقي، ومن آثاره: أعلام المقتطف، بسائط علم الفلك، العلم والعمران رسائل الأرواح فتاة الفيوم. كحالة: مرجع سابق، ج ٤ ص ١٣١.

١- هاشم ياغي: مرجع سابق، ص ٩٤-٩٦.

٢- شاهين مكاريوس ١٨٥٣-١٩١٠: ولد في قرية إبل السقي. بمرج عيون، صحفي مؤرخ، من مؤسسي جريدة المقطم بمصر، وأحد أصحاب المقتطف، ومنشئ جريدة اللطائف، قُتل والده في حوادث سنة ١٨٦٠، وحملته أمه معها إلى بيروت، وكانت تعتني به من خلال عملها عند الدكتور فانديك، فتعلم فن الطباعة، وتولى إدارة مجلة المقتطف في بيروت سنة ١٨٧٦، ثم رحل إلى مصر مع زميله يعقوب صروف، وفارس نمر، وأنشأ بمساعدة فارس نمر جمعية شمس البر وعمل في التجارة، من تصانيفه: تاريخ الإسرائيليين، تاريخ إيران، الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية، العملية السمر في السفر والأنيس في الحضر عنوان المراسلات. كحالة: المرجع السابق، ج ١، ص ٨٠٩.

الزركلي: مرجع سابق، ج ٣، ص ١٥٣.

٣- المعلوم: تاريخ مدينة زحلة، ص ٢٧٩.

٤- حتّي: مرجع سابق، ص ٥٥٧.

٥- المعلوم: المصدر السابق، ص ٢٦٩.

٦- المعلوم: المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

ثامناً - الأوضاع الصحية في جبل لبنان:

١- إدارة الصحة في جبل لبنان: منذ تشكل المتصرفية ١٨٦١ بدأ تنظيم الأمور الصحية في الجبل بشكل تدريجي، حيث استدعى المتصرف الأول داود باشا الدكتور كوسين الإيطالي^(١)، وعينه بوظيفة سر طبيب، وبدأت مهمته بين سنتي ١٨٦٨-١٨٧١، وعمل كل من الأطباء: غالب أفندي الخوري، وسليمان أفندي نحول، وزامبا أفندي في جبيل، وكسروان، وبعبداء، وعندما تسلم رستم باشا المتصرفية عين ميدانا أفندي من التبعية الإيطالية بوظيفة سر طبيب، واستمر بعمله بين سنتي ١٨٧١-١٨٧٧ كما عين كل من داود مشاققة، وسليمان أفندي مشاققة طبيين لعناصر الجاندرمه في كل من بعبداء، وبيت الدين.

ثم عين الدكتور حبيب أفندي الخوري، وهو من أهالي الجبل بمنصب سر طبيب أيام المتصرف واصا باشا الذي دام عمله ١٨٧٧-١٨٨٢، وفي سنتي ١٨٨٢-١٨٨٦ دُعي داود أفندي مشاققة إلى المركز، واستخدم طبيباً واحداً لكل من أقضية المتن، والشوف، وجزين، والبترون، ثم عين بشكل رسمي بمنصب سر طبيب في سنة ١٨٨٦، واستمر في عمله حتى سنة ١٩٠٢، وخلفه بعد ذلك نجيب أفندي الأصفر واستمر بعمله حتى سنة ١٩١٣، وبناءً على إلغاء أحكام بروتوكول جبل لبنان وتعيين علي منيف بك متصرفاً صدر قرار بتنظيم إدارة الصحة في جبل لبنان في ٣١ كانون الأول سنة ١٩١٣، وكانت تلك الإدارة مكونة من مدير، وطبيب مركز، وطبيب سيار وكاتب، ثم تم تعيين أربعة أطباء سيارين، وسبعة أطباء فخرين للأقضية، وتسعة أطباء فخرين للنواحي، ومن الأطباء الذين تم تعيينهم في سنة ١٩١٤ سامح بك فاخوري، وضيا فؤاد أفندي، وفؤاد حمدي، وحسني محيي الدين بك^(٢).

٢- المشافي: لقد وجد عدة مشافي منها:

أ- مستشفى بتدين: أنشأه رستم باشا في بتدين لمعالجة مرضى الجيش.

ب- مستشفى الفرندس: في برمانا بإدارة الدكتور طانيوس أفندي الذي خصص لجميع المرضى^(٣).

١- حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٨.

٢- حقي: المصدر نفسه، ص ٢٧٩.

٣- الأسود: دليل لبنان، ص ٧٨.

ج- مستشفى الجانين (العصفورية): تأسس في برمانا سنة ١٨٩٧ بإدارة المرسل الألماني ثيوفيلوس ولددير^(١).

د- مستشفى مار مخائيل: تأسس في عمشيت، بإدارة طوبيا أفندي زخيا.

هـ- مستشفى برمانا: تأسس في برمانا، بإدارة الراهبات الألغازيات^(٢).

و- مستشفى اليسوعيين: يشرف عليه أساتذة الطب في المدرسة اليسوعية.

ز- مستشفى الروم: هو المستشفى الوطني للروم الأرثوذكس، حيث أنشئ على نفقة المواطنين ويعمل فيه كل من الأطباء فان ديك، وسمعان الخوري بالجان^(٣).

ح- مستشفى القديس يوحنا: رغب فرسان القديس يوحنا بتأسيس مستشفى يعرف بمسشفى القديس يوحنا، حيث وهبهم فؤاد باشا من أجل ذلك قطعة أرض على هضبة صخرية في رأس بيروت وكان يعرف بالمستشفى الألماني، وكانت الراهبات الممرضات يدرن شؤونهن، ويعتني بالمرضى^(٤) ويقبل المرضى الفقراء مجاناً، وكان يحيط به حديقة واسعة^(٥).

ط- المستشفى العسكري العثماني: أشار الطبيب الروسي أرتيمي الكسيفيتش رافالوفيتش في تقرير له عن الحالة الصحية في مصر، وسوريا، وجبل لبنان بين سنتي ١٨٤٧-١٨٤٩ خلال جولته هناك إلى وجود مستشفى عسكري عثماني في بيروت، وقام بزيارته بنفسه أثناء مروره بالمدينة وضمت المستشفى من ٧٠ إلى ٨٠ سرير، وكان فيها نحو عشرين مريضاً، وضعوا على أسرة خشبية وترأس المستشفى ضابط عثماني^(٦).

ي- مستشفى جبيل: أنشئ من قبل الأخوين مخائيل و جبور طوبيا الكلاب في سنة ١٨٥٧^(٧)، حيث إن جبور وقف ثلث ثروته لأعمال الخير وشرح في وصيته أعمال الخير تلك بأنها: ((يُبنى في عمشيت محل خستخانا إلى المرضا، ويتحكموا المرضى الفقرا، ويكون بها حكيم لأجل حكمة الفقرا

١- حُتّي: مرجع سابق، ص ٥٤٧

٢- الأسود: مصدر سابق، ص ٧٨.

٣- بك سامي: مصدر سابق، ص ٣٠.

٤- حُتّي: المرجع السابق، ص ٥٤٦.

٥- بك سامي: المصدر السابق، ص ٢٩.

٦- سميليا نساكاي: سورية ولبنان، ص ١٩٧.

٧- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٢١٤.

الذين يكونوا في الخستخانا...)) ، كما أوصى بأنه: ((من الفقرا لا يصير أخذ شيء لاحق دوا و لا أجره، وإذا كان فايض عن المصروف (من ريع الأملاك الموقوفة للمستشفى) يصير قبول مرضى وصرف عليهم اللازم، من أي ملة، ومن أي محل كان^(١).

أما التخدير في الجراحة لم يعرف في جبل لبنان إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر^(٢) على يد الدكتور جورج بوست ١٨٦٥^(٣).

٣- أسماء الأطباء الذين حازوا الشهادة الرسمية من الآستانة: يقدم الجدول الآتي أبرز أسماء الأطباء ومكان عملهم^(٤):

اسم الطبيب	مكان العمل	سنة الحصول على الشهادة	اسم الطبيب	مكان العمل	سنة الحصول على الشهادة
إبراهيم أفندي	العبادية	١٨٩٥	أسير أفندي نصار	عين عنب	١٩٠١
إبراهيم مكرزل	عين عار	١٨٨٠	أسعد بك سليم	البرج	١٨٨٣
ألفرد بك الخوري	كسروان	١٩٠٠	الشيخ أمين الجميل	بكفيا	١٨٩٩
أنطوان بك خير الله	جران	١٨٨٧	أنطونيوس منسي	برمانا	١٨٩٧
بشارة منسي	انطلياس	١٨٨٢	بولس إفرنجية	أهدن	١٩٠٥
جرجي باز	جبيل	١٨٨٤	نجيب الداية	أهدن	١٨٩٥
حبيب أفندي مالك	الكورة	١٨٩٧	حبيب بك ناصيف	حزير	١٨٩٧
خليل الحايك	بشمزين	١٨٨٥	خليل عبد بدران	وادي شحرور	١٨٩٢
داود سليم	الشوف	١٨٨٣	داود مشاققة	بتدين	١٨٧٤
رشيد شكر الله	بعيدا	١٨٩١	سليم سليم	كفرشيمما	١٩٠٣
شكري البارودي	عالية	١٨٩٣	عبد الله شقير	الشويقات	١٩٠٢
قيصر أفندي الحايك	بشمزين	١٨٩٥	مخائيل أبو خالد	بحمدون	١٨٩٨
يوسف مزهر	بتدين	١٩٠٣	يوسف سليم	الشوف	١٨٨٣

١- يربك: أوراق لبنانية، ص ٤٢.

٢- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٢١٤.

٣- جورج بوست ١٨٣٨-١٩٠٩: جورج إدوارد ابن الدكتور ألفريد بوست الطبيب الجراح، والعالم النباتي، ولد في نيويورك، أمريكي الأصل، ذهب إلى سورية سنة ١٨٦٣ ثم سكن في طرابلس، وقام بأعمال الطبابة والتبشير فيها، وبعد تأسيس الكلية السورية الإنجيلية في بيروت انتقل إليها أستاذاً لطب والجراحة، وتوفي في بيروت، ومن أشهر مؤلفاته: نبات سورية وفلسطين ومصر، مبادئ علم النبات، مبادئ التشريح، علم الحيوانات ذات الثدي المصباح الواضح في صناعة الجراح، قاموس الكتاب المقدس، كما أنشأ مجلة الطبيب. كحالة: مرجع سابق، ج ١ ص ٥١٣.

٤- الأسود: دليل لبنان، ص ٥٢٢.

٤- أسماء الصيادلة الذين حازوا الشهادة الرسمية من الآستانة: أمين أفندي أبو خاطر من بجمدون سنة ١٩١٦، وملحم أفندي موسى من زحلة سنة ١٩٠٢^(١) وداود نحول، وسليم الفاخوري والياس نعوم، وشكري عرفان^(٢)، ومن أهم الصيدليات: صيدلية مراد أفندي في بيروت التي أنشئت سنة ١٨٨١^(٣).

ومن الجدير ذكره أن أكثر العاملين في الطب، والصيدلة من الطوائف المسيحية، وذلك نتيجة لتأثير الإرساليات الأجنبية، والمؤسسات التعليمية الطائفية التابعة لتلك الإرساليات^(٤).

٥- أهم الأمراض المنتشرة في تلك الفترة:

من الأسباب التي أدت إلى انتشار الأمراض بشكل مخيف في بلاد الشام عامة، وجبل لبنان بشكل خاص:

- ١- برودة الطقس، وعدم توفر النوعية الجيدة من الملابس، والأغطية الكافية؛ بسبب عملية احتكار المواد القطنية، ومصادرات الجيش العثماني التي شملت كل ما يمكن استعماله.
- ٢- سوء التغذية، وكثرة الأوساخ، وعدم الاهتمام بالأمور الصحية، وقلة الأدوية والأطباء الذين جندهم الجيش العثماني^(٥).

تقسم الأمراض في الجبل إلى ثلاثة أنواع: الأمراض المحلية التي تطرأ مع الزمن، وتغير فصول السنة والأمراض السارية، والأمراض التي ظهرت إثر الحرب العالمية الأولى.

أ- الأمراض المحلية: الملاريا: ومن أهم المناطق التي انتشر فيها هذا المرض برج حمود، والبوشرية بقضاء المتن، وسهل أنطلياس، وسهل الدامور بقضاء الشوف، وفي سهول جونيه، وجبيل من أعمال قضاء كسروان، ومن أسبابه: وجود البعوض بكثرة، ويبدأ انتشار هذا المرض في أواخر فصل الخريف واستخدم الأهالي في جبل لبنان الكينا لمعالجته.

بالإضافة لذلك وجدت الحمى التيفوئيدية، وأمراض القلب الناجمة عن إفراط الأهالي بالتدخين وهناك أيضاً أمراض السكري، واليرقان^(١).

١- الأسود: دليل لبنان، ص ٥٢٣.

٢- يزبك: أوراق لبنانية، ص ٤٧٣.

٣- الأسود: المصدر السابق، ص ٦٩٠.

٤- تقي الدين: مرجع سابق، ص ٢٠٤.

٥- حتّي: مرجع سابق، ص ٥٩١.

ب- الأمراض السارية: الأنفلونزا التي تبدأ في فصل الشتاء، وحمى الضنك التي أتت إلى الجبل عن طريق بيروت، وتدوم من السبعة إلى الثمانية أيام، وأكثر ظهورها في فصل الصيف، الشهقة ويصاب بها الأطفال بكثرة^(٢)، ومرض الطاعون حيث يؤكد الطبيب الروسي أرتيمي الكسيفيتش رافالوفيتش الذي زار دير القمر في أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر أن الطاعون أصاب البلدة في سنة ١٨٤١، وانتقل إليها بواسطة الجنود الذين قدموا إلى الجبل، وعاد إليها في سنة ١٨٤٢ لعدم وجود التدابير الوقائية، واستمر حتى سنة ١٨٤٣ وأودى بحياة ٢٧ مسيحياً و٤٥ درزياً^(٣).

وفي سنة ١٨٤٧ أرسلت الحكومة الفرنسية الطبيب سوكة ليشرف على الحالة الصحية في الجبل وتقديم تقاريره لها، ومراقبة كيفية تطور الأمراض لتفاديها عند ظهورها^(٤) وكان هناك مرض الجدري الذي ينتقل بالعدوى، ومرض الكوليرا الذي ظهر في الشام، وحلب، وما لبث أن وصل إلى جبل لبنان في سنة ١٩١٤^(٥).

وبناء على الأمر الصادر من جانب متصرف جبل لبنان سنة ١٩٠٥، ومن باب حرصه على الوضع الصحي في الجبل، ومعرفة مدى الاهتمام الصحي، تم تقديم إحصاء بالأمراض جميعها التي تفشت بأنحاء الجبل في سنة ١٩٠٤ مع بيان عدد الوفيات وكان واجب أهالي المرضى في حال حدوث حالة وفاة بمرض ما إعلام الحكومة بذلك من أجل اتخاذ التدابير اللازمة لمنع انتشار المرض، وعلى الأطباء أن يسجلوا ذلك في دفاتر خاصة.

وبناءً على ما ذكر قدمت إدارة الصحة في متصرفية جبل لبنان جدولاً إحصائياً بالأمراض الوبائية التي حدثت في الجبل في سنة ١٩٠٤^(٦):

١- حقي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٦٨-٢٦٩-٢٧٢.

٢- حقي: المصدر نفسه، ص ٢٧٤

٣- سميليا نسكايا: سورية ولبنان، ص ٢١٠-٢٣١.

٤- غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، ص ٢٠٩.

٥- حقي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٥

٦- هشي: يوميات لبناني، ص ١٦٥-١٦٧.

	المتن		الشوف		البترون		كسروان	
	إصابات	وفيات	إصابات	وفيات	إصابات	وفيات	إصابات	وفيات
طاعون	١	١						
جدري	٥١٥	٩٠	١٥١	٢٥	٥٨	١٦	١٤٠	١٨
تيفوئيد	٥٠	٥	١٠	١	٦	١	٤٣٢	٣٩
حصبة			١٥٢٧	١٢٠			٣٦٠	١٢
شهقة					٣	٢	٧٨٠	٢١
	جزين		زحلة		الكورة		دير القمر	
	إصابات	وفيات	إصابات	وفيات	إصابات	وفيات	إصابات	وفيات
طاعون								
جدري	٢	-	٤٠	٦	٦	-	٢٩	٤
تيفوئيد					٣			
حصبة	٢٩	٢					٤	٤
شهقة					٤	١		

ومن خلال هذه الإحصائية نلاحظ أن أمراض الجدري، والتيفوئيد، والحصبة هي من أكثر الأمراض انتشاراً، إذا ما قورنت عدد الإصابات بها بالأمراض الأخرى.

ج- الأمراض المنتشرة في الجبل خلال الحرب العالمية الأولى:

ومن بين الأمراض المنتشرة: حمى التيفوئيد، والطاعون، والملاريا، والزهار، والتيفوس^(١)، أما بالنسبة لمرض التيفوس؛ انتقل من دمشق إلى جبل لبنان، وظهرت الإصابة الأولى بشخص من عائلة حبيقة، وبدأ بعد ذلك بالانتشار، ولا سيما بالسجون، وظهر في ملجأ بقرية بجمدون ١٥٠ إصابة بهذا المرض، كما ظهر مرض الجدري في قرية الشويفات، وكان عدد الإصابات ٤٠ إصابة^(٢)، كما أن الحمى التيفوسية أودت بحياة الكثير من الرجال والنساء، ودخل هذا المرض إلى بيروت عن طريق مهاجرين، قادمين من بنغازي من أعمال طرابلس الغرب، ومن الأسباب التي أدت لانتشار هذا المرض هو حالات التزوح، والهجرة التي حدثت في أثناء الحرب من قرية إلى قرية أخرى .

١- حَتَّى: مرجع سابق، ص ٥٩١. ملحق رقم (١١).

٢- معطي: مرجع سابق، ص ٢٣٨.

بالإضافة إلى ذلك وجد هناك نوع آخر من الحمى تسمى الحمى الراجعة، ولكنها لم تنتشر في كل أنحاء الجبل بل كانت الإصابة بها محصورة في كل من جونبة، وزحلة، ويقدم الجدول الآتي إحصاءاً للأمراض السارية في جبل لبنان سنة ١٩١٤^(١):

أسماء المرض	الإصابات		الشفاء		الوفيات		أسماء المرض		الشفاء		الإصابات		الوفيات
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	
الحمى النمشية	٢٤٣٧	٩٦٤	١٢٠٩	٨١٨	٢٩٥	١٩٨	تيفوئيد	١٦٤	١٢١	١١٨	٨٦	٣٢	١٩
جدري	١٠٦	٧٥	٧٩	٥٧	٣٢	١٩	حصبة	٣٣	٢٨	٣١	٢٠	٢	٨
كولرا	١٣	٢٠	٧	٧	٦	١٣	حمى النفاسية	٠	٨	٠	٥	٠	٣
حمى راجعة	٤١	٣٤	٣٢	٢٦	٩	٨	خانوق	١	١	١	١	٠	٠

ولما اشتدت الأزمة الاقتصادية، وفرغت البيوت من المواد الغذائية، أخذ الناس يبحثون في الحقول والغابات عن الأعشاب، وأوراق الأشجار ليسدوا بها الرمح، وكانوا يطحنون الشعير مع الحلبة والزوان ليصنعوا الخبز^(٢)، واستمرت هذه الحالة في الجبل طيلة فترة الحرب، مات خلالها حوالي ١٢٠ ألف بسبب الجوع، والأمراض، و توفي في بلاد الشام ما لا يقل عن ٣٠٠ ألف^(٣)، وكل تلك الأمور أدت إلى تراجع المستوى الصحي .

و للإشارة إلى ما ذكر يقدم الجدول الآتي إحصائية بعدد الولادات و الوفيات في جبل لبنان في سنة ١٩١٥^(٤) :

الوفيات												المواليد		
إناث						ذكور						إناث	ذكور	
مولود	١٠	٢٠	٤٠	٦٠	٦٠	مولود	١٠	٢٠	٤٠	٦٠	٦٠			
حديث	١٠	٢٠	٤٠	٦٠	٨٠	حديث	١٠	٢٠	٤٠	٦٠	٨٠			
٢٥	٤٦	٣٥	١٣	٢١	٠	٤١	٦١	٤٨	٢٤	٢٦	٥	٤٥	٦٧	مسلم
٢٠٤	٢٣٤	٢٣٠	٢٥٥	١٩٦	٦	٢٦١	٤٠٠	٣٤٩	٣٤٢	٢٤٤	٧	٢٩٢	٣٤٩	مسيحي
٢٢٩	٢٨٠	٢٦٥	٢٦٨	٢١٧	٦	٣٠٢	٤٦١	٢٩٧	٣٦٦	٢٧٠	١٢	٣٣٧	٤١٦	مجموع

ونستنتج من الجدول السابق سوء الأوضاع الصحية، وانتشار الأمراض بشكل كبير، وعدم توفر الرعاية الطبية اللازمة من أدوية كافية وأطباء متخصصين، كما أن الفارق واضح بين أعداد المواليد

١- حقي: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٧٦-٢٧٧-٢٧٨.

٢- معطي: مرجع سابق، ص ٢٣٨.

٣- كرد علي: مصدر سابق، ج ٣، ص ١٣٥.

٤- حقي: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨٥.

والوفيات، حيث إن أعداد الوفيات كبير مقارنة مع المواليد؛ مما يشير إلى مدى التخلف الصحي والاجتماعي ويضاف إلى ذلك ويلات الحرب.

وفي ظل غياب الجامعات الطبية، والطب المختص، سيطر الطب الشعبي فترة من الزمن، واستغل العاملون فيه حاجة الناس، وتعلقهم بالشفاء من الأمراض، ولكن الذي أفقد الطب الشعبي مصداقيته دخول جماعة من المشعوذين، والسحرة إليه، واستغلال الناس من خلال ذلك، وكان أهالي المرضى إذا عجزوا عن شفاء المريض، يتحولون إلى الأديرة، والمعابد، ويلجؤون إلى زيارة القديسين، والمعابد والأضرحة، وهذا بدوره أسفر عن ظهور أولياء للأمراض مثال على ذلك؛ فمار انطونيوس قزحيا لشفاء المجانين، ومار نوهرا لشفاء العيون، ومار ضومط لشفاء الذراعين والرجلين، ومار إيلان ومار إلياس لشفاء الأمراض كلها^(١)، و يدل ذلك على مدى بساطة السكان.

خلاصة الفصل الرابع

نستنتج مما سبق الآتي:

- انقسام المجتمع في جبل لبنان إلى طبقتين متباينتين: طبقة الحكام، وطبقة المحكومين.
- خضوع مناطق الجبل لتبدلات سكانية كثيرة، ومتعددة؛ بسبب الحروب، والفتن من جهة والأمراض، وبدائية وسائل العلاج من جهة أخرى.
- تأثير الحروب، والمنازعات الطائفية المتكررة في الحياة الاجتماعية بين الطوائف بشكل مباشر فاستمرت الزيجات بسمات الطائفية، والطبقية.
- استثمار الإقطاعيين بالأموال، وبفائض الإنتاج، وبدا ذلك واضحاً من خلال القصور، والدور التي بنوها، وفرشوها بأفخر الأثاث، بينما كان الفلاحون يعيشون في مستويات اجتماعية، ومعيشية متدنية من مأكل، ومشرب، وملبس، ومسكن.
- لم يكن تحرر المرأة، وتطورها الثقافي، وزيادة مشاركتها الفاعلة في المجتمع من خلال مطالباتها بذلك فقط؛ بل أسهم وجود المصلحين المطالبين بتطورها، وإنشاء المدارس المختلطة بذلك.
- من الملاحظ بالنسبة للحركة الثقافية التعليمية: كثرة المدارس التي وجدت في جبل لبنان، لكنها اتخذت الطابع الطائفي، كما أن وجود المطابع كان من أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار العلم والمدارس وأغلبها كانت تابعة للكنائس.
- شكلت المدارس، والصحافة العامل الأساسي لتشكيل الجمعيات الأدبية، والعلمية، والسياسية مما أسهم في نشوء شخصيات أدبية، وفكرية عملت على تكوين عوامل النهضة العربية.
- عدم تدخل الدولة العثمانية في إنشاء المدارس عادةً أن المدارس يجب أن تقام من خلال المبادرات الشخصية، ومن أموال الوقف، وكل مدرسة تفتتح عليها القيام بالعبء المادي لوحدها.
- لم يقتصر صراع الدول الأوروبية على الناحية العسكرية والسياسية في الجبل؛ بل تعداها إلى الجانب الثقافي، وهذا ما نلاحظه من خلال منافسة الإرساليات التبشيرية بعضها بعضاً في إنشاء المدارس التبشيرية، وتأثيرها في مجتمع جبل لبنان، فالمؤثرات الفكرية الثقافية لا تقل أهمية عن المؤثرات الاقتصادية والسياسية .
- الدور الإيجابي للمغتربين من خلال تأسيسهم للمجلات والجرائد في المغرب التي سلطت الضوء على أوضاع بلادهم.



الخلاصة

أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

- كان جبل لبنان من الناحية القانونية تابعاً للدولة العثمانية، ولكن من الناحية العملية كان بعهدة الإقطاعية.

- وجد جبل لبنان نفسه في منتصف القرن التاسع عشر غارقاً بالحروب، والفتن الطائفية، وتمثلت ذروة تلك الأحداث بالفتن الأهلية الثلاث التي وقعت بين الدروز والمسيحيين فتنه ١٢٥٧ - ١٢٦١ - ١٢٧٦ هـ الموافق ١٨٤١ - ١٨٤٥ - ١٨٦٠.

- إن النظام الإداري الذي حكم جبل لبنان والذي وضعته الدول الأوربية خلق التوازن الطائفي في الإدارات، والوظائف الحكومية، لكنه أدى إلى ترسيخ الطائفية في بنية المجتمع، وشكل خطراً على وحدته، فالحوادث الطائفية ما كانت لتكرس الطائفية لولا ذلك النظام الإداري المتبع.

- عمدت الدولة العثمانية إلى خلع الأمراء في الجبل، وإحلال آخرين ممن يؤمنون السيطرة السياسية على الجبل، ويتكفلون بجمع الضرائب .

- اعتمد النظام الاقتصادي للجبل على المشاريع الصغيرة والبسيطة: فالزراعة هي العمل الاقتصادي الرئيس الذي يعمل به أكثرية السكان، وكانت بدائية بشكل تؤمن للفلاح قوته اليومي فقط، ولم تكن من النوع التجاري الذي يكفل للفلاح تحقيق أرباح طائلة؛ بسبب استخدام الأدوات الزراعية التقليدية، وبدائية نمط الإنتاج، وبسبب إرهاب الفلاحين بالضرائب؛ مما نتج عن ذلك عدم امتلاكهم رأس المال المطلوب من أجل تطوير نمط الإنتاج، الأمر الذي دفع الفلاحين إلى الاهتمام بالزراعات الصناعية.

- كان نمط الإنتاج إقطاعياً، وتركزت ملكية الأراضي من خلال الصراعات السياسية، والاجتماعية التي اجتاحت الجبل بيد الإقطاعيين، وكان القسم الأكبر من فائض الإنتاج ينجى بشكل ضرائب ويصرف على الجيش، والحكام، وجهاز الدولة، والسلطان.

- أسهمت التجارة في إيجاد طبقة تجارية، إلى جانب الطبقات الموجودة (الإقطاعيون، الفلاحون) حيث اعتمدت على نوعية الإنتاج القابل للصناعة (الحرير)، وربطوا تجارة صناعة الحرير بالخارج كي يحققوا ربحاً مضموناً وثابتاً إزاء التقلبات السياسية، فاحتلت تجارة الحرير المرتبة الأولى، حيث قامت

- فرنسا بتصنيعه، وإعادته إلى سوق الجبل؛ مما شكل عاملاً منافساً للصناعات المحلية، وكان سبباً للقضاء على الكثير من الحرف، والصناعات التي لم تستطع الصمود أمام تلك الصناعات الحديثة .
- إنَّ تعرض جبل لبنان للأزمة الاقتصادية أدى إلى عدم قدرة الأهالي على تحمل أعباء الحياة الثقيلة وكانت سياسة جمال باشا في بلاد الشام، وسياسة الحلفاء، والحصار البحري الذي فرضوه على سواحل بلاد الشام من أهم العوامل الخارجية التي ضربت الأهالي في لقمة عيشها.
- شكلت الحروب الطائفية، والفتن، وتردي الأوضاع الاقتصادية للسكان، وتعرضهم لخطر المجاعة والأمراض أهم العوامل الدافعة للهجرة.
- شكل جبل لبنان نقطة بارزة، ومهمة في النشاط التبشيري، كما كان التربة الخصبة التي عرف المبشرون كيفية استثمارها في الجبل، فضلاً عن الاتفاقيات، والمعاهدات الدولية التي أدت دوراً مهماً في إحكام الطوق عليه.
- اختيار المرسلين للمناطق الريفية كنقطة انطلاق لعملهم التبشيري، كان مخالفاً للعرف الشائع باتخاذ المدن نقطة انطلاق في التأثير على أي بلد.
- بيان الهدف الحقيقي للدول الأوروبية من وراء إنشائها للمؤسسات التعليمية، والإرساليات التبشيرية المتمثل بزراعة بذور الفتنة في مجتمع جبل لبنان، وإذكاءها في كل مناسبة للوقوف في وجه أي تطور للمجتمع، وتأخير العمل الوطني، والقومي، والعمل على عزل جبل لبنان عن مجتمعه العربي.
- شكل جبل لبنان من الناحية الاجتماعية تركيها فسيفسائياً، وهذا التركيب هو الذي أسهم إلى حد كبير في تثبيت الملكيات الإقطاعية، حيث تمتع الجبل بحق الملكية التامة لأراضيه المزروعة، خلافاً لبقية المناطق التابعة للدولة العثمانية.
- إن تعدد الطوائف في الجبل كون محوراً للتغلغل الأوربي مستتراً باللباس الديني، حيث ادعت كل دولة أوروبية بحماية طائفة معينة، ولكنها كانت تقوم بخدمة مصالحها فقط.



الملاحق

ملحق رقم (١)

وثيقة رقم (١)

عقد مساقاة بين الأمير أمين أرسلان و أحد فلاحي بلدة زغديا ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨.

جل الصمرايين وعريش جل الزم بين - تينة الجامع - دوان العريض بين وعريش
تينة درب العنق - قطع خمس أماكن

سب كرسه
هو انه يوم تاريخ اذناه قد سلمنا في سعادة اوقتم الاميرامين رسلان العقيق على
الدروز الا فخم الامان المرفوعه اعلاه ومن جل الصمرايين وعريش وجل الزم بين
وتينة الجامع ودوان العريض بين وعريش وتينة درب العنق خمس أماكن
الذين من ملك سعادة الحايث في قديم زغديا سلمنا على سبيل الشكر المساقاه
بوجب نجم بيدنا في سعادة معلنه بذلك ودفعنا سعادة تمن ربع الاماكن
المحرره سبعة وثلاثين غرتا ونصف نصفها ثمانية عشر غرتا وثلاثون
بانه بمطرة الملك العادل حسب عوايد الشكر المساقاه وقد تعهدنا على
انفسنا بان نعمل حق الحمل وننتا في نصف الخلع وسعادة نصف الشاف
وايت وقت شمس سعادة ان يرفع بيدنا في هذه الشكر عن الاماكن المحرره
يتم لنا بالمطرة العادل الجار في الاملاك وناخنة الربع واذا خاس
خندق ربع الكيس واذا زاد فنا خندق ربع الزود وقد كرسنا على
انفسنا هذا السند وادنا بالاسمها دعينا بالطوع والمضى والاختيار
كرسنا في الحادي والعشرين يوم ما خلت في شهر ربيع الاول الانور سنة خمس
وستين ومائتين والم ١٢٦٥
المعاليه
محمد بن
عقوبه
المعاليه
احمد الخط

محفوظات الدكتور عبد الله سعيد - صيلما . من كتاب رياض غنام : مقاطعات جبل لبنان في القرن

التاسع عشر ، ص ٣٣٥.

ملحق رقم (٤)

وثيقة رقم (٤)

نموذج عن دفتر مساحة بشري - قضاء البترون ١٩٠٣.

أ - الصفحة الأولى

دفتر مساحة قصبة بشري دقل وخامج

تأبنة خفار البترون مدونة نامة بشري مع أسماء الملاكين المملوكين والمملوكين
والمملوكين من مساحة المملوكين في المملوكين المملوكين
بيانات

ملاحظات

جبريل شاهين كبروز
بطرس بوشقرة وأخيه كبروز
تامر فياض المكاشي وأخيه
نعسان طنوس جرجس

اسماء	عدد	متر	متر
ميرزا شاهين كبروز	١٠	١٠٠	١٠٠
بطرس بوشقرة وأخيه كبروز	٢	١٠	١٠
تامر فياض المكاشي وأخيه	٢	١٠	١٠
نعسان طنوس جرجس	٢	١٠	١٠
ميرزا كبروز	٥	١٠	١٠

ب - الصفحة الأخيرة

اسماء	عدد	متر	متر
ميرزا شاهين كبروز	١٠	١٠٠	١٠٠
بطرس بوشقرة وأخيه كبروز	٢	١٠	١٠
تامر فياض المكاشي وأخيه	٢	١٠	١٠
نعسان طنوس جرجس	٢	١٠	١٠

إيجاباً للأمر المشيري (نسبة إلى المشير أو المتصرف) الكريم لقد صار تنظيم هذا الدفتر في الحالة الحاضرة مع تبيان أسماء أصحاب الأملاك وكمية ما عليهم من دراهم المساحة بكل ضبط والأمر لواليه افتدتم في ٨ حزيران سنة ٩٠٣.

كاتبه أمين خوري

شيخ قصبة بشري

- النسخة الأصلية من هذا الدفتر محفوظة في مكتبة جورج أمين بطرس الحكيم

البترون - حي الأساسية.

ملحق رقم (٦)

وثيقة رقم (٦)

تذكرة تعداد الماعز و الأغنام - عانوت - الشوف - سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٦

فريق بر غروش	جلد نومروسی	سنة	اغنام بوقلمه تذكرة سی	دون نومروسی
جبل لیسان لبنان	یکونه رؤس ٩٨	١٣	فصل الشوف قره عانوت تعداد تذکره سنک تاریخی ١١	١٣
یکونه رؤس ٩٨	٩٨	١٣	تعداد تذکره سنده محرد اولان بوقلمه بشفقه ظهور ایدن بکونه	١٣
٩٨	٩٨	١٣	تعداد تذکره سنده محرد نمائنده رؤس قیون و بکی و تشکی بکونه بوقلمه اولتدقده بشقه و تعداد تذکره سی بالاخذ صاحبته تبدیلا اشبو بوقلمه تذکره سی اعطا اولتشد	١٣

من محفوظات مكتبة د. طارق قاسم ، دلهون ، الشوف . من كتاب عبد الله إبراهيم سعيد : الأرض والإنتاج والضرائب في متصرفية جبل لبنان والبقاع ١٨٦١-١٩١٤ دراسة مقارنة في التاريخ ، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠٠٣ .

تذكرة تعداد الماعز و الغنم في عانوت - الشوف ١٩٠٥ .

وثيقة رقم (٧)

لبنان	نومرو
(تذكرة تعداد ماعز و غنم عن واجب سنة ١٣٢١) (واحد وعشرين وثلاثمائة واثني عشر)	١٢٤
بارد غروش عدد رؤس قیون	١٢٤
اعنام	١٢٤
ماعز	١٢٤

محفوظات مكتبة د. طارق قاسم ، دلهون ، الشوف .

ملحق رقم (٧)

وثيقة رقم (٨)

لائحة بالأموال الأميرية المترتبة على مقاطعات الجبل و البالغة ٣٥٠٠ كيس

مجموع قاعنت الابرير			
أقليم بعلبك	٤	٤	١٤
أقليم الشوف	١	٠	٤٤
الطرحان والبرق	٠	٠	٢٨٢٥
أقليم النقا	٠	٢	١٢٠
العقوبين	١	٩	٢٩٤
كردي و غربي البقاع	٠	٨	٢٤٤
لحود	٠	١	٢٨٨
المناصفة الشحار	٠	٥	٥٠٧
غربي البقاع	٠	٢	٨٤٤
غربي النقا	٠	٥	٢٠٥٤
غربي النقا	٠	٢	٤٤٤
دندنا كنهر	٠	٢	٤٨٨
راور و صفر و جيتان	٠	١	٨٤٨
رشيما و بعلبك	٠	١	١٥٨
بيج البراجنة	٠	١	٢٤٠
شاحل بيروت	٠	٥	٢٤٨
الذئ و عانا و حلا و بكتا	٠	١	٧٤٥٠٤
دندنا و كدلم	٠	٩	١١٤٥٤
غزير	٠	٠	٥٤٤
كنوان	٠	١	٤٢٢٢
بلاد جبيل	٠	١	٤٠٢٨
	٢	٤	٣٨١١
	١	٧	٥٠٠٠

محفوظات المركز الوطني للمعلومات و الدراسات - بعقلين . من كتاب رياض غنام : مقاطعات

جبل لبنان في القرن التاسع عشر ، ص ٣٩٠.

ملحق رقم (٨)

وثيقة رقم (٩)

معارضة عمل الفتيات في كرخانات الحرير

.. قدس السيد الجليل الطي الشاف والجزيل المحترم دلم به

.. جلال الامام الطاهر بكل نزقة وادب له والقائى در ادعوى الباره بدو الدوله واستطاف واقفاد شريف خاترم ان شاسه تعالى
 نحن انا سيادتكم حازرين تمام الصبح وكما الانشراح بجاه بارى الانام
 المعروف انكم لا تخفى سيادتكم انا معتمدين بالمدى منذ عام ١٨٤٠ وفي ابتداء اقامتنا كانت افكارنا انما تنحصر لقرية بنات المقاطعة
 ولتعليمها حل الحرير في كرخانتا الصر الذي فعلناه مدة مستطيلة من ذلك الوقت آملمين بان هذه الواسطة تساعد عبال البنات
 وبالوقت عينه نحصل ايضا على ضلعة يدومين النخل في كرخانتا . ثم فيما بعد اذ سهل الباري عز وجل اشغالنا قد توجهنا للاروبا
 والطمنا على كيفية انتاج الحرير ورجعنا لهذا الطرف وباترنا عمار كرخانة محققة على دوله برب مع بناء محل مخصوص لمائة البنات
 بنوع ان كرخانتا جعلت مخصصة لتكون فعلها بنات تحت ادارة ومناصرة قريتنا . ولهد مشقات عديدة توصلنا الى ان تكون عندنا
 مائة وثلاثين بنتا معلمات بشغل الحرير . وحيث قصدنا من ذلك انما هو شهرة قريتنا فمن هنا يفتح لدى سيادتكم كم كندا انما هو
 على حفظ البنات المذكورة بالفق المرفى هن والعموم . فكرخانتا اذا مبدية بمصفا لند تكون فعلها بنات ، ويراد ان يفتح ذلك جليا
 لسيادتكم من اعراضنا السابق لدولة راد باننا متصرف لبنان قبل الذي ناكه لدي بسمحة مقالنا ببنزينة نفس كرخانتا كما ومن الاعراض
 المتقدم من جناب الامير خليل لدولته يفري في انتم باننا المبني على هذا الخصوص . فمن نحو عابدين جهلة كرخانجيه لشدة حدودهم من
 حسن حريتنا اخذوا بعضا من البنات مع كونهن كن مرتبطات للشغل عندنا لوقت معلوم الذي عن طيه فائمة باسمهن واسم الكرخان
 المرجودات ذفين . فاذ انما خا طر سيادتكم وتنازلتم بمنح البركة لمن ليرحمين وليستغلن عندنا تزيد ونا عبودية ورجعهم تصبح كرخانتا
 جبهيا بناتنا ، وحينئذ نتردد لسيادتكم بان لا يكون عندنا ولا ذكر واحد . وقتل غيب الفحص اذ اوجد عندنا في الكرخانة شخص واحد
 فكل عدالة نقتبل كل قصاص ديني ودينوي يصدر من لدن ديار سيادتكم علينا وعليهن . ملتفين ومولمين من غيرة سيادتكم اجابة مرفوعة
 هذا وجصولنا على البنات التي خرجن من كرخانتا . راجعين على الدوله عدم ابراخنا من دائرة خالهر سيادتكم ، مكررين لكم الانامل والقائى
 بركات الدعاءى الدوله امجا السيد الخليل المحترم
 ١٨٦٩
 ١٩ اب

محفوظات المركز الوطني للمعلومات و الدراسات - بعقلين. من كتاب رياض غنام : مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر ، ص ٣٥٨.

ملحق (١٠)

بلاغ جمال باشا إلى أهالي لبنان

بعد أن احتلت القوات التركية جبل لبنان في أواخر تشرين الثاني ١٩١٤ أذاع جمال باشا على سكانه البلاغ الآتي :

((السلام عليكم يا أهل لبنان المعدودين من أئمن أجزاء الوطن العربي ، إني أدعوكم إلى الالتفاف حول العرش العثماني للمدافعة عن الوطن المهدّد من غارات العدو الخارجي .
إن أحكام التنظيمات التي أحسنت بها الدولة عليكم لتأمين رفاهيتكم ستبقى محفوظة من حيث مبادئها الأساسية . و إني موكل بالمحافظة على هذه التنظيمات و بصفتي أحد مواطنكم العثمانيين آمل أن أرى اللبنانيين يقدّرون هذه النعمة حق قدرها فيرسمون لأنفسهم خطة تناسب أهمية هذه النعمة ...

((و بما أن وجود الإدارة العرفية في جميع أنحاء المناطق العثمانية تشمل لبنان أيضاً ، و بما أن وجود الأحكام العرفية يستدعي تأجيل بعض أحكام القوانين العدلية و الملكية مؤقتاً ما دامت الأحكام العرفية قائمة .. أود أن أعلن لكم هذه الحقيقة بكل صراحة و إخلاص منعاً لحدوث أقل سوء تفاهم .
((إن جميع الأحكام التي لم تتقيد بأحكام الإدارة العرفية و على الخصوص المعفاة من الخدمة العسكرية و من دفع (الويركو) ستبقى مرعية الإجراء رغم وجود الإدارة العرفية ...

((و لقد أرسلت مفرزة من الجند للدفاع عن لبنان لدى الحاجة ضد غارات العدو الخارجي و للمحافظة على شرف الأهالي و حياتهم و أموالهم ، و إني لأدعو أهالي لبنان فيما إذا حاول العدو القيام بأي محاولة ضد سواحل لبنان و بيروت للانضواء تحت العلم الممثل للجيش الهمايوني و مشاركة الجنود في تضحية النفس و النفيس لإحباط أعمال العدو ، و لتأمين هذه الغاية يجب العمل بمقتضى أوامر قومندان هذه المفرزة العسكرية و تلبية طلباته ...

((إن كل من يحاول من اللبنانيين كائناً من كان الإخلال بسلامة المملكة و الأمن العام و القيام بأية حركة .. و كل من يبدي أقل مظهر من مظاهر المحبة و العطف نحو أعدائنا الفرنسيين و الإنكليز والروس يحاكم فوراً أمام ديوان حرب عرني ليلقى جزاءه من العقاب . و بما أن قومندان المفرزة

العسكرية الميرالاي رضا بك سيعين ، في بلاغ آخر سينشره جميع أنواع و صور الحركات والأعمال الماسة بسلامة المملكة ، أخطر جميع الأهالي باجتنا ب هذه الأفعال كل الاجتناب ..))
((و إن الحكومة المحلية ستحتل جميع المؤسسات و المكاتب التابعة للدول العدو لنا و الكائنة في جبل لبنان .. و تحول حالاً كل ما لم تر الجهة العسكرية لزومه لإقامة الجند مؤقتاً ، إلى معاهد علمية وطنية لترقية المعارف اللبنانية و عقب انتهاء الحرب يسلم الجزر المحتل بالجنود لتحويله إلى هذه الغاية أيضاً))

قائد الجيش الهمايوني الرابع و ناظر البحرية

أحمد جمال

علي معطي: العلاقات اللبنانية - التركية في عهد المتصرفية ١٨٦١ - ١٩١٨ ، دار المنهل اللبناني ، بيروت ،
٢٠٠٧ ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

ملحق رقم (١٤)

وثيقة رقم (١٤)

قائمة تضمين جهاز سمعانية خادمة الشيخ قانصوه الخازن ١٨٦٥

[illegible]

ملاحظات المركز الوطني للمعلومات و الدراسات - بعقلين. من كتاب رياض غنام : مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر دراسة وثائقية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، بيسان بيروت، ٢٠٠٠، ص٣٥٢.

ملحق رقم (١٦)

وثيقة رقم (١٦)

إيصال مال طرق (قروي) - عين داره - الشوف عام ١٨٨٨ .

متصرفیت و جبل لبنان

نومرو (۲۷) علم و خبر مال طرق واجب سنة ۱۲۰۵
 وبع و بال مجیدی بالکلین اصل الذکور
 عید عید عید عید عید
 ۷ ۵۷ ۱۶ ۷۷ ۷۷
 فقط مذکور و خبره رب مجیدی و مذکور ایام الربیع
 نقاشی الحرف

ملحق رقم (١٧)

وثيقة رقم (١٨)

إيصال أموال أميرية ، عين داره - الشوف سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢

متصرفية جبل لبنان
علم وخبر عن واجب سنة ١٣٣٠ ثلاثين وثلاثمائة والف
نومر (١)
قرية عينداره
باره غروش
١٠ ٢٧٥٦
مال اعناق
١٥ ٧٤٤٧
مال ارزاق
١٠ ١٠١٠٤
قطعة الدف ودره وثلاثة عشر ودره
من قضا المشي
المبلغ المرقوم اعلاه البالغ قدره عتق ارزق ودره وثلاثة عشر ودره
التابع متصرفية جبل لبنان من الاموال الميرية الرتبة على دراهم المساحة وعدد النفوس المطلوبة من الجبل
وثلاثمائة والف مائتين وذلك بمقتضى التورع الذي جرى بهذا المجلس والبيان اعطي هذا العلم والخبر من
تحريراً في اول مايس سنة ١٣٣٠ ثلاثين وثلاثمائة والف مائتين

من محفوظات مكتبة المحامي سليمان تقي الدين - بعقلين - الشوف. من كتاب عبد الله إبراهيم
سعيد : الأرض والإنتاج والضرائب في متصرفية جبل لبنان .

وثيقة رقم (١٩)

إيصال أموال أميرية قرية بقسميا ، البترون ١٨٩٥ .

متصرفية جبل لبنان
علم وخبر عن واجب سنة ١٢١٣ ثلاثة عشر وثلاثمائة والف
نومر (١)
قرية بقسميا ومزرعة الزهر
مال اعناق
١٠ ٧٨٦
مال ارزاق
١٠ ٢٤٤٤
٤١٩٨٠
١٠

من محفوظات مكتبة ميشال أبي فاضل - بقسميا - البترون

ملحق رقم (۱۹)

وثيقة رقم (٢١)

ايصال رسم جريدة رسمية ، بقسميا ١٩١٤-١٩١٥

تا بجز ورد صندوق مال لغضا نه شمریم بقسمیایان مجید
بدو است که هر یک از این دو لایحه التماس
روا شد و شهادت گرفت ۱۲۱۱ هجری قمری

بتاريخه ورد لصندوق مال القضاء من شيخ صلح بقسميا ريالين مجيدي بدل اشتراك الجريدة الرسمية
عن سنة ١٣٣١ تحريراً في ١٤ أيلول سنة ١٣٣١ مدير المال .

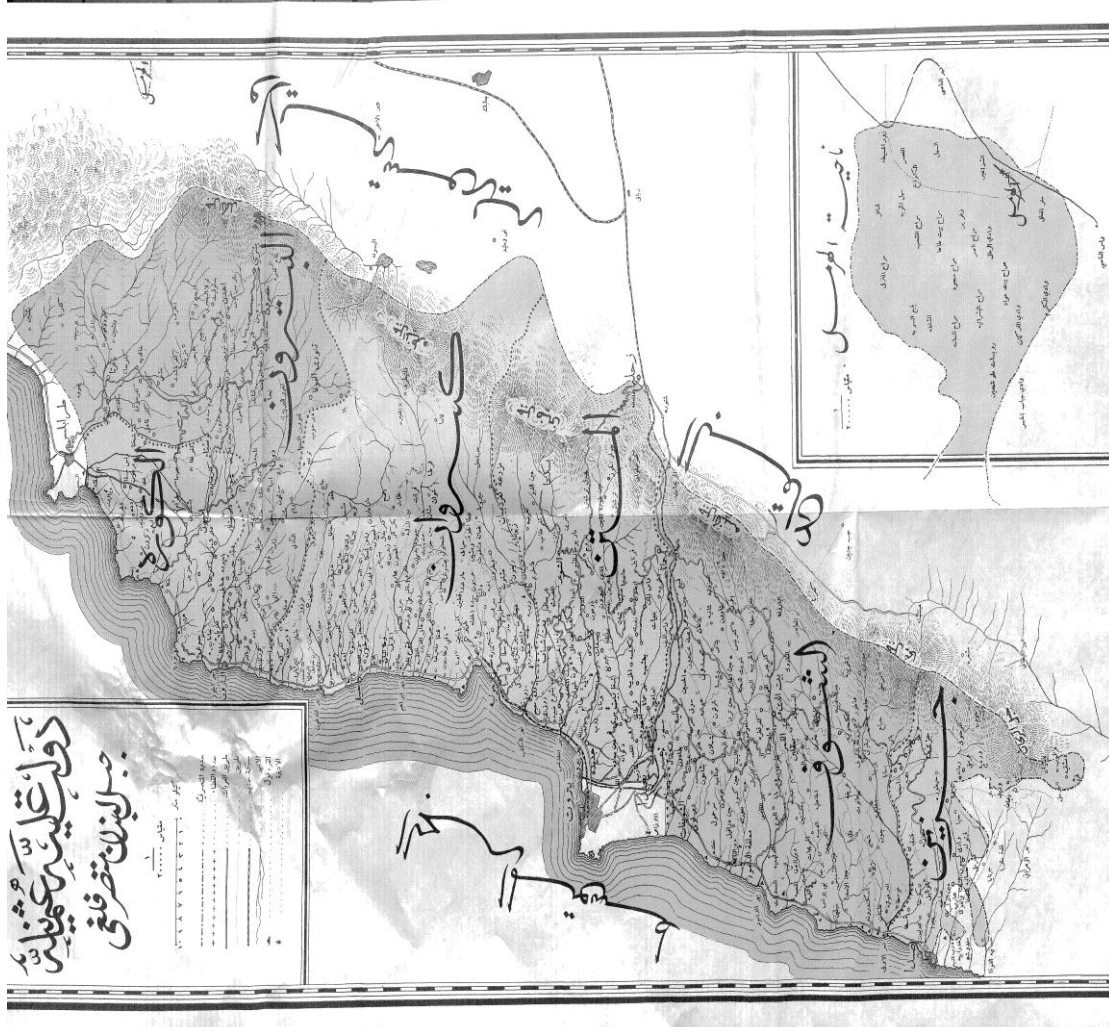
وثيقة رقم (٢٢)

سند خاقانی ، أرض أميرية في قرية دير العشائر - قضاء راشيا ١٩١٣ .

[illegible]

من محفوظات النائب السابق شبلى آغا العريان - راشيا.

الملحق رقم (٢٠)





المصادر والمراجع

أولاً- الوثائق المحفوظة وغير المنشورة:

١- دفاتر المساحة :

- دفتر مساحة عين قنية، قضاء الشوف عام ١٨٩٧ ، محفوظ في منزل سليمان عباس بريش.
- دفتر مساحة قرية بقسميا، قضاء البترون عام ١٩٠٥ ، محفوظ في مكتبة ميشال أبي فاضل.
- دفتر مساحة قرية بشري، قضاء البترون عام ١٩٠٣ ، محفوظ في مكتبة أمين بطرس الحكيم .

٢- دفاتر الحسابات :

- دفتر حسابات مدرسة سيدة النصر كفيفان، قضاء البترون، سنة ١٨٧٢، محفوظ في مكتبة منعم منعم - كفيفان.
- دفاتر حسابات حاصلات وقف المدرسة الدرزية في عبيه ١٨٧٣-١٨٨٩، محفوظة في مكتبة المحامي سليمان تقي الدين بعقلين.
- دفاتر حسابات الشيخ ملحم تقي الدين، بعقلين الشوف ١٨٨٧-١٩٢٥، مكتبة المحامي سليمان تقي الدين - بعقلين .

ثانياً- المصادر المطبوعة:

١- المصادر العثمانية المطبوعة:

- سالنامه جبل لبنان سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩.
- سالنامه جبل لبنان سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠.
- سالنامه دولة عثمانية : سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٣.
- سالنامه دولة عثمانية : سنة ١٣١٢ هـ / ١٨٩٥.
- سالنامه دولة عثمانية : سنة ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨.

٢- المصادر العثمانية المترجمة والمنشورة:

- جودت باشا، أحمد: تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر الدنا، مطبعة جريدة بيروت، بيروت ١٣٠٨هـ - ١٨٩٠.
- الدستور، ترجمة نوفل أفندي نعمة الله نوفل، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٣٠.

٣- مصادر ومراجع عربية منشورة :

- أبو عز الدين، سليمان: إبراهيم باشا في سوريا، المطبعة العلمية، بيروت، ١٩٢٩.
- أبي راشد، حنا: جبل الدروز، مكتبة زيدان العمومية، القاهرة، ط ١، ١٩٢٥.
- الأسود، إبراهيم: تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مطبعة القديس جاورجيوس، بيروت، ١٩٢٥.
- =====: دليل لبنان، المطبعة العثمانية، لبنان، بعدا ، ط ٣، ١٩٠٦ .
- أرسلان ، شكيب : سيرة ذاتية ، بيروت ، ١٩٦٩.
- بتكوفيتش، قسطنطين: لبنان واللبنانيون وثيقة تاريخية نادرة، طبعت عام ١٨٨٥، وتضمنت مذكرات القنصل الروسي في بيروت خلال سنوات ١٨٦٩-١٨٨٢، قدمت له الباحثة سميليا نسكايا، نقله إلى العربية يوسف عطا الله، راجعه مسعود ضاهر، دار المدى، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦.
- بك سامي، عبد الرحمن: سفر السلام في بلاد الشام القول الحق في بيروت ودمشق، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩٨٢.
- بك، عزيز: سوريا و لبنان في الحرب العالمية الأولى، ترجمة فؤاد ميداني، بيروت، ١٩٣٣.
- تشرشل، تشارلز: جبل لبنان عشر سنوات إقامة ١٨٤٢ - ١٨٥٢، ترجمة فندي الشعار، دار المروج، بيروت، ١٩٨٥.
- الحتوني، منصور: نبذة تاريخية في مقاطعة كسروانية، بيروت، ١٨٨٤.
- الحسني ، علي : تاريخ سوريا الاقتصادي ، مطبعة بدائع الفنون، دمشق، ١٩٢٣.
- حقي، إسماعيل: لبنان مباحث علمية واجتماعية، ٢ ج ، إعداد مجموعة من الأدباء والكتاب منشورات الجامعة اللبنانية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ت .
- الخازن، فيليب وفريد: مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان من سنة ١٨٤٠ إلى ١٩٨٥ سنة ١٩١٠ ، ٣ ج، ترجمة فريد الخازن، دار الرائد، بيروت، ط ٢ ، ١٩٨٣.

- الخوري، شاكر: مجمع المسرات، مطبعة الاجتهاد، بيروت، ١٩٠٨.
- الدبس، يوسف: تاريخ سورية الديني والديني، ١٠ أجزاء، دار نظير عبود، بيروت، د.ت.
- زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، مصر، مطبعة الهلال، ١٩١٤.
- العقيقي، أنطوان ضاهر: ثورة وفتنة، تحقيق يوسف إبراهيم يزبك، دار الطليعة، بيروت، ١٩٣٨.
- كرد علي، محمد: خطط الشام، ٦ أجزاء، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٢٧.
- القاياتي، محمد عبد الجواد: نفحة البشام في رحلة الشام، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١.
- مشافة، ميخائيل: مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، مصر، ١٩٠٨.
- المعلوف، عيسى اسكندر: تاريخ مدينة زحلة، مطبعة زحلة الفتاة، لبنان، ١٩١١.
- =====: تاريخ زحلة، منشورات زحلة الفتاة، لبنان، ط ٢، ١٩٧٧.
- هشي، سليم حسن: المراسلات الاجتماعية والاقتصادية لزعماء جبل لبنان خلال ثلاثة قرون ١٦٠٠-١٩٠٠، مطبعة نمم، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤.
- =====: يوميات لبناني في أيام المتصرفية، دار لحد خاطر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣.
- يزبك، يوسف إبراهيم: أوراق لبنانية، دار الرائد اللبناني، ١٩٨٣.
- يزبك، يوسف إبراهيم: الجذور التاريخية للحرب اللبنانية من الفتح العثماني إلى بروز القضية اللبنانية لبنان، بيروت، ١٩٩٣.

ثالثاً- المراجع العربية :

- أبو شقرا، يوسف خطار: الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية شهادة درزية صريحة تعليق عارف أبو شقرا، ١٩٥٢.
- أبو صالح، عباس: تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، بيروت، ١٩٨١.
- أبو فاضل، هنري: البرلمان الديمقراطية في لبنان منذ ١٨٦١، منشورات الحرف، بيروت، ١٩٨٥.
- آل صفا، محمد جابر: تاريخ جبل عامل، دار النهار، بيروت، ط ٢، ١٩٨١.
- أنطونيوس، جورج: يقظة العرب، دار العلم للملاي، بيروت، ط ٥، ١٩٧٨.
- البستاني، سليمان: عبرة و ذكرى، الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، القاهرة، ١٩٧٨.

- البواري، إلياس: تاريخ الحركة العمالية والنقابية في لبنان ١٩٠٨ - ١٩٤٦، ٢ ج، دار الفارابي بيروت، ١٩٨٦.
- بو عماد، عاطف خليل: الأسرة النكدية إبان القرن التاسع عشر وحتى نهاية عهد المتصرفية، الدار التقدمية، بيروت، ١٩٨٩.
- بيهم، محمد جميل: فلسفة التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٥٤.
- تقي الدين، سليمان: المسألة الطائفية في لبنان، الجذور والتطور التاريخي، دار ابن خلدون، بيروت د.ت.
- جحا، ميشال: سلسلة الأعمال المجهولة (سليم البستاني)، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت د.ت.
- الجراح، توفيق فوزي: الشيخ إبراهيم اليازجي ومجلة الضياء، بيروت، ١٩٧٧.
- جرمانوس، أسعد: أصول المارونية السياسية، منشورات دار المراد، بيروت، ط١، ١٩٩٦.
- الجميعي، عبد المنعم: ثورات الدروز والموازنة ضد حكم محمد علي في جبل لبنان ١٨٣٥ - ١٨٤٠ مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٩٨٧.
- الجميل، سيار: تكوين العرب الحديث، عمان، دار الشروق، ١٩٩٧.
- الحصني، محمد أديب آل تقي الدين: منتخبات التواريخ لدمشق، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٨٣.
- الحكيم، يوسف: بيروت وجبل لبنان في عهد آل عثمان، دار النهار للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.
- حلاق، حسان: بيروت المحروسة في العهد العثماني، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٧.
- =====: التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر سجلات المحكمة الشرعية في بيروت، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٧.
- =====: مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ - ١٩٣٨ مع دراسة للعلاقات العثمانية العربية الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٢.
- الحلو، يوسف خطار: العاميات الشعبية في لبنان، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٩.
- حنا، عبد الله: من الاتجاهات الفكرية في سوريا ولبنان النصف الأول من القرن العشرين، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٧.

- =====: القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان (١٨٢٠-١٩٢٠)، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٥ .
- حمادة، سعيد: النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان، المطبع الأمريكية، بيروت، ١٩٣٦ .
- حوراني، ألبرت: الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩، دار النهار، بيروت، ١٩٧٧ .
- الخازن، وليم: تبشير النهضة الأدبية، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٩٣ .
- خاطر، لحد: لبنان و الفاتيكان العلاقات المتبادلة بينهما من صدر النصرانية حتى اليوم، منشورات مجلة الرسالة المخلصية، ١٩٦٦ .
- =====: عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١-١٩١٨، دار لحد خاطر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢ .
- =====: العادات والتقاليد اللبنانية، دار لحد خاطر، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧ .
- الخطيب، حنيفة: تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان وارتباطها بالعالم العربي ١٨٠٠-١٩٧٥، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٤ .
- خليفة، عصام كمال: أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر، دار الجبل، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ .
- الخوري، أنيس: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٦٠ .
- الخوري، بشارة خليل: حقائق لبنانية من ١٠ آب سنة ١٨٩٠ إلى ٢٠ أيلول ٩٤٣، بيروت، ١٩٦٠ .
- رستم، أسد: لبنان في عهد المتصرفية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٣ .
- =====: بشير بين السلطان والعزيز، بيروت، ١٩٦٦ .
- زهر الدين، صالح: التبشير وأثره في جبل لبنان، منشورات دار الجهاد، طرابلس، ط ١، ١٩٨٦ .
- زيادة، نقولا: أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ١٩٧٢ .
- =====: لبنانيات (تاريخ وصور)، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٢ .
- زين، زين الدين: نشوء القومية العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢ .
- سالم، لطيفة محمد: الحكم المصري في الشام ١٨٣١-١٨٤١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٠ .
- السباعي، بدر الدين: أضواء على الرأسمال الأجنبي في سوريا ١٨٥٠-١٩٥٨، دمشق، ١٩٦٧ .

- سعيد، عبد الله إبراهيم: الأرض والإنتاج والضرائب في متصرفية جبل لبنان والبقاع ١٨٦١-١٩١٤ دراسة مقارنة في التاريخ، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٣.
- ===== أشكال الملكية وأنواع الأراضي في متصرفية جبل لبنان، مكتبة بيسان بيروت، ١٩٩٥.
- ===== العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في الأرياف اللبنانية ١٨٦١-١٩١٤ دراسة مقارنة في التاريخ، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٣.
- ===== أشكال الملكية وأنواع الأراضي في متصرفية جبل لبنان، مكتبة بيسان بيروت، ١٩٩٥.
- ===== تطور الملكية العقارية في جبل لبنان في عهد المتصرفية، تقديم مسعود ضاهر، دار المدى، بيروت، ١٩٨٦.
- سليمان، سهيل زكي: تطور الثقافة العلمية في لبنان ومصر في عصر النهضة (١٩٠٥-١٩٥٠) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٨٧.
- سويد، ياسين: فرنسا والموارثة ولبنان تقارير ومراسلات الحملة العسكرية، شركة المطبوعات بيروت، ١٩٩٢.
- ===== التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإماراتين، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٠.
- سيف، أنطوان: ثلاثة حكماء من جبل لبنان، مؤسسة أنطوان _ لبنان، ١٩٩٩.
- شاهين، فؤاد: الطائفية في لبنان حاضرها وجذورها التاريخية والاجتماعية، دار الحداثة، لبنان بيروت، ط ٢، ١٩٨٦.
- الشدياق، طنوس: أخبار الأعيان في تاريخ جبل لبنان، دار نظير عبود، بيروت، ١٩٩٥.
- شلق، حميد: أرض الذكريات ٣٠٠ رحلة رائعة من الماضي سوريا - لبنان - فلسطين - الأردن رحلة الدكتور لوريت ١٨٧٥ - ١٨٨٠، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥.
- شيبوب، أديك: الحرف الشعبية في لبنان، بيروت، ١٩٩٤.
- الشيخ، رأفت: تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر الهرم، ١٩٩٤.

- ===== : تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر الهرم، ١٩٩٦.
- صايغ، أنيس: لبنان الطائفي، دار الصراع الفكري، بيروت، ١٩٥٥.
- صابات، خليل: تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف، ١٩٥٨ .
- الصليبي، كمال سليمان: تاريخ لبنان الحديث، دار النهار، بيروت، ط ٦ ، ١٩٨٤.
- الصمد، قاسم: تاريخ الضنية السياسي والاجتماعي في العهد العثماني، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت .
- ضاهر، مسعود: مؤرخون أعلام من لبنان، منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت د.ت .
- ===== : الانتفاضات اللبنانية ضد النظام المقاطعي، دار الفارابي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨
- ===== : تاريخ لبنان الاجتماعي ١٩١٤ - ١٩٢٦ ، دار الفارابي، بيروت، ط ١، ١٩٧٤.
- ===== : الدولة والمجتمع في المشرق العربي ١٨٤٠ - ١٩٩٠ ، دار الآداب، بيروت، ١٩٩١.
- ===== : الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية ١٦٩٧ - ١٨٦١ ، معهد الإنماء العربي بيروت، ط ٣ ، ١٩٨٦.
- ضو، أنطوان: حوادث ١٨٦٠ في لبنان ودمشق لجنة بيروت الدولية - المحاضر الكاملة ١٨٦٠ - ١٨٦٢ ، بيروت، ١٩٩٦.
- طرابلسي، فواز: تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف، بيروت، ٢٠٠٨.
- طرين، أحمد: تاريخ المشرق العربي المعاصر، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٨٥.
- ===== : أزمة الحكم في لبنان منذ سقوط الأسرة الشهابية حتى بداية عهد المتصرفية (١٨٤٢ - ١٨٦١)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ٢ ، ١٩٩٠.
- ===== : لبنان منذ عهد المتصرفية إلى بداية الانتداب ١٨٦١ - ١٩٢٠ ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٨.
- ===== : الوحدة العربية، دمشق، ١٩٨٠.
- عمر عبد العزيز، عمر: تاريخ لبنان الحديث ١٥١٦ - ١٩١٥ ، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٤.

- ===== تاريخ المشرق العربي ١٥١٦ - ١٩٢٢، دار النهضة للطباعة والنشر بيروت، ١٩٨٤.
- العقل، جهاد نصري: الهجرة الحديثة من لبنان وتعاطي المؤسسات الرسمية والأهلية معها ١٨٦٠ - ٢٠٠٠، دار ومكتبة التراث الأدبي، بيروت، ٢٠٠٢.
- عوض، عبد العزيز محمد: الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ - ١٩١٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩.
- عوض، لويس: تاريخ الفكر المصري الحديث، دار الهلال، القاهرة، د. ت .
- الغداف، غسان: الحركة التعليمية عند المسلمين في لبنان في القرن التاسع عشر، لبنان، بيروت ١٩٩٦.
- غرايبة، عبد الكريم : سوريا في القرن التاسع عشر، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٢.
- غريب، ميشال: الطائفية والإقطاعية في لبنان، لبنان، بيروت، د. ت .
- غصن، فؤاد: مذكراتي خلال قرن، بيروت، ١٩٦٧.
- غنام، رياض: المقاطعات اللبنانية في ظل الحكم المصري ١٨٣٢ - ١٨٤٠، المركز الوطني للمعلومات والدراسات، الدار التقديمية، لبنان، المختارة، ١٩٨٨.
- ===== المقاطعات اللبنانية في ظل حكم الأمير بشير الشهابي الثاني ونظام القائمقاميتين ١٧٨٨ - ١٨٦١ دراسة وثائقية في تاريخ جبل لبنان السياسي، بيسان، بيروت، ١٩٩٨.
- ===== مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر دراسة وثائقية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، بيسان، بيروت، ٢٠٠٠.
- فارس، هاني: النزاعات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث، الأهلية للنشر، بيروت، د. ت.
- قواف، عدنان: العلاقات التقليدية بين سوريا بين فرنسا وسوريا ولبنان قبل الحرب العالمية الأولى، بيروت، ١٩٥١.
- القوال، أنطوان: ظرفاء لبنان، مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٣.
- القيس، فايز علم الدين: بطرس البستاني، أثر المعلم بطرس البستاني في النهضة الوطنية في لبنان، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٥ .

- كوثرائي، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي من المتصرفية العثمانية إلى دولة لبنان الكبير، منشورات بحسون الثقافية، بيروت، ١٩٨٦ .
- ===== :الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠ مساهمة في دراسة أصول تكوينها التاريخي، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط ٣ ، ١٩٨٢ .
- كولان، جاك: الحركة النقابية في لبنان، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٤ .
- وهبي، علي: مذكراتي السياسة السلطان عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧ .
- مزهر، يوسف: تاريخ لبنان العام ، ٢ ج، لبنان، بيروت، د.ت .
- مسعود، جبران: لبنان والنهضة العربية الحديثة، بيت الحكمة، بيروت، ١٩٥٣ .
- معطي، علي: العلاقات اللبنانية - التركية في عهد المتصرفية ١٨٦١ - ١٩١٨ ، دار المنهل اللبناني بيروت، ٢٠٠٧ .
- منسي، محمود صالح: حركة اليقظة العربية في المشرق العربي، القاهرة، ١٩٧٣ .
- مؤسسة كهرباء لبنان الكهرباء في لبنان: تاريخ قرن ونيف ١٨٨٥ - ١٩٩٤ ، بيروت، ١٩٩٦ .
- هاشم، مود اسطفان: تجارة الحرف المطبوع، دار الساقى، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٣ .
- ياغي، إسماعيل: تاريخ العالم العربي المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١ ، ٢٠٠٠ .
- ياغي، هاشم: ملامح المجتمع اللبناني الحديث، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٤ .
- اليازجي، ناصيف: رسالة تاريخية في أحوال جبل لبنان في عهده الإقطاعي، تحقيق محمد خليل باشا ورياض حسين غنام، دار معن، د.ت .
- اليازجي، كمال: رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث ١٨٠٠ - ١٩٠٠ ، مكتبة رأس بيروت بيروت، ١٩٦٢ .

رابعاً- المراجع العربية:

- أوين، روجر: المشرق الأوسط في الاقتصاد العالمي ١٨٠٠ - ١٩١٤ ، ترجمة سامي الرزاز ، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٠ .
- بازيل، قسطنطين: سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية ترجمة يسر جابر، دار الحداثة، بيروت، ط ١ ، ١٩٨٨ .

- بانتيشينكوفا، مارينا: تاريخ سورية و لبنان في عام واحد ١٨٦٠-١٨٦١، ترجمة زياد الملاط
أطلس للنشر، دمشق، ٢٠٠٦.
- بولياك، ا.ن: الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، ترجمة عاطف كرم، دار المكشوف
بيروت، ط١، ١٩٤٨.
- حنّ، فيليب: لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريجة، بيروت، ١٩٥٩
- حمادة، سعيد: النظام النقدي والصيرفي في سوريا ولبنان، ترجمة شبل بك داموس، بيروت
١٩٣٠.
- حمادة، سعيد: النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٦.
- سميليا نسكايا، إيرينا: سوريا ولبنان وفلسطين في النصف الأول من القرن التاسع عشر من خلال
(مذكرات رحالة وتقارير علمية واقتصادية ووثائق قنصلية وسياسية وعسكرية) ترجمة يوسف عطا
الله، وقدم له مسعود ضاهر، دار النهار، بيروت، ط٢، ١٩٩٣ .
- ===== الحركات الفلاحية في لبنان النصف الأول من القرن التاسع عشر ترجمة
عدنان جاموس، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٧٢.
- ===== البنى الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث
ترجمة يوسف عطا الله، تقديم مسعود ضاهر، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٨٩.
- شوفالييه، دومينيك: مجتمع جبل لبنان في عصر الثورة الصناعية في أوروبا، ترجمة منى عبد الله
عاقوري، دار النهار، بيروت، ١٩٩٤.
- عيساوي، شارل: التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب ١٨٠٠-١٩١٤، ترجمة رؤوف حامد
مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
- غيز، هنري: بيروت ولبنان منذ قرن ونصف، ج٢، تعرب مارون عبود، دار المكشوف، بيروت
ط٢، ١٩٥٠.
- قفلجمل، حكمت: التاريخ العثماني، تعريب فاضل لقمان، دار الجليل، دمشق، ط١، ١٩٨٧.
- لهارد، انكه: تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، نقله إلى العثمانية علي رشاد إلى
العربية محمود علي عامر، دار الزمان، د.ت .

- لوتسكي، فلاديمير: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو ١٩٧١.

- هاملتون، جب - بوين، هارولد: المجتمع الإسلامي والغرب، ج٢، ترجمة عبد المجيد القيسي، دار المدى للثقافة والنشر، القاهرة، ١٩٩٧.

رابعاً- الدوريات والمجلات:

- بيهم، محمد جميل: (المرأة العربية والحرب العالمية)، مجلة العربي، العدد ٢٢ ، ١٩٦٠.
- باز، جرجي: (أول جمعية نسائية في العالم العربي)، مجلة صوت المرأة، العدد ٤٣ ، ١٩٤٦
- باز، جرجي: (الشيخة نايفة جنبلاط)، مجلة الخدر، المجلد الخامس، ١٩٢٣
- قدورة، وحيد: (ندوة عن تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر)، مجلة المجمع الثقافي بيروت، ط١ ، ١٩٩٦.

خامساً- المعاجم والموسوعات:

- البستاني، بطرس: دائرة المعارف، بيروت، دار المعرفة، ١٨٨٣.
- بوذينة، محمد: أحداث العالم في القرن العشرين ١٩١٠-١٩١٩، ج١٠ ، منشورات محمد بوذينة مطبعة الشركة الجديدة للطباعة والصحافة والنشر، تونس، ط١ ، ٢٠٠٠.
- خليل باشا، محمد: معجم أعلام الدروز، الدار التقدمية، بيروت، ط١ ، ١٩٩٠.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٩٨٠، ٥.
- زيدان، جرجي: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج٢ ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، د.ت .
- صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠ .
- طرازي، فيليب دي: تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩١٣.
- العودات، حسين: الموسوعة الصحفية العربية، سوريا - لبنان - فلسطين - الأردن، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٠.

- القاسمي، محمد سعيد - القاسمي، جمال الدين - العظم، خليل: قاموس الصناعات الشامية، تحقيق ظافر القاسمي، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٨.
- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، ٤ ج، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٣.
- الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة سياسية، ٧ ج، دار الهدى، بيروت، ١٩٩٤.

سادساً- المراجع الأجنبية :

- Charles Churchill , The Druzes And The Maronites Under The Turkish Rule From 1840-1860, London, 1862.
- Charles Churchill ,Mount Lebanon , Ten Years Residence 1842-1852, London,1853.
- David Urquhart ,The Lebanon : A History and a Diary, London , 1860.
- John Spaghola , france and Ottoman, Lebanon 1977.
- Ussama Makdisi , The Culture of Sectarianism Community, History and Violence in Nineteenth Century Ottoman Lebanon